2602
S/A

سلسلة الفكاهات

في

اطايب الروايات

وهو كتاب يحتوي على مئات من القصص الغرامية الادبية والتاريخية
مترجمة عن اللغة الفرنساوية من تآليف اشهر مؤلفي هذا الفن
كاسكندر دوماس الشهير وغيره

لص انكلترا

مترجم بقلم الاديب البارع سامي افندي قصيري

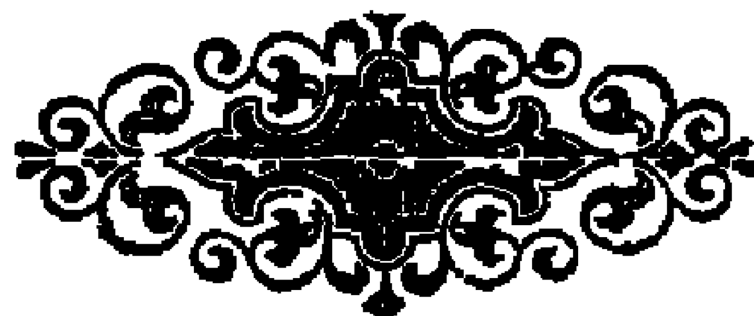
بادارة وتصرف خليل قلفاط

مجلد اول ﴿ ١ ﴾

طبع في بيروت بالمطبعة الادبية سنة ١٨٨٤

مقدمة

اني لدى الاتكال على من لا يتكل الا عليهِ باشرت طبع هذا المجموع بعد ان صرفت الجهد في الاستطلاع على افكار كثيرين من جهابذة هذا الزمان ومن لهم الخبرة الكافية في هذا الفن الذي لا تنكر فوائده ولا تدحض منافعهُ ولا يغيب عن معرفة كل لبيب فاضل ما فيهِ من الوسائل التهذيبية المروضة للعقول النافعة لكل من الجنسين الذكور والاناث وما اقدمت عليهِ الا لغرض ان اقوم بخدمة وطنية يسهل بها على ابناء العربية الشريفة مطالعة هذا الفن باساليبهِ الجديدة الرائقة ومعانيهِ الشائقة بما تتعظ بهِ النفس و يدمث الخلق فتتاً تى عنهُ الفائدة المطلوبة لابناء العصر بحيث يكون مجموعًا جامعًا لاحسن القصص وقعًا وارقها انسجامًا واكثرها حكمًا ومواعظ تتجلى بهِ عرائس ابكار مولفات الافرنج في حلة عربية تشف عما تحتها من المحاسات والمعاني الاجنبية فلا تنقص شيئًا من الاصل بل ربما زادت عليهِ مما في زيادتهِ منفعة جلية وقد اعتمدنا بعونهِ تعالى ان لا نهمل شيئًا من موجبات التحسين في هذا المولف توصلاً الى جعلهِ حاويًا شاملاً فلا نفوتهُ حادثة جمعت بين اللذة والفايدة فيكون بحكم مدرسة اختبار يستعين بهِ كل مطالع على درس احوال الازمنة والاعصر واقبالها وادبارها وحسناتها وسيآتها ومنافعها ومضارها وسنصدره اجزاء تباعًا الى ما شاء الله راجين ممن يقف عليهِ ان يشملنا بالعفو عما يجده فيهِ من الزلل وفينا من القصور والله حسبنا ونعم الوكيل



الزمن الاول

سنة ١٧٠٣

الارملة وولدها

في الساعة الحادية عشرة من ليلة الجمعة الواقعة في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٧٠٣ فتح في حي من احياء لوندرة المظلمة باب منزل حقير وظهر في الحال على سلم هناك رجل في الاربعين من العمر يحمل بيده سراجًا وهو مرتدٍ بثوب من الجوخ المعتم متسع الجوانب ضيق المختنق ومن تحته صدرية فاتحة تبلغ لمزيد طولها الركب وسروال من القماش الاسود وفي رجليهِ حزاء منتفخ مستدير خشبي الكعب يرتبط بعلاقات فضية وكان يولف تتمة ملابسهِ شعر اشقر مستعار كريه المنظر تعلوهُ قبعة مثلثة الزوايا وعلى عنقهِ منديل من الكتان السميك وعليها كلها اثار القدم والبلاء وما يعلوها من الغبار يدل على ان صاحبها من ارباب الاشغال الجسدية على ان ظواهره كانت تدل على احتشامهِ فهو صغير الجسم ممتلئهُ وهيئتهُ تترجم عن بساطة قلبهِ وسذاجتهِ وكانت تتبعهُ امراة ذات وجه مصفر انهكتهُ المصائب وهي تختلف كثيرًا عنهُ بحقارة منظرها مرتدية بثوب اسود ممزق ملطخ بالاوساخ يستدل من اثارهِ البالية انهُ استعمل للقيام بفرائض الحداد على زوجها المتوفى وكان على ذراعيها طفل ملتف بشال قديم وبالرغم عن خطوط رسمتها على وجهها ايدي المصائب والمتاعب قبل اوانها كان لا يزال عليهِ اثار البهاء بل كان يتوسم بهِ الحسن لولا منظر شفتيها الكريه الناشيء عن شرب المسكرات القوية ويظهر للراءي من وجهها اصفرار كالح تشمئز منهُ النفوس ولم يكن لها من العمر ما يزيد عن العشرين سنة على ان الفقر والحزن كانا قد فعلا فيها فعلاً ذريعًا فمحيا رسوم فتوتها وجردا خديها من شائق الرونق والنعومة المعهودين فيمن كان في سنها ومع ذلك لن يجرأ على مس شيء من حدة لمعان نظرها وخصب شعرها الحالك الطويل المنسدل على كتفيها وبوصولها الى داخل المنزل اجهدت نفسها على التكلم على ان السعال الناشف المنذر بالخطر كان يمنعها عن الافصاح ويكاد لشدتهِ يمزق درفات صدرها فخاطبت بالفاظ الوداع رفيقها المتقدم ذكره وكان واقفًا تجاه الباب كمن اصيب بحيرة لا يجد سبيلاً موافقًا للافصاح عن فكر يثقل عليهِ كثيرًا مداومة الاحتفاظ عليهِ فقالت بصوت اصم صادر عن صدر مصاب استودعك الله يا سيدي ود وليباركك الرب ويجازيك عني خيرًا فقد كنت على الدوام سيدًا محسنًا لزوجي المسكين المتوفى شبارد وانت اليوم الصديق الصادق لارملتهِ وولدهِ الصغير اليتيم

فاجاب في الحال المستر ود لا لا . . . لا لزوم للتكلم بمثل ذلك فاني لم افعل الا الفرض الواجب يا سيدتي جاكولين وعليهِ فلا استحق ولا اطلب على ذلك شكرًا فمن يحسن الى الفقير يقرض الرب وحسبي بذلك عوضًا اما من جهة المساعدة الطفيفة التي في سعة امكاني تقديمها فكان في العزم اجراوءها قبل الان لو علمت بمفرجات اليهِ من منذ . . من منذ . . . .

فاجابت الارملة بتنهد عميق وهي تنظر بتردد الى المحسن اليها . تريد من منذ اعدام زوجي المسكين يا سيدي فانك حريص على مداراة وملاطفة امراة نصيبها العذاب فقد خلقت للاهانة والشقاء وقد ادمنت عليها على اني لست بمعتادة على قبول الاحسان ولا احسن ايضاح حقيقة ممنونيتي للمحسن فليتكلم قلبي ان استطاع كلامًا لانهُ طافح بالشكر والامتنان فقد كانت عيني منذ زمن طويل تسكب العبرات الغزيرة لدى ذكر عمل خير من امثال اعمالك اما الان فوا اسفي قد جفت ينابيعها ونضبت مياهها فهي لا تقوى على البكاء منذ يوم البكاء والشقاء

قال المسيو ود وقد وضع سراجة على الارض ومسح اعينهُ بمنديلهِ . ارجو يا سيدتي ان لا يعود عليك ما يوجب بكاءك فلا تبكين بعد الان الا دموع الفرح والسرور . ثم شعر من نفسهِ بالقلق فاجتهد في تسكينهِ وتخفيفهِ وعاد الى كلامهِ فقال اني لا اريد ان افارقك وحدك وانت عرضة لمثل هذه الاحزان وعليهِ فسابقى عندك قليلاً على امل ان ارى قبل ذهابي على وجهك اثار التبسم بما يزيل عبوسة هواجسك واكدارك

وعند نهاية كلامهِ تقدم الى داخل المنزل بعد ان اغلق الباب ومشى والارملة تتبع خطواتهِ نحو موقدة فيها قليل من الخشب المتقد في غرفة قذرة حقيرة قد نخر السوس اخشاب ارضها وكومت فيها مزابل الاقذار بما جعل السير فيها خطرًا لا يومن بجانبه الزلق والسقوط وكانت جدرانها العارية عن كل لون تمثل للناظر رسومًا عديدة من جملتها صورة مجازاة نايبشود ونوزور اما بقية الصور فمرسومة بالحبر الاحمر والفحم بما لا يفهم منها شيء وقد فتحت الايام في سقفها منافذ كثيرة فان اخشابهُ تهدمت بكرور الازمنة والقليل الباقي منها ذهب فريسة للرطوبة والعنكبوت وكان في احدى زواياها تخت حقير يمتد عليهِ فراش رث بالٍ مرقع مبقع لم يبقَ منهُ الا الاثر الذي لا يذكر وقد نشرت فوقهُ ثياب الارملة من كل عتيق ممزق وبجانبهِ مقعد من الخشب وضعت عليهِ الموجودات فمن زجاجات فارغة واوانٍ مكسرة وابريق محطم واثر مرآة الى غير ذلك مما لا يساوي فضة ولا جددًا

وكان ملصوقًا على الحائط فوق الموقدة ورقة كتبت عليها هذه الكلمات وهي اقوال واعترافات توما شبارد الاخيرة وهو اللص الشهير الذي انفذ عليهِ القضاء في تيبيرن في ٢٥ شباط سنة ١٧٠٣ ويحيط بها رسم من الخشب يمثل وصول هذا اللص الى ساحة انفاذ القضاء وبجانبها الواحد صورة الملكة حنة تعلوها صورة غيليوم الثالث بانف منعكف وعيون قادحة وشعر لامع يجذب الناظر

اليه فلا ينتبه الى ما تحته من الرسوم وقد علقت في الجانب الثاني منها صورة تمثل الكفالير مارجرجس او بالحري يعقوب الثالث بما يرجح الظن بان من يقطن المنزل المذكور كان يعقوبيًّا (وهو اسم الحزب الستوارت في انكلترا)

ومن فوق كل هذه الرسوم تظهر للناظر احرف خطت بمسامير غرست في الحائط وهي تولف الكلمات الاتية (بول كروفس الاسكافي) وقد كتب من تحتها بقلم من الفحم خاتمة هذا الاسكاف المسكين الذي شنق في الغرفة حيث كان مفرطًا من شرب المسكرات واشفع ذلك كلهُ برسم يمثلهُ مشنوقًا ومعلقًا بجسر من الخشب وفي الغرفة شمعة صغيرة موضوعة في فم زجاجة ترسل نورها الضعيف الى طاولة وضع عليها المستر ود رغيفًا من الخبز وفخذًا من اللحم المقدد وفطيرة محشوة من اللحم وزجاجة مملوءة نبيذًا

ولما استقر بالارملة ورفيقها المقام قال المستر ود وهو يفرك يديهِ على حرارة الموقدة طلبًا للتدفئة وقد التفت شمالاً ويمينًا يقلب النظر فيما حولهُ مما لا تقربهُ عين لقد اتخذتِ لك يا سيدتي اشأم المنازل منزلاً

اجابت السيدة شبارد نعم ان غرفتي حقيرة يا سيدي ولكنها على كل حال هي خيرٌ من طرقات فراشها الارض وغطاؤها السماء

فقال المستر ود . لاريب في ذلك ثم صب خمرًا في وعاء وقدمهُ للارملة وهو يقول اشربي قليلاً من هذه الخمرة فهي نافعة لك مفيدة لضعفك واجلسي بجانبي نتحادث معًا بما يفرج عقدة الكرب فان النوائب اذا بلغت اقصاها قربت من حد الفرج بما يذهب باحزانك

فاجابت الارملة بينما كان المستر ود يعد لها مقعدًا للجلوس بجانبهِ وقد نظرت اليهِ نظرة المشك المرتاب وتبسمت حزنًا . ليسمع منك الرب فقد استوفيت حقي من قسمة الشقاء ولكني لا ارى في هذه الجهة من قبري وجهًا للفرج ولا سبيلاً للراحة

فصاح المستر ود يالجنون ان الامل معقود باطراف الحياة فلا تدعي لليأس من سبيل عليك ما دام لك نصيب في الوجود . ثم كشف طرف الغطاء عن وجه الطفل الضعيف ووجّههُ نحو ضوء الشمعة بحيث اصبح في الامكان تحقيق منظره وقال ان تمرمرك وشكواكِ ولك مثل هذا الطفل بل مثل هذه التعزية الكبرى جريرة لا تغتفر لانهُ لا يختلف بشيء عن ابيهِ فهو هو بعينهِ

فاجابت الارملة وهي ترتجف خوفًا وكآبة ان هذه المشابهة العظيمة بين الطفل ووالده هي ينبوع مصائبي ولولاها لكان سندًا ورجاء لامهِ المسكينة ولكنني عند ما اشاهد في وجههِ صورة ابيهِ وافتكر باخرة ذلك المسكين الشقية مع ما كان عليهِ اولاً من مزايا الفضل يصيبني القنوط ويستولي عليّ اليأس ولطالما طلبت من الله ان يأخذه اليهِ وقاومت بذلك حاسة قلبي المرتبط بحبهِ الغيور

على حياته وما ذلك الا لعلمي بانهُ خير لي ولهُ ان يموت صغيرًا من ان يصير رجلاً ويقدم على شرور قضى بها والده مشنوقًا من قبله ويجر من خلفه حياة ثقيلة شقية تنتهي به الى ميتة دنية والذي يظهر ان الله سبحانهُ وتعالى قد استجاب طلبي هو انهُ يحل ويذبل من يوم الى اخر

قال المسترود بعد ان سكت برهة ان الزيجة والمشنقة امران يتعلقان بالنصيب وثقي بان ابنك لا يكون فريستهما «وقد لفظ الكلمتين الاخيرتين بما دل على انهُ لا يزيد سعادة على غيره من المتزوجين»

اجابت الارملة بقلب طافح بالمصائب ان العناية وحدها عالمة بما يضمره لهُ الاستقبال ولكن اذا صدق ما قالهُ لي بالامس المنجم فان كاليبروك فالشقاء ما زال لنا بالمرصاد حيث اعلن بان هذا الصغير جاك لا يموت ميتة طبيعية

فصاح المسترود يالله ومن هو هذا فان كال . . . كال . . . .

فاجابت الارملة فان كاليبروك وهو المنجم الشهير الذي نبأ بحادثة الملك غيليوم وموته قبل وقوعها بشهر ثم تنبأ فضلاً عن ذلك بعود امير اخر منفي وقد كلفتهُ هذه النبوات السجن والضرب في نيفكات ومنذ ذلك الحين اتخذ لهُ اسمًا غير اسمه فهو يدعى الان ريكارد شربرشتر على ما اظن ورفقاؤهُ في سجن نيقكات كانوا يلقبونهُ بنبي المشنقة حيث كان يدل على من ارتاى موتهُ شنقًا وقد اصاب في كل ما قالهُ ولم يخطىء احدًا وتنبأ يومًا على زوجي من بين عدة من المسجونين وانت تعلم ما كان من امره وكيف صدقت نبوته فيه

فقال المسترود وقد ظهر من هيئته ما يدل على عدم الاحتياج الى منجم ماهر لمعرفة نهاية حياة رجل كزوجها . والان ياسيدتي على مَ استند المنجم فيما قرره عن مستقبل ابنك جاك الصغير

قالت الارملة ان المنجم راى تحت اذن جاك اليمنى بقعة سوداء بهيئة نعش وهي علامة سيئة على انهُ راى علامة اخرى اشام منها وهي خط معتدل يحيط بخنصر يده اليسرى ويمتد مخرقًا الى ان ينتهي بعقدة محكمة الربط ولا عجب ان ظهر في هذا الصغير المسكين مثل هذه العلامات لاني حينما كنت حاملاً به في سجن نيقكات المعد للحجر على المقبوض عليهن من النساء وهو المكان الذي رات به عينا جاك النور او بالحري الاشعة الضعيفة التي كانت تقوى على اختراق ذلك المحل المظلم كنت لا اشاهد في يقظتي ونومي غير مشانق ونعوشة وكانت هذه الخيالات المريعة تتبعني حيثما اتجهت وسرت ثم لا يخفاك ايضًا ياسيدي ان الطفل ولد قبل حلول اوان ولادته بشهر في نفس اليوم الذي انفذ فيه قضاء الاعدام على والده المسكين

فصاح المسترود يالله ويا للعجب اني ما سمعت بمثل ذلك قبل الان

قالت الارملة عليك ان ترى بنفسك العلامات فتتأكد صحة النبإ

اجاب المسترود . وقد نفذت منهٔ جعبةالصبر خيرلي ان ارے شيطانًا ماردًا من ان ارى علامات سوء نتوهمينها وحرمة الحق اني ما ظننت فيك قبل الان خفة تقادين بها الى التصديق بما يجعلك هزءًا عند السامعين

قالت الارملة وهي تهمس باذنه كانها تلقي اليه سرًّا انت مخير في احسان واساءة ظنك على ان المنجم فان كاليبروك تنبأ لي عن امر ظهرت الان صحتهٔ وتقررت حقيقتهٔ

فقال المسترود مستفهمًا وما هي نبوتهٔ

قالت تنبأ بان ابني الطفل الصغير يحصل بمدة اربعة وعشرين ساعة على صديق يخلص لهٔ الود مدے الحياة

قال المسترود وهل لك ان تفيديني كيف صدقت هذه النبوة والمتعارف عند الناس مخالف لما تزعمين فان من السهل خسارة الصديق والصعوبة بل كل الصعوبة في ايجاده

اجابت الارملة ظننت بانك تصل من نفسك الى حل هذا المعى بدون حاجة الى زيادة في التصريح فان لجاك الصغير صديقين مخلصين وهما انت وهذه الام المسكينة ولم يكن لهٔ بالامس الا صديق واحد غير اني لم اقص عليك تمام الخبر فان فان كاليبروك قال ايضًا ان هذا الطفل الصغير يخلص حياة صديقه الجديد وما علمت الى الان كيف يتم ذلك

قال المسترود ومن يصل علمهٔ الى فك مثل هذا الرمز فان مما لا يخطر على خاطر ولا يسلم به عاقل ان طفلاً صغيرًا لا يبلغ التسعة من الشهور يقوى على تخليص حياتي ان صح ما تزعمينهٔ وكنت صديقة المحكى عنهٔ ولا يبرح عن بالك اني لم اعدك بعد باخلاص الصداقة لهٔ بل هي موقوفة على ما يكون منه من حسن السيرة وطيب السريرة فما دام ممدوحًا في سلوكه مستقيمًا في عمله يمكنهٔ ان يتكل على صداقتي والا فلا والان لي طلب اقترحهُ عليك في شانهِ ولا اعلم ان كان يصادف قبولاً عندك وغاية ما يمكني قولهٔ ان ضميري يدعوني الى اقتراحهِ ولو تركت لي فرصة للتكلم لكنت صرحت بهِ ورفعتهٔ الى علمك من منذ خمس دقائق

قالت الارملة وقد ظهرت عليها اثار القلق . قل ياسيدي تكلم

اجاب . مهلاً ياسيدتي فان العجلة موقعة في الخسران والمرءُ موآخذ بلسانهِ فلا يجب عليه الاقدام على التكلم قبل التدبر فانت تعلمين اني لم ارزق ولدًا واني احب نجاح وصالح ابنك الصغير فاذا شئتِ وحصلت على رضاء امراتي السيدة ود حيث لا اقدم على شيء بدون مصادقتها اخذتهٔ الى بيتي واهتممت بتربيته وعلمتهٔ صنعتي بحيث يكون نجارًا نافعًا لنفسه ولك

فاطرقت الارملة لدے سماعها ذلك براسها الى الارض وضمت ابنها الصغير الى صدرها وقد ظهرت في اعينها اثار الحزن الشديد المتوقد في احشائها

ثم عاد المسترود فقال بعد ان تاملها مليًا والان ماذا تقولين ياجاكولين وبما تجيبين الا تدرين ان السكوت من علامات الرضاء

فعمدت السيدة شبارد الى التكلم على ان مزيد القلق والجزع المستوليين عليها منعاها عن الكلام

فقال المسترود بالحاح يتردد بين الجد والهزل . هل لك ان تامري لي بالغلام ياجاكولين

فاجابت وقد طفحت اعينها بالدموع .لا اقوى على فراقهِ لا . . لا . . لا استطاعة لي على ذلك

فقال المسترود في نفسه هذه طريقة تحرك بها منها السؤال كن لان الدموع مشفية للقلوب ولو اضرت الاعين ثم التفت اليها وقال بصوت عالٍ .لاتقوين على فراقه ياجاكولين .اذًا تريدين ان تكوني عثرة في سبيل فلاحه ونجاحه فاني اعدك بان اكون لهُ ابًا محبًا فارجعي عن عنادك وعي الكلام المنجم ان كنت تذكرينهُ

فقالت الارملة اني اذكره على الدوام وانا مديونة لك بطلبك ومقرة بفضلك انما لا اتجاسر على قبوله

اجاب المسترود لا تتجاسرين . . . وحرمة الصدق ان في هذا الكلام لكل العجب فاني لا افهم منهُ مرادًا

فقالت الارملة وقد علاها اصفرار التاثر الشديد اريد بذلك اني لا اقوى على فراق ابني وسلوني في هذا العالم فقد قضى ابي وامي وشقيقتي وزوجي وما عاد لي رجاء سوى ولدي ووحيدي

اجاب المسترود بغضب اني لا اطلب اليك الافتراق عن ابنك الا لغاية تحسين حاله واصلاح شؤونه فاعلمي ان مثل هذا الطلب لا يتيسر لك في كل آن ثم عمد الى الذهاب فاقبلت عليه الارملة تستعطف بخاطره وتمنعه عن عزمه بدموع الخضوع والانكسار وهي تقول تمهل عليَّ ياسيدي الى الغد فاذا تمالكت من العزم والثبات ما اقوى بهِ على فراق ولدي دفعتهُ اليك واتخذت عنهُ الصبر بديلاً ،

فاجاب المسترود بشراسة فليكن لكِ من الوقت ما يكفي لمراجعة افكارك وتاملي مليًا في الامر حيث لا شيء يدعو الى التعجيل وسرعة الاهتمام

فقالت السيدة شبارد بصوت متقطع وتنهد حار استحلفك بالله ياسيدي ان لا تكون غضوبًا عليَّ فاني عالمة باني لا استحق احسانك ولكن اه لو تدري بجميع المصائب التي قاسيتها وبالنهاية المخيفة التي اصبحت فريسة لها وبما تحملتهُ من العار لحفظ حياة هذا الطفل المسكين بل لو كان يمكنك ان تطلع على حقيقة من هي مثلي وحيدة في هذا العالم بعيدة عن جميع محبيها مطرودة من جميع عارفيها . اه . لوكنت تعلم وليتك لا تعلم ابدًا الى اي درجة تهيج عواطف الحب بعوامل الكآبة والشقاء وكيف كان يزيد ميلي وتعلقي بولدي بتزايد الضحايا التي تحملتها حبًا بهِ فلو علمت كل ذلك لكنت اقرب الى الشفقة عليَّ منك الى لومي ومواخذتي حيث لا استطيع ان اقبل في الحال بفراق يتمزق لهُ فوادي

فامهلني الى الغد . . . الى الغد يا سيدي فلربما تتوفق لي الشجاعة المقتضية للقيام بهذه الضحية

فما اتت السيدة شبارد على تتمة عبارتها الا وقد استحال غضب المسترود الى رضاء وظهرت على وجهه اثار الغيظ الشديد من نفسه لما بدا منه من سوء المعاملة فتقدم اليها ومسك بيدها وشد عليها مدفوعًا الى ذلك بما تحرك به من عواطف الوداد والشفقة وبعد ان بذل ما في الوسع للاعتذار عن سابق قساوته اقسم بانه لا يفرق فيما بعد بين الام وولدها ولا يسمح لغيره ايًا كان بذلك ثم زاد بقوله يا للبلاء انه لم يكن من العدل قط ان احرمك من ولدك و وحيدك بل القصد امتحان حبك استطلاعًا لحقيقته ولكني توهطت في الامر فبلغ هذا الحد عن غير تعمد ورضاء وهي خطية اعترف بها واشعر بثقلها والاعتراف عبارة عن نصف غفران وسياتي وقت يستدعي به هذا الطفل مساعدتي فثقي باني لا ابخل عليه بها بل سيجد دائمًا في اوفان ود صديقًا صادقًا ومحبًا مخلصًا

ثم القى يده على هذا الغلام اظهارًا لما يختلج في الصدر من حاسة الانعطاف فانتبه من غفوته واحدق بنظره الى المسترود ثم حول به عنه وقد علا صوت بكائه فتداركته امه تقبلة فمد اليها ذراعيه الصغيرين كانه يستدعي بذلك حمايتها . فقالت الام وهي تتبسم والدموع قد ملأت خديها . اني وان قبلت بتركه فهو لا يريد ان يتركني ياسيدي

اجاب المسترود اني لا اشك بذلك فان الحب المتبادل بين الام وولدها لا يعادل بحب

قالت الارملة لا ريب بذلك فلو لم آكن امًا لما استطعت حياة بعد زوجي

اجاب المسترود بصوت الشفوق الحنون اليك ياسيدتي عن تذكار يزيد في لوعتك

قالت ان طرد مثل هذه الذكرى عن تصوري ليس في امكاني فاني ما زلت للان اتذكر نظرة توما المسكين الاخيرة عندما فكت قيوده في سجنه الاخير في نيفكات وظلمة السجن ما زالت مخيمة على نظري والاجراس مسموعة الى الان في اذني . . . . فيالله

قال المسترود ان كان الامر كذلك فيا للعجب كيف تستصوبين الاحتفاظ على هذه الصور المرسومة فوق الموقدة تذكارًا موليًا لاعينك

قالت وهي تكاد لا تعي لشدة اضطرابها لدي من الاسباب القوية ما يقضي عليّ بذلك ولكني ارجوك ان تعفني من الجواب الان ان رمت لي سلامة الجسم والعقل

اجاب المسترود لا باس فمالنا ولهذا البحث الان ان كنت لا ترغبين فيه وانما اسمحي لي ان ابدي لك هذه النصيحة وهي ان لا تعودي الى شرب المسكرات في اية حالة كنتِ نعم ان بها يطرد الهم موقتًا ولكنها مجلبة للموت فهي تسير بالمرء من اقصر الطرق الى قبره

قالت الارملة وقد تنبهت منها الافكار لربما تكون قد تكلمت بالصواب ياسيدي . . . . لربما

تكون قد جئت بايات الحق الصادقة على انهُ لا باس من طريق تقرب مسافة السير وتخفف من مشاق السفر فان القبر لمن كان مثلي لا يستطيع خروجًا من نقطة الحياة الشقية المظلمة ملجا امن وراحة وسرعة الوصول اليه من موجبات السرور فلربما تكون المسكرات التي اصطلحت على معاطاتها سمًا قاتلاً وفيها الكفاءة لاماتتي ولكني بدونها ساموت ايضًا ضحية للجوع والشقاء والبرد والافكار المخيفة المقلقة فلولا المسكرات ياسيدي لاصابني الجنون فهي تعزية الفقراء عند شدتهم وان اعدت لهم مستقبل بكاء ونواح فاني في اعظم ضيقاتي وشدائدي عندما لا اجد مأوى التجيء اليه واقصد الابواب في طلب الرزق كنت اصادف بها راحة وانام على الطرقات كالموتى وقد انهكني التعب واستولى عليَّ اليأس واسير كالمجنونة من جهة الى اخرى لا امل واسطة من الشقاء الا واقدم عليها طلبًا للقوت الضروري وكنت لا اجد لي معينًا الا هذا المسكر فيخفف عليَّ اوجاعي وينسيني في الحال آلامي وفقري وجراحي ويعيد اليَّ افكاري وحاسياتي القديمة بما يخيل لي اني سعيدة بل واعظم سعادة من الوقت الحاضر

وما اتمت كلامها الا استولى عليها ضحك شديد مقرون بارتعاش لا ينشأ الا عن الم على حد ما قيل (والطير يرقص مذبوحًا من الالم)

فصاح المسترود يا للشقاء اتحسبين مثل هذا الضحك المريع سعادة

قالت الارملة وقد عادت في الحال الى سابق روعها ان هذه هي السعادة الوحيدة التي لاقيتها منذ سنين عديدة ومع ذلك فمدتها قصيرة . ثم قالت بصوت ضعيف ان المسكر سمٌّ قاتل ولكن ما دام المرء عرضة للفقر والمصائب فلا بد من تجرعه

قال المسترود اني ارغب في تقصير مدة الحديث والامل بالله ان لا يكون الامر كما تزعمين والان استودعك الله وقد طال امد جلوسي وآن وقت الانصراف

فامسكت الارملة بثوبه وهي تقول انتظر قليلاً فقد تذكرت امرًا مهمًا وهو ان زوجي اعطاني قبل وفاته مفتاحًا وكلفني بان ادفعهُ اليك عندما تسمح لي الفرصة برؤياك

فقال المسترود باهتمام اني اضعت مفتاحًا ثمينًا منذ زمن فلا يبعد ان يكون هو فهل لك ان تفيديني عن حجم وهيئة هذا المفتاح

قالت هو صغير الحجم غريب الهيئة

فصاح المسترود هو هو بعينهِ

فقالت الارملة انتظر الى ان تراهُ قبل ان تبت حكمًا في شانهِ

قال اريني ولك عليَّ في ذلك الفضل

فقدمت اليهِ الطفل وقالت تنازل الى حملهِ قليلاً ريثما احضر لك المفتاح المذكور من غرفة

المونة حيث اودعتهُ حرصاً عليهِ ان يفقد فيتعذر عليَّ الوفاء بوصية زوجي ثم اخذت السراج وسارت
وهي تقول اودعك ولدي ولا اظن بوجود خوف عليهِ

فاخذ المسترود الغلام بين ذراعيه واجابها وهو يضحك لكلامها ان كنت لا تأتمنيني على ولدك فاستصحبيهِ معك ثم قال في نفسهِ وقد بعدت عنهُ الارملة بحيث لا تسمع كلامهُ يالها من مسكينة سيئة الحظ فقد كانت غنية وسعيدة بما لا اظن انها تصل اليهِ في الاستقبال وإنا على يقين من ذلك واعجب كل العجب لعدم اطلاعي على شيء من تاريخ حياتها فان توما شبارد كان حريصاً على سرهِ يتجنب في الغالب التكلم عن امراتهِ وغاية ما اعلمه عنها انها مجملة بصفات حسنى تسمو بما لا يقاس على صفات زوجها فهي لم تخلق لتكون امراة لصانع نجار كتوما وتحتمل مثل هذه البلايـــا والنوائب وتسقط اخيراً في هذا المركز الصعب وكيف كان الامر فهي ذات قلب صالح سليم يتيسر بهِ الحصول على كل شيء اذا بقيت في قيد الحيوة على ان من المشهور المعلوم ان السعال الناشف هو بشير الموت فاذا صح ذلك تكون ايام هذه المسكينة في العالم قريبة الزوال اما هذا الطفل فلا بد من نجاحهِ وتقدمهِ بالرغم عن نبوة الهولندي المنجم او بالحري المشعوذ وتقدمهُ منوط بي موقوف على اهتمامي

وما وصل المسترود الى هذا الحد من التصور الا واوقفهُ عن اتمام خطة امالهِ صياح الطفل الصغير لانهُ وجد ذاتهُ بين اياد غريبة لا تحسن سياستهُ فاخذ في البكاء والعويل وهو يحث يديهِ ورجليهِ ويتقلب بقوة بين ذراعي ود فعمد المسترود الى اجراء وسائل الملاطفة المصطلح عليها استجلاباً لتسكين خواطر الاطفال ولما لم يصادف اهتمامهُ نجاحاً سئم الصبر وسلم بنفسهِ الى ما اعتاد عليهِ من الحنق وصاح بالغلام يتهددهُ ويتوعدهُ بما الجاهُ الى سكوت مغتصب لم يطل امدهُ حيث بعد ان تمالك روعه عاد الى سابق صياحهِ وعويلهِ فرأى المسترود من المناسب ان ينتقل بهِ من مكانهِ عسى ينقطع بذلك بكاؤهُ فاخذ المصباح بيده وفتح الباب وخرج بهِ الى خارج الغرفة

فندق النقود القديم

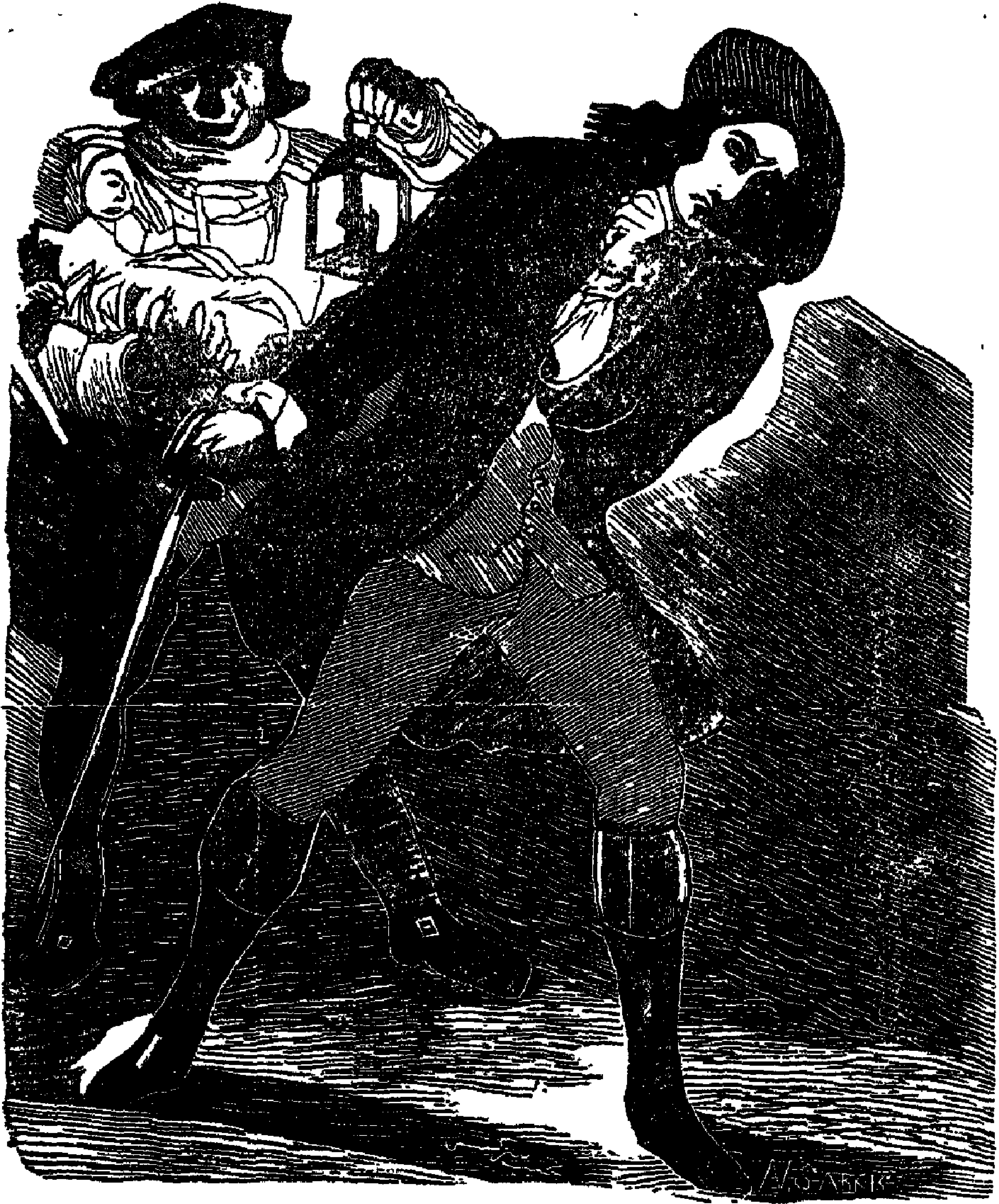
كان منزل السيدة جاكولين شبارد يولف تتمة صف من البيوت القديمة الخربة قائمة على ممر قذر غير لائق لان يدعى بفندق النقود فهو يمتد على طول ساقية عميقة محاطة بعدة احواض صغيرة مهملة ضمن حديقة مارجرجس والبيوت المجاورة لهُ مأهولة ببعض الباعة واللصوص والشحاذين وغيرهم من الادنياء الذين التجأوا اليها فراراً من وجه الدائنين والقانون . ويحسن بنا ان نورد هنا بان هذا الصالح المعروف بفندق النقود وان كان قد تجرد وقتئذٍ من بعض امتيازات حق الاجارة بمقتضى امر صدر في اثناء حكومة غيليوم الثالث كان لا يزال ايضاً عبارة عن ملجإٍ امين لمن يلتجأ اليهِ من المديونين وقد بقيت هذه الامتيازات مرعية الاجراء الى نحو نصف ايام حكومـــة

جورج الاول حيث اضحت عظمة الشرور الناشئة عن ذلك تصدر الامر بالغائها برمتها و بالنظر الى ما كان عليه هذا الصائح اثناء هذا الحديث من تنشيط المظالم وتامين الجرائم لجأ اليه قسم عظيم من لصوص العاصمة فتوارد عليه قطاع الطرق والقتلة والناهبون بما جعله مخيفًا مريعًا على حين كان من منذ جيلين تقريبًا مرتعًا للامراء وافاضل الناس فكان محتويًا على دار امارة شارل براندون والشيفلير ديك دي سيفولك المشهور بالعدالة والشرف والاستقامة ثم تحولت هذه الدار في ايام الملك هنري الى دائرة ضرب النقود ولكنها نقلت منها عند خرابها الى برج لوندرا و بقي مطلوقًا على الصائح هذا الاسم وهو فندق النقود

اما منزل الارملة فكان يمثل بقدميته وتهدمه حالة الفقر والشقاء بما لا يصل الفكر الى تصوره فمن سقف به عدة ثقوب ومن موقدة متهدمة ومن جدران مشققة مستندة بدعائم من الخشب ملقاة على البيوت المجاورة ومن نوافذ مكسرة استعاضت عن الزجاج بالورق ومن ارض محشبة مغطاة بالنعال القديمة وقطع حديد منتشرة ومسامير صغيرة الى غير ذلك ما يستدل منه على صنعة مؤجر المحل السابق وهو بولص كروف الاسكاف الذي المعنا عنه فيما سبق من الكلام ولم تتمكن السيدة شبارد من الحصول على هذا المنزل الا عقيب وفاته فانه انتحر مدفوعًا الى ذلك بما استولى عليه من الياس الناشيء عن السكر وكان لمشهده تاثير شديد في النفوس وداخل الناس الخوف والجزع من هذا المنزل ولاسيما لما كان يسمع فيه ليلاً من اصوات مريعة عزيت الى الارواح النجسة فاشتهر عنه انه مسكون بالشياطين وتجنبته العباد بما يسر للسيدة شبارد السكنى فيه بدون ان يكون لها فيه معارض او مزاحم وما استقرّت به زمنًا الا علمت ان الاصوات المخيفة صادرة عن مداعبة جيش عديد من الجراذين

وكان يصل هذا المنزل بالطريق مدخل ضيق يؤلف من حائطين واطئين حيث كان واقفًا المسترود مع الطفل الصغير ولما طالت غيبة السيدة شبارد سئم صبرًا فراى ان يتقدم الى الطريق بعد ان توصل الى تسكين جاش الغلام ليكشف على نوافذ الطبقة العليا من المنزل فاعانته ظلمة الليل الكثيفة على رؤيا ضوء ضعيف على غير استقرار في غرفة المونة يتنقل تارة الى الداخل واخرى الى قرب النوافذ فاحدق بنظره عبثًا لمشاهدة وجه الارملة ولكنه سمع صوت سعالها فهمّ الى مناداتها واذا بصوت سقوط مريع قرع اذانه وما لبث بعد ذلك ان راى شابًا قد اندفع خارج الطريق وهو يعدو عدوًا سريعًا والظاهر انه صادف في طريقه مانعًا لانه ما تقدم في سيره اكثر من عشر خطوات حتى انقلب راجعًا وانطلق في ممرّ وقوف المسترود وهو يستغيث بصراخ لم يفهم منه شيء ولا يصدر الا عمن غاب عن الوعي والصواب وبوصوله الى قربه القى بلفافة على ذراعيه وبدون ان يلتفت الى ما اصابه من الدهشة والاندهال اهتم بخلع ردائه

الثقيل ووضعهُ على كتفيهِ ايضاً . ثم استل حسامهُ واعار اذناً صاغية كمن ينتظر قدوم قوم يطاردونهُ
وكانت ظواهر هذا الرجل الفارّ موجبة للانتباه فاخذ المستر ود بعد ان تمالك روعهُ قليلاً يتاملهُ باهتمام فاذا هو شاب في زهرة العمر لا يختلف في اعتدال قامتهِ وتناسب اعضائهِ عن بهاء منظره وجمال طلعتهِ مرتدٍ بثياب بسيطة تدل على كرامة مرتديها وسمو درجتهِ في الهيئة الاجتماعية وبالرغم عن اضطرابهِ الشديد وقلقهِ المزيد كانت تلوح على وجههِ سمات الحزم والتأني والثبات



(ثم استل حسامهُ واعار اذناً صاغية)

وما انتهى من تاملهِ الا سمع صوت بكاء الطفل الذي كاد يختنق بما القي عليهِ لو لم يتداركهُ المستر ود ويخلصهُ من شر هذا الشرك فالتفت الرجل الغريب وقد اعتراه الاستغراب وصاح استحلفك بالله ان تفيدني . أمعك طفلٌ

اجاب المسترود وقد راى من رفيقهِ لين المسالمة بصوت الغضوب نعم معي طفل وقد كدت تخنقهُ بردائك الثقيل . . . . حقًا ان في الناس من لايحسن الملاحظة والانتباه

فقال الغريب في نفسهِ ربما تكون لهذا الطفل في نجاتي يدٌ بيضاء ثم وجه خطابهُ الى المسترود وقال هل نبقى طويلاً هنا

اجاب لا اعلم

قال الغريب لابأس فان باب المنزل مفتوح ولا حاجة للاستئذان بالدخول . ثم سمع في الحال اصوات المطاردين تقترب منهُ فصاح ياويلاه قد ازف الوقت ثم مد يدهُ واستعاد اللفافة التي كان القاها اولاً على ذراعي المسترود وهو يقول اعطني هذه اللفافة الثمينة واذا وفق لي الله النجاة احسنت مجازاتك انما صرّح باسمك

اجاب النجار اسمي اوفان ود انما اسمٌ باسم فصرح لي انت باسمك ايضًا

وبينما كان الغريب يتردد في الجواب علت اصوات الوافدين وظهرت الانوار على جدران البيوت المجاورة فقال اسمي درايل انما الحذار الحذار اذا عثروا بك ان تجيبهم عن شيء فان موتك يتوقف على جوابك فالتفّ بردائي واحترس عليهِ واياك والكلام ثم القى بالرداء على كتفيهِ ورمى بالمصباح بعيداً عنهُ بعد ان اطفأَهُ وفتح الباب واختفى عن الابصار وترك المسترود والطفل في ظلمة الليل الحالك

فصاح المسترود وهو يرتجف خوفًا فليرحمنا الرب ان المنجم والله كان مصيبًا وما اتم عبارتهِ الا سمع صوت اطلاق النار وشعر بمرور رصاصة من جنب اذنهِ ثم تبع ذلك صوت يقول انهُ اصبتهُ وانقض رجل في الحال على المسترود فمسك بطوقهِ ووجه بسيفهِ نحو مقتلهِ وكان يتبعهُ نحو خمسة او ستة رجال يحمل بعضهم مشاعل

فصاح المسترود قتلتني وهو يقاوم تخلصًا من عدوهِ الذي كان يضغط على مخنقهِ بما عسر عليهِ التنفس على ان احد رؤساء العصبة الوافدة تقدم وبعد ان اخذ مشعلاً وقربهُ من وجه المسترود قال لقد اخطأْنا الغرض ياسير ساسيل فالرجل ليس بغريمنا

اجاب السير ساسيل وقد افرج عن المسترود . نعم نعم لقد اخطأْنا غير اني نظرتهُ يخترق هذا الممر والاغرب ان رداءَهُ على كتفي هذا الشقي

قال روفلاند لاريب ان هذا هو رداؤُهُ بعينهِ ثم التفت نحو المسترود وسالهُ بازدراء واحتقار عن صاحب الرداء

اجاب المستر ان الواسطة السيئة التي اتخذتموها لتقريري لاتنيلكم اربًا . . لعمري ان خنق الانسان لايقود الى تكلمهِ واقرارهِ واعلموا بانكم لاتحصلون على ادنى افادة مني ان لم تحسنوا على نوع ما

معاملتكم لي

قال سيرساسيل اننا نضيع الوقت سدًى مع هذا الساذج واذا طال الحديث تمكن خصمنا من النجاة فهيَّا لنجد في طلبهِ ولا شك عندي انهُ التجأَ الى هذا المنزل فسيروا بنا اليهِ وعند ذلك علا صوت بكاء الطفل فصاح روفلاند وقد مسك برفيقهِ عن السير . يالله ما هذا الصوت الا تسمع يا رفيقي صوت البكاء فاننا لم نخطي تمام الخطاء فقد وجدنا الشعيلب والثعلب لا يكون عنهُ بعيدًا ثم جرد المسترود من الرداء الملقى على كتفيهِ ولدى نظره الى الطفل عمد الى الاستيلاء عليهِ فمانع النجار وهو يدافع متاخرًا الى ان وصل الى باب المنزل فاسند ظهره اليهِ واخذ يقرعهُ بشدة برجليهِ وهو يصيح باعلى صوتهِ جاكولين جاكولين افتحي الباب حبًا بالله ان كنت ترغبين في سلامتي وسلامة ابنك من سيف المعتدين . . عجلي عجلي ادركيني وافتحي الباب

فصاح سيرساسيل وهو يزبد غضبًا اقتلهُ اقتلهُ والا ادركنا البوليس

فاجاب روفلاند لا تخف ان البوليس لا يستطيعون ظهورًا في هذا الصائح المحتاز انما الخوف بل كل الخوف من قوم مطاردين

اما المسترود فعمد الى الاستغاثة غير انهُ منع عن ذلك بيد روفلاند الذي قبض عليهِ من طوقهِ وهو يقول لهُ ان عدت الى الاستغاثة مرة ثانية افقدتك الحياة فتخلى لنا عن الطفل وانا اعدك بشرفي ان لا يصيبك سوء

اجاب ود لا اسلم الطفل الا لامهِ

فصاح روفلاند يالك من شقي هل وصلت بك القحة الى حد ان تتلاعب بنا فاعطني الغلام والا . . . . .

وعند ذلك فتح الباب وتقدمت السيدة شبارد باقدام مرتجفة وقد زاد اصفرارها وظهرت عليها آثار الخوف الشديد فصاح المسترود وقد دفع اليها الطفل خذيهِ وبادري الى الفرار

فمدت السيدة شبارد ذراعيها وقبل ان تتمكن من اخذ الغلام كان روفلاند قد انتشلهُ من ايدي النجار ثم همس الى السيرساسيل ان يدخل المنزل مع رفاقهِ فاجابوا مطيعين وتركوا من خلفهم احد حملة المشاعل اما روفلاند فاعطى الغلام الى تابعهِ واشار اليهِ ان اخنقهُ يادافياس فسار بهِ دافياس المذكور الى احدى الزوايا حيث فك ربطة رقبته لاجراء الامر المعزوم عليهِ

قال ود وهو ينظر الى الارملة نظرا التعجب والخوف يالله كيف تتركين ابنك يخنق امامك بدون ان تبدى حراكًا او صراخًا لا ريب بانك قد فقدت الصواب

وبالحقيقة ان ظواهر الارملة كانت تدل على ضياع عقلها لان جوابها على كل ما قيل لها كان مقتصرًا على هاتين الكلمتين وهما . لم اجد المفتاح

فصاح المستر ود ما لنا ولهذا المفتاح الان يرغبون في قتل ابنك . . ابنك جاك . . فهمت اولم تفهمي بعد ياجاكولين

فاجابت السيدة شبارد لقد لطمت راسي فعدمت رشدي

فنظر المستر ود واذا بنقط من الدم تسيل على خدي هذه الارملة المسكينة

وكان دافياس قد اتم استعداداته فاطفأ المشعل وتهيأ للعمل

فصاح المستر ود وقد اصابته الرجفة من شدة الخوف لقد قضي الامر وياحبذا لو تكون الارملة قد فقدت العقل فلا تعود الى صوابها وتعي على ما نالها ثم عزم على بذل منتهى جده الاخير لخلاص الطفل ولو كلفه ذلك فقد حياته فاقبل يصيح بكل قواه قفوا . قفوا . ياللنجدة . ياللنجدة . ادركونا . ادركونا . ثم اتبع ذلك بصيحات اخرى كانت معلومة ومصطلح عليها عند اهل ذلك الصائح

ففي الحال سمع صوت البوق جوابًا على هذا الصراخ

فعاد المستر ود الى سابق ندائه وردد قوله . قفوا . قفوا . ادركوني . ادركوني

فصاح المستر روفلاند وقد طفح با لغيظ . سر الى الموت والجحيم ياشقي وضربه بسيفه على ان الضربة لم تصبه لان الظلام كان قد اخفاه عن اعين خصمه

فجدد المستر ود النداء . النجدة . النجدة . واذا بصوت يقول انتظر قليلاً ولا تخف شيئًا فاننا قادمون لنجدتك

ثم عقب ذلك صوت بوق ثان في نهاية الطريق ثم ثالث ثم رابع وكلها تدل على وقوع الشدة ووجوب النجدة فماج الصائح باهله يجيب النداء بسرعة ما سبقته اليها حامية من الجند مهيأة للقتال وقد ادركها العدو في ليل حالك فاشعلوا المصابيح وعلقوها في رؤوس العصي الطويلة وحملوا النبابيت وتسلحوا بما وصلت اليه ايديهم ثم اندفعوا جميعًا رجالاً ونساء الى حيث صدر الصوت وهم يوسعون المعتدين وعيدًا وتهديدًا

ومع ما اعتاد عليه اهل هذا الصائح من عدم الاكتراث والاعتداد بما يقع في طرقاتهم من الاعتداء كانوا جميعًا متفقين رأيًا ومتحدين عملاً في الدفاع عما خصوا به من الامتيازات ضد العدو العام الطامع الى مسها ولا سيما حينما صدر الامر الذي سبقت الاشارة اليه وقد شن رجال البوليس غارات كثيرة على اراضي هذا الصائح غير انهم عادوا بالخزي والفشل وما توصلوا الى اجراء عمل فيه الا استعانوا على ذلك بالدسيسة والخديعة

ولزيادة التحرس من عدو مفاجيء اقيمت حراس على جميع المخارج وهم مامورون باداء الاشارة المقتضية تنبيهًا للاهلين عند الحاجة والاقتضاء فتسد في الحال الطرقات وتقفل المعابر والبيوت والابواب والنوافذ وفضلاً عن ذلك فان الجهات المتطرفة من هذا الصائح كانت

محصنة بما يحيطها من الجدران المرتفعة والهوتات العميقة وزد عليهِ وجود بعض المسالك المتشعبة المعوجة بحيث لا يستطيع من يدخلها على الخروج منها الا بمساعدة من يدلهُ على سواء الطريق او بورقة تعطى لهُ من سيد الصايغ فيستعين بها على النجاة وهي مفتوحة المدخل لكل من يلتجيء اليها من المديونين فرارًا من الطالبين وخلاصة الامران عصبة الاهلين كانت على اتم التحسب والتحذر صيانة لشرّ بهِ يتمرغون

اما المسترود فما صرف الوقت ضياعًا بل كان على يقين من وجوب سرعة العمل لخلاص الغلام فانقطع عن الصياح ودافع بما في الوسع تخلصًا من ايدي روفلاند بما فتح لهُ طريق السير نحو دافياس وبوصولهِ اليهِ ضربهُ بشدة على راسهِ بما كاد يلقيهِ على الارض صريعًا اولم يحل بينهما حائط بجانبهِ ثم انقض عليهِ وانتشل من بين ذراعيهِ الطفل وعاد بهِ حيًّا سالمًا بعد ان جرد عنقهُ من منديل كان قد لفهُ عليهِ بقصد اعدامهِ خنقًا وعند ذلك ظهر ساسيل ورفاقهُ على باب المنزل وهم ينادون فرّ ونجا فقد بحثنا عليهِ في جميع الزوايا بدون ان نقف لهُ على اثر

اجاب روفلاند فلنبادر الى الاختفاء لان هذا اللئيم قد اكثر من الصياح بما اوفد علينا وفود الاشقياء فان لم نفر من امامهم وقعنا في شرك انتقامهم ثم استدعى بدافياس على حين كان يتهدد المسترود بالانتقام قائلاً دعنا من هذا الساذج الان واتنا بهذه الامرأة (يعني السيدة شبارد) الى داخل المنزل فلربما نستمد منها فائدة

فاطاع دافياس الامر عن غير رضًا منهُ واخذ بيد الامرأة يقودها وهي لا تقاوم الى حيث تبعهُ رفقاؤه واقفلوا من خلفهم الباب

وما مر على ذلك ثانية من الزمان الا نورت الطريق بما ظهر من المشاعل ثم سمعت اصوات الجموع ورنة الاسلحة بما دل على وصول الفرقة الاولى من الاهلين فتقدم المسترود الى مقابلتهم وهو يكاد يطير سرورًا بنجاة الطفل فاحدقوا بهِ من جميع الجهات وهم يقولون اين ذهبت رجال البوليس

اجاب المسترود عمن تسالون

قالت امرأة من بين تلك الجموع وقد لبست لعجلتها ثياب زوجها سهوًا نسأل عن رجال الضابطة التي تطلب القبض عليك

قال اخر نسالك عن الكلاب الكلبة

قال الجمع بصوت واحد وهم يلقون باسلحتهم ومشاعلهم الى الفضاء وقد فتحت غورافواههم ضحكًا وتقهقهًا . نعم عنهم نعم عنهم فقل اين هم الان

فارتجف لذلك المسترود وعلم انهُ بصياحه قد اثار نارًا يصعب اذا لم نقل يستحيل اخمادها

وزاد خوفهُ اضعافاً ما رآه في الجمع المحدق بهِ من اشارات التهديد ونظرات الوعيد غير انهُ تجلد وقال لم افهم منكم شيئاً

فصاح واحد من الجمع ماذا يقول

اجابت الامرأة يقول انهُ لا يفهم كلامنا

فظهر من بين الجموع شاب ظنهُ المسترود حبشياً لشدة اسمراره وقال ما لنا ولهذا الصياح فقد كاد يذهب بحياة هذا الساذج لخوفهِ ومن الواضح الجلي انهُ لا يفهم لهجة حديثنا ثم اقترب الى المسترود وبعد ان وضع يده على كتفهِ وجه اليهِ هذه العبارات

اين ذهبت رجال البوليس ايها الحيوان ولما لا تجيب هل فقدت عقلك . انك منذ قليل كنت تحسن التكلم والصياح فما بالك اصبحت ابكماً

واذا بصوت من خلف الجمع ينادي صه يا بو بلو ودعني اوجه اليهِ كلمة واحدة

فصاحت اصوات كثيرة نعم فليتولى جوناتان هذه المهمة فهو اقدرنا على القيام باعبائها

ثم فتح الجمع طريقاً لمرور جوناتان المحكي عنهُ فتقدم وهو شاب في العشرين او الاثنين والعشرين من العمر ولم يكن في ظواهره ولا في ثيابهِ ما يستدعي التفات النظر غير ان في هيئتهِ من آثار الخديعة والمكر شيئاً كثيراً وعيناه الصغيرتان الزرقاوان متباعدتان عن بعضهما بما يقرب مشابهة من الثعلب فان سحنتهُ ومنظره لا يختلفان عنهُ بشيءٍ فهو ذو انف طويل منحنٍ وجبهة عريضة منحطة تمتد على استواء الى اجفانهِ واسنان تترآى للناظر بما يوهمهُ انها توصل اذنهُ الواحدة بالاخرى بمزاج دموي حاد ويؤكد من رآه في حالة النوم ان اعينهُ لا تغمض بل تبقى مبحلقة ولعل المراد بذلك ما اراد الجاحظ بمعنى انه

ينام باحدى مقلتيهِ ويتقي باخرى المنايا فهو يقظان نائمُ

اما قامتهُ فتميل الى التقصر ما كثر منها الى الاعتدال متناسقة التركيب تمتاز عن منظرها بما اودع فيها من الاقدام ولا ريب ان كل من نظر الى اهتمامهِ في استطلاع دقائق اعمال هولاء السالبين يحكم بدون تردد ان غايتهُ الحقيقية في سكنى هذا الفندق انما هي الرغبة في الحصول على معلومات خصوصية عن اعمال الاهلين لا يلبث أن ينتفع بها بعد حين

ولما اصبح على مقربة من المسترود القى عليهِ نظراً حاداً وسالهُ بصوت غليظ عما اذا كان الرجال اللذين لجأوا الى المنزل هم من رجال البوليس

اجاب المسترود وقد داخل قلبهُ بعض الطمأنينة لا ياسيدي

قال تريد انهُ لم يقبض عليك احد من رجال الحكومة

اجاب المسترود بثبات لا

قال.هل لك ان تفيد ناعما اوجب صياحك بما نشأ عنه هذا الاضطراب والاختباط في الصالح
اجاب المستر ود ان حياة هذا الطفل كانت تحت خطر القتل باعتداء الرجال الذين اشرت اليهم
فصاح بو بلو بصوت الاعتجاب والاحتقار وتبعه في ذلك الجمع الحاضر. لعمر الحق ان العذر كافٍ واف يدعونا الى ترك افرشتنا وبيوتنا في هذا الليل لاجل خلاص طفل وحرمة جدتي ان في ذلك تمام الاستغراب
قال جوناتان في معرض السوال ايضًا . هل جئت تطلب التمتع بامتيازات الصالح
اجاب ان المسئلة لا تعلق لها بالدائنين ولست بمديون
فصاح بو بلو عن بعد امالة هل له ان يرينا دراهمه ويدفع الواجب
قال جوناتان هل سمعت ما يطلب منك فان صديقي يرغب ان يعلم ان كنت مستعدًا لان تفي الضريبة المتوجبة عليك باعتبار انك في جملة المديونين المستظلين بظل امتيازات هذا الملجإ
اجاب المستر ود بغضب اني لا ادفع ولا شلينًا واحدًا ولا اسمح مطلقًا بان يوضع اسمي في عداد هذه الاسماء الدنية ولا اعلم لماذا يدفع من يقوم بالواجب دراهم فقد قلت لكم ان هذا الطفل كان على شافة خطر الخنق وقد لف المنديل على عنقه وكاد يقضى الامر عندما دعوتكم للنجدة ولعلي بانكم لا تجيبون استغاثة مصاب فيما سوى مسالتي الدين والبوليس لم اصرح بما يتهدد الغلام من الخطر بل اقتصرت على طلب النجدة ليس إلا .
اجاب جوناتان ضاحكًا احسنت التكلم وحرية افكارك تستوجب الثناء انما كان من الواجب عليك قبل اظهار هذا التصلب والتعنف ان تهيء طريق الفرار والنجاة ولا ارى لذلك سبيلاً الا بدفع الرسم المتوجب ولا نتصور مطلقًا ان في الامكان خرق حرمة نظاماتنا بدون مجازاة المعتدي والاقتصاص منه فان حسبت نفسك في عداد المديونين ترويجًا لمصالحك فاعلم باننا لا نعدك منهم ولا ندافع عنك في جملتهم الا ترويجًا لمصالحنا ايضًا وقد كدرت راحتنا فاصبح من العدل والانصاف ان يستوفى منك الجزاء النقدي لما سببت من القلق في الصالح واقرارك يدل على سعة ذات يدك حيث لو لم تكن غنيًا لما كنت غير مديون فادفع لنا عشرة دنانير تغنم بها شيئًا كثيرًا وكان المستر ود في اثناء ذلك صامتًا باهتًا لا يبدي حراكًا ولا جوابًا . فعاد جوناتان الى اتمام الحديث بين ضجيج استحسان الجمع فقال
لربما اكون قد تجاوزت حدود سلطتي حيث رضيت منك بمثل هذا المبلغ الزهيد ولا اظن ان سيد الصالح وزعيم القوم يتساهل معك الى هذا الحد وهو لا يلبث ان يحضر فتعلم ارادته وانما انصحك كصديق محب ان لا تحرك غضبه فربما يعود عليك بالاذية واعدك بان ابذل الجهد الجهيد

لاسهل لك اطلاق السبيل بالقيمة الزهيدة التي صرحت لك عنها

فصاح المسترود منذهلاً . عشرة دنانير تعد قيمة زهيدة عندكم والله اني لا ابتاع فندق النقود باسره بمثل هذا المبلغ العظيم

قال بوبلو دفع اكثر من واحد قبلك ما يزيد عن هذا المبلغ تخلصاً من شر العذاب في فندق النقود

قال جوناتان . دعهُ وشأنهُ فهو حرٌّ في ارادتهِ يفعل ما يشأْ انما يصعب عليَّ جدًّا ان اراهُ مستخفًا في نصيحتي بما يعض عليهِ اصابعهُ ندامة

قال بوبلو ان كلامك يترجم عن نفس حاساتي في هذا الصدد حيث يعزعليَّ ان اعاملهُ بالعنو والقوة غير ان تمنعهُ عن دفع الدراهم يقضي بتعريضهِ للعذاب ثم تقدم الى المسترود وانتشل من بين ذراعيهِ الطفل وقال ان هذا العصفور الصغير هو منشأ كل هذه الغوغاء

فصاح المسترود اسيئوا معاملتي بما تستطيعون اليهِ وصولاً انما استحلفكم بالله ان لا تمسوا الطفل باذية بل ردوهُ على امهِ فتكتسبون عليهِ اجرًا

فسارع جوناتان الى السؤال منهُ عن ام الطفل وقال اجبني عن ذلك بوضوح وحاذر ان يسمعك احد غيري فان سلامتك مع هذا الصغير موقوفة على صدق وخلوص ايضاحاتك

وفي اثناء سياق الحديث بين المسترود وجوناتان شعر بوبلو بيد صغيرة مرتجفة مست يدهُ فالتفت واذا بجانبهِ امرأة في عنفوان الشباب مغطاة الوجه والقامة انما سمات الحسن متجلية على ظواهرها وكانت هيئتها تدل على انها غريبة عن الجمع الحاضر لا وجه للصلة بينها الا بما كانت تعيره من الاهتمام المزيد الى مشهد الاعمال الحاصلة بجانبها

فما نظر اليها الا تبادرت الى افكارهِ السؤالات الاتية هي من اين انت ومن تكون وماذا تريد وهمَّ ان يطلب منها عن ذلك ايضاحًا لو لم تبادره باشارة استدل منها على وجوب السكوت ثم قالت بصوت ضعيف مضطرب هل لك ان تاخذ هذا الكيس غنيمة باردة

اجاب بوبلو وهو يجهد النفس في تلطيف العبارة وتحسين الاشارة هل يتيسر لي معرفة ما فيهِ فلا امانع في اخذه

اجابت هو مملوءٌ بالذهب وسازيدك عليهِ هذا الخاتم ايضًا

قال بوبلو متبسماً وماذا تطلبين لقاء هذا العطاء فاني مستعد لاتمام رغبتك فان شئت قتل امرءٍ قتلتهُ وان شئت اطاعة عمياء ارتميت خاضعًا على اقدامك

فاجابت الامرأة وقد اثقلت عليها هذه المداعبة . اعطني هذا الطفل وحسبي بذلك عوضًا

قال بوبلو وهو يرمش بعينيهِ ويرمز بشفتيهِ اقترب مني قليلاً ولا تخفي فاني لا افعل معك سوءًا

ولطالما اشتهر عني حسن السلوك مع السيدات . . . ادفعي اليّ الكيس عاجلاً بحيث لا يشعر بنا احد
لله درك ان ابرع اللصوص مهارة لايقوى على دفعهِ بمثل هذه الخفة . و بعد ان احرز الكيس والخاتم
قال اني اجهل ياسيدتي قيمة هذه الاشياء على اني موثق بشرفك وضميرك واملي ان لاتكوني قد
تعمدت غشي

قالت الامراة وهي ترتجف خوفًا ان الخاتم من ماس ثمين فاعطني الغلام

اجاب بو بلو وقد دفع اليها الطفل واخذ يتامل الخاتم بمزيد الاعتناء لاريب انه من ماس فاخر فهو يعادل في لمعانه اعينك فتكرمي عليّ باسمك ان شئت ثم التفت يمينًا و يسارًا فما وجدلها اثرًا حيث كانت قد اختفت مع الطفل باسرع من البرق عن العيان

سيد فندق النقود

بينما كان الحديث معقود الاطراف بين بو بلو والامرأة كان جوناتان منزوٍ مع المسترود ومهتماً باستكشافهِ عن اصل الطفل والاسباب التي اوجبت توجيه مثل هذا العدوان ضده بما كاد يذهب بوضحية فلم يطلع منهُ على حقيقة ولكنهُ توصل اخيرًا الى معرفة بعض تفصيلات الحادث المجهول الذي مر على نظر المستر ود ووقف بعد ذلك مدة من الزمان باهتًا عرضةً للتفكر والتامل وهو يقول في نفسه ما هذا الحادث الغريب وكيف تاتي للشاب ان يستعين على الخلاص بطفل مجهول منهُ ونجح فيما عمل على انهُ لابد من سدّ سبيل النجاة في وجهه فلا عشت ان مكنتهُ من الفرار من فندق النقود بدون رضائي واذني فانني لاالبث ان اكتشف على مقره فيعلم طالبوهُ انهم لايتوصلون الى الغاية بدون ان تجود ايديهم بدفع الدراهم الكثيرة وان ابوا فعلى الشاب ان يشتري حياتهُ ببذل ما عزوه وهان وهي خطة كيفما سارت تنقلب عليّ بالكسب المزيد ثم نادى بوبلو بصوت عالٍ واشار اليهِ ان اتبعني واتجه نحو المدخل غير انهُ استوقف بما سمع من اصوات الترحاب المنذرة بوصول سيد الفندق واتباعهِ

وكان سيد الفندق ويسمى بابتيست كيتلبي حسن البنية قوي التركيب مستدبر البطن نهماً في معاطاة اللحم والنبيذ حاد النظر فرح العينين جامعًا بين حسن الطبع ومزايا الغدر والخيانة ولم يكن في ملابسهِ شيء ما يستحق الذكر

ويصحبهُ شخص اخر هولاندي لا يختلف عنهُ كثيرًا في الهيئة بثياب توهم الناظر اليهِ انهُ من افراد المساخر لولا الرزانة والوقار المتجلي بهما ومع انهُ كان قريبًا من سيد الفندق كان حريصًا على السكوت وظواهره تدل على انهُ غريق في بحر من التامل

وكان يتبعهما عصبة من الاشقياء مسلحون بعصي حديدية وكثيرون منهم يحملون سلاسل وهم يولفون جيشًا مخصوصًا لحراسة سيد الفندق

فتقدم جوناتان الى زعيم القوم واخذ يقص عليهِ سياق الحديث الغريب الذي اتصل به من المسترودفاضربت عن كل ما رأى في كتمانهِ منفعةلهُ واكد ان الشاب الهارب تمكن من النجاة . فتبادلت لذلك الاشارة بين بابتيست سيد الفندق ورفيقهِ بما ينوب عن الالسنة في ايضاح الافكار وفهم منها جوناتان المقصود فصرح بصعوبة الاحوال الحاضرة وقال انهُ اذا عهد اليهِ بالاجراء يقوم بما يعود عليهم بالنفع العميم

قال الهولاندي وهو فان كالبروك . دع جوناتان وشانهُ يفعل ما يشاء فهو قادر على ايقاف المطاردين وعندي انهم لو اوقعوا بطفل السيدة شبارد لوفروا عليهِ مشاق المشقة التي لا يلبثان يقضي عليهِ بها فيصادف حظ ابيهِ

اجاب سيد الفندق ان طفلاً كتب لهُ الموت شنقاً لا يخشى عليهِ في الحال فهو في مأمن من كل خطر ولا حاجة لان نهتم بهِ الان وجل الاهتمام هو الاستدلال على سبيل نصل بهِ الى كسب شيء اذ يستحيل علينا ان نحضر في هذا الليل ونعود صفر الايدي وانتم تعلمون ان بابتيست اذا انخرط في عمل لا يخرج منهُ الا والغنيمة في يده وحل هذه المسألة منوط بي متوقف على اهتمامي ثم صاح بالجمع وهو يشير بعصاه الى منزل السيدة شبارد ان تقدموا فاسرعوا في الحال وهم يضجون ويعجون وقد علت من بينهم اصوات الابواق والطبول وغيرها الى ان وصلوا الى المحل المعين فقرع الزعيم الباب وصاح افتحوا . . . افتحوا . . . والا فنجبر على الدخول عنوة . وردد القول والقرع مراراً بدون ان يصادف جواباً فعمد الى مطرقة كسر بها الباب ودخل ومن خلفهِ فان كالبروك وعدد غفير من ذلك الجمع الى حيث كان روفلاند والسير ساسيل مستعد بن للقيام والسيوف مسلولة بايديهما

فصاح سيد الفندق جردوهم من السلاح انما تجنبوا اهراق الدماء

اجاب بو بلو . تعني اننا نبطش بهم فنعدمهم الحياة خنقاً لا ذبحاً

قال بابتيست وقد احدق بنظره الى روفلاند . ان لم يخطني فكري تكون . . .

قال روفلاند . ان فكرك لم يخطك قط يا حضرة الخواجه بابتيست فاننا اصدقاء من قديم العهد وسروري لا يوصف الان برؤياك

اجاب بابتيست اني اشكر الله الذي عرفتك قبل ان يقع بيننا امر مكدر

قال روفلاند . ارجوك ان تصرف هذه الجموع ان كان ذلك في امكانك لاني اريد ان اختلي بك لاحادثك باشياء مهمة

قال . ان لذلك واسطة واحدة لا يتم المراد بدونها

اجاب روفلاند فهمت المقصود فادفع لهم ما تراهُ مناسباً لارضائهم واني مستعد لا يفاتك المطلوب

فصاح بابتيست بالجمع قضي الامر باولادي وحسم الخلاف وابرم بيننا الوفاق وما من حاجة

بعد للصياح والتجمع . فتعجب السير ساسيل لذلك ومال على صديقهِ يسالهُ عما اوجب تسكين الهياج

قال روفلاند . ان الصدف عرفتني بصديق قديم وهو زعيم هذه الجموع فيمكننا ان نكاشفهُ في الامر ونتكل عليهِ فيكون لنا صاحباً امينًا يعيننا على بلوغ الغاية

قال سيد الفندق وقد وجه خطابهُ الى بو بلو اذهب ياولدي فان حضرات الخواجات يريدون ان يبقوا منفردين بانفسهم هنا وقد دفعوا الواجب . ثم التفت الى ما حولهُ وقال . اين ذهب جوناتان . فاهتم بو بلو في البحث عليهِ ولما لم يجده . داخل القوم من ذلك العجب ولا سيا سيد الفندق حيث كان واقفًا بجانبهِ . ولكنهُ اعرض عنهُ وعاد الى بو بلو فاستدعاه وهمس في اذنهِ قائلاً هل لك معرفة بالامراة التي دخلت المنزل مع الجمع

فصاح بو بلو متبرئًا من معرفتها مخافة ان يظهر الامر فيجبر على تقسيم غنيمتهِ واقسم انهُ لم يرها وانهُ لا يوجد بين الجمع من النساء الا كات الامازونية ومول المحاربة

فقال بابتيست ان الامرأة التي سالتك عنها ليست في جملة هولاء بل كانت تتجنب ما استطاعت الاختلاط بين القوم والذي يظهر انها تحمل طفلاً

فقال بو بلو . ان صح ذلك فهي السيدة جاكولين شبارد

قال . اصبت انما لي مهمة احب ان اعهد اليك بها

اجاب . مر فاني مطيع لامرك

قال ان المراد بت مسالة الحساب المطلوب من الرجل الذي اقلق الحي بصراخه وان تمنع او حاول في الدفع فخذوه في الحال الى آلة العذاب حيث يستوفي الجزاء . فاظهر بو بلو الخضوع والانقياد ثم ودع سيده وانصرف . وكان روفلاند والسير ساسيل ينتظران فروغ صبر نهاية هذه المحاورة . فالتفت اليهم سيد الفندق وقد خلا بهم المكان وقال اكرموا بما تريدون فاني مستعد لاتمام اوامركم

السطح والنافذة

فلنترك الان سيد الفندق مع رفاقهِ محتدمين في مذاكراتهم ونسير في اثر جوناتان متتبعين خطواتهِ فانهُ استغنم فرصة ازدحام الاقدام واهتمام كل بصوالحهِ الخاصة وانسحب الى خارج الغرفة لا يقصد بذلك فرارًا من وجه قتال كان يتوقع حصولهُ حيث لم يكن من الجبناء بل طلبًا لانفاذ تصور رسم في ذهنهِ فصعد السلم واشعل قنديلهُ الضعيف وبينما كان يبحث باجتهاد وقف مترددًا اذ نظر السيدة شبارد تنتش في ارض الغرفة كانها اضاعت شيئًا ولما علم انها لم تشعر بهِ تسلق الدرجات الموصلة الى غرفة المونة فعثرت رجلهُ بمفتاح صغير فالتقطهُ ووضعهُ في جيبهِ وهو يقول

لاتستخف بشيء ولو مهما كان حقيرًا فلربما استعنت بهذا المفتاح الصغير على فتح باب تتم به سعادتي . وبينما كان مهتماً في الخروج من احدى نوافذ غرفة المونة نظر واذا قطع من القرميد منثورة على الارض فصاح وقد ظهرت على وجهه دلائل الفوز والانتصار ان الرجل المطلوب مرّ من هنا ولا بد من القبض عليه في الحال ثم غطى قنديلة بردائه و بعد عناء عظيم تمكن من الصعود الى السطح وتقدم ماشيًا على القرميد يبذل في توازن خطواته مزيد العناية والرعاية وكان ظلام الليل الحالك يجبره على الاستعانة بيديه في مسيره لعلمه ان زلة واحدة كافية لان تلقي به الى الطريق فضلاً عن الثقوب الكثيرة التي كانت اقدامة على الدوام عرضة للسقوط فيها ولم يكن له في هذا السير الخطر ما يستعين به على الهداية الى سواء السبيل فكان لا يستطيع ان ينتفع بقنديله بدون ان يعرض نفسه الى خطر شديد وكان لا يتجاوز نور المشاعل المضيئة من نحو جدران البيت . و بوصوله الى مقربة من عدة مداخن ملتحمة ببعضها وقف يستعين بقنديله على الظلمة الكثيفة المحدقة به فداخله الجزع وكاد يقع في القنوط عند ما رأى ان لا وجود لاثر جديد يستدل منه على مركز غريمه الجاد بطلبه و بعد ان تامل قليلاً قال علمت مكانه ثم اخفى القنديل وعاد الى سيره فقطع المسافة التي تفصله عن المنزل المجاور وصعد على سطحه وتقدم الى سلم من الخشب بما يدل على معرفته التامة باحوال المنزل و بعد ان بلغ اعلاه مسك باليد الواحدة فردًا وفي الاخرى القنديل وانحدر الى رواق قديم فكشف الضوء في الحال الشاب الفار يحمل على ذراعيه طفلاً فصاح جوناتان وقد تذكر الاسم الذي اتصل اليه من المسترود الحمد لله فقد وجدك خادمك بعد الجهد ياسيدي درايل

قال الشاب وقد تهيأ للدفاع . من انت

اجاب جوناتان بعد ان وضع الفرد في جيبه . صديق ياسيدي

قال . كيف يمكني ان اتحقق كلامك فاثق بصداقتك

فقال . وما الموجب لحضوري اليك الان لو لم يكن ذلك بقصد خدمتك فلا تضيع بالباطل وقتًا ثمينًا يصرف في سبيل خيرك فان حياتك وحياة طفلك في قبضة يدي فماذا تدفع لي جزاء اتعابي فاخلصكما من الاعداء المطاردين

قال وهل تستطيع قبل كل شيء تخليصنا

اجاب اني بدون شك استطيع ذلك انما قل الان ماذا تدفع لي جزاء على هذه الخدمة

قال . اني لااملك الا هذا الكيس وفيه من الدراهم ما ليس بقليل فهو لك واذا نجوت ابقى مديونًا لجميلك

اجاب جوناتان بصوت الازدراء والاحتقار . ما لنا ولدين الجميل فهو دين يزول بزوال الخطر ولا يقبل به الاَّ من تجرد عن الصواب اما انا فاريد مالاً متقومًا

قال .اعطيك كل ما املكهُ الان

اجاب جوناتان .ان ما تعرضهُ عليَّ عوض قليل بالنظر الى الخطر الذي اقدمت عليهِ وانما لاباس فاتبع خطواتي ولاحاجة لان انبهك الى وجوب الاحتراس والتيقظ في السير فانت اعلم مني بذلك ثم اخفى القنديل وقال لاخير في ضوء يهتك السر ويكشف الستر

فقال درايل . لي كلمة اقولها لك قبل كل عمل فاني لااعلم من انت ولا من تكون ولم ارَ وجهك ولكني سمعت من صوتك ما جعلني على ارتياب في سلامة طويتك فخذ لنفسك الحذر واعلم اني اقتلك بدون شفقة عندما يظهر لي منك اثر الخيانة

اجاب جوناتان . اني عرضت بنفسي الى الخطر لاجل خلاصك وذلك وحدهُ كاف لان تحسن بي ظنًا فان مطارديك يحثون عنك في اسفل هذه الدار فما الذي كان يمنعني عن احضارهم اليك لو قصدت لك سوءا

قال درايل .كفى كفى فلنسر . ثم اندفع الاثنان من حيث اتيا وبوصولهما الى نصف الطريق اوقفهما عن مداومة السير ما سمعاهُ من الصيحات المخيفة والاصوات المريعة فحققا النظر واذا الجمع من تحتهما محدق برجل مسن يسيء معاملتهُ ويوسعهُ اهانة بين لطم المستهزئين وقهقهة الضاحكين وهو يصيح بالويل والحرب وما من سامع يشفق وقد رفعت قبعتهُ على عصا طويلة وتمزقت ثيابهُ وساء حالهُ وانتشر شعرهُ وهم يلقون بهِ طورًا الى الفضاء وتارةً الى الارض وحينًا الى الساقية وكان الرجل المهان هو المسترود حيث تمنع عن دفع الضريبة فساربهِ بوبلو والجمع يطلبون آلة العذاب ليقضى الله عليهِ امرًا كان مفعولاً

فصاح درايل .والله اني كنت السبب في بلاء هذا الانسان

قال جوناتان .ان في الاساءة اليهِ منفعة له لعلهُ يتعظ فلا يقدم على عمل الخير بعد الان . ولما لم يصادف كلامهُ جوابًا جد في مسيره ودرايل يتبعهُ الى ان بلغا غرفة المونة فنزلا اليها وانحدرا منها الى مقربة من غرفة السيدة شبارد واذا الباب قد فتح بعنف وظهر على السلم عدد من الناس يحملون مشاعل وفي جملتهم روفلاند والسيرساسيل .فوقف درايل لذلك باهتًا واستل سيفهُ وقال لرفيقهِ بصوت كاد لا يسمع قد خنتني وسنا ل جزاء خيانتك

قال جوناتان بثبات ورزانة اسكت فاني لم ازل قادرا على خلاصك ثم نظر واذا بالمطاردين قد انقلبوا راجعين واختفوا عن الابصار فقال هيا فاعطني يدك لان الوقت قصير والحياة عزيزة ثم دخل بهِ الى غرفة صغيرة في اخر المنزل حيث اظهر قنديلهُ وفتح في الحال نافذة تلقي الى الطريق وعليها شبكة من الحديد تحول دون الخروج منها فعمد جوناتان الى حل السلاسل التي تربط اعلاها بالنافذة والقاها بهدو الى الارض فكانت سلمًا امينًا للنزول وقال

ان تكون حرًّا وفي مأمن من الخطر فاني اكتشفت على سر هذا السلم من صديق لي كان يسكن هذا المنزل واسمهُ بولس كروفيس واستعملتهُ مرارًا ولكن لم يخطر على بالي قط ان استعين بهِ يومًا على تقديم مثل هذه الخدمة العظيمة فهل تشك بعد ذلك في صدق كلامي

قال درايل اني مديون لك بفضلك فهاك كيس النقود واملي ان لا يبخل عليَّ باسمهِ من كانت على يده نجاتي . فاخذ جوناتان الكيس وقال لا حاجة لك في معرفة اسمي فاني لا اعلق املاً كبيرًا على علائق وروابط الولاء

قال درايل وهو يتنهد بما يجرح لهُ الفؤاد . ان صوتًا مخيفًا في اعماق قلبي ينبهني الى اني ساعٍ الى مصاب اعظم وخطر اكبر

اجاب جوناتان . ليس على العناية شيء بعيد وانما لو كنت مكانك لما ترددت في الحكم بين خطر حاضر ذريع وخطر لم يخرج عن دائرة التصور

قال درايل . اصبت فدلني الان على اقصر الطرق المودية الى نهر التيمس

اجاب . اني لا ابخل عليك بما يمكن من الافادة حيث يصعب عليَّ تحديد الطريق من هنا تحديدًا وافيًا بالمقصود فسر على يمينك مستقيمًا الى ان تبلغ نهاية هذه الجدران فتصل الى ويتكر ستريت وهو شارع طويل ينتهي بك الى شارع كنيستر يت ومن ثم تسير على شمالك فتبلغ دادمان ومن هناك لا يلزمك الا قليل من الخطوات حتى تصل الى رصيف سان سافيور فتجد ثمَّه فلكًا يعينك على قطع النهر

قال . احسنت . وعمد الى السلم فاعانهُ جوناتان على النزول ثم قال لهُ مهلاً فان من الموافق ان تستصحب معك هذا القنديل عساك تكرم عليَّ عوضًا عنهُ باثر منك اتوصل بهِ الى التعرف بك يوم تجمعنا واياك الاقدار . ويكفيني لذلك كفوفك . فاخذ درايل القنديل ورمى لهُ بكفوفهِ الى داخل الغرفة ثم نزل بهدوء وما لبث ان بلغ الارض فصاح بصوت الفرح . الحمد لله على النجاة . ثم التفت الى جوناتان وقال لهُ استودعك الله بقلب طافح بالامتنان واعين مملوءة بدموع الشكر

فقال جوناتان في نفسهِ اما الان وقد ذهب الارنب البري فلنجد في طلب كلاب الصيد واندفع لهذه الغاية من الغرفة التي كان فيها الى سلم المنزل وعند ما بلغ منتهاه صادف في الظلمة امرأة ظنها السيدة شبارد فالقت بنفسها عليهِ وتمسكت بذراعيهِ وهي تقول لهُ بصوت مضطرب اين تركتهُ فقد سمعتهُ يتكلم معك فلم اتجاسر على الاقتراب منهُ مخافة ان تتجه اليهِ انظار المطاردين

قال ان كنتِ تقصدين بذلك الشاب الهارب درايل فقد نجا بنفسهِ من النافذة . فتنهدت من صميم فؤادها وصاحت فليتمجد اسم الرب على هذه النعمة

قال جوناتان . يا للعجب من تقلب النساء وشدة نسيانهم فانك تشكرين الله على نجاة رجل سعى بان عرض ابنك للقتل

اجابت وقد علاها اصفرار العجب ماذا تعني بكلامك ياسيدي

قال . اعني انك لاتجهلين ان درايل استعان بابنك على تخليص حياته بان وضعهُ بدلاً من ابنه وقد نجحت حيلتهُ فنجا بها ووقع ابنك في الشرك

فصاحت الامراة . اذاً هذا الطفل ليس بولدي

قال . لا فاني عهدت بولدك الى بوبلو وهو مع الجمع في الطريق

قالت . ولمن يكون هذا الغلام

قال . لا اعلم ولكنهُ على كل حال لم يرسل من السماء فهو من لحم ودم . ثم مسّ الطفل بيده فبكى واكثر من الانتحاب بما اسمع السيدة شبارد من الغرفة المجاورة فركضت نحو الصوت وهي تصيح ولدي ولدي . منوا عليّ بولدي

قالت الامراة . وقد وجهت خطابها الى جاكولين شبارد أانتِ امهُ

اجابت وقد اخذت الطفل وضمتهُ الى صدرها . نعم امهُ وقد اضعتهُ ووجدتهُ فاشكر الله على كرمهِ

فصاح جوناتان وقد سمع من الحديث ما القاه في لجة الاستغراب . يا للخطاء ارتكبتهُ باعطاء قندبلي الى الغير . ثم وثب الى اسفل السلم وهو ينادي الضوء . . . الضوء . وعند ذلك صاحت الامراة وقد ظهر عليها الخوف الشديد ترى من اين يمكني الفرار فانهم لا محالة يقتلونني اذا وجدوني كما تعمدوا قتل ابني وزوجي من قبلي

فسارعت اليها السيدة شبارد تستدرك ما بقي لها من القوى لتنشيطها على الفرار وهي تقول . اقبلوا . . . اقبلوا . . . انجي بنفسك . . . . اصعدي الى السطح

وفي الحال ظهرت المشاعل على السلم وسمع صوت الضحك والقهقهة فاحتارت الامراة في امرها وبقيت مرتابة لا تدري ماذا تفعل على انها انتبهت بغتة وقالت تذكرت لهذه الغرفة نافذة . واندفعت بسرعة الى داخل الغرفة

قالت السيدة شبارد ان النافذة مغلقة

اجابت . لا بل مفتوحة . ورمت بنفسها منها واذا بجوناتان قد وقف تجاه السيدة شبارد ونظر اليها بعين التهديد وقال ابن ذهبت وكرر السوال مراراً

قالت . صعدت السلم . (تريد سلم غرفة المونة)

اجاب . وقد دفعها عنهُ بشدة حيث كانت تحاول منعهُ عن الدخول الى الغرفة التي دخلت الامراة الغريبة اليها . كذبتِ يا شقية فهي هنا وهم الى التقدم واذا صوت عظيم سمع من جهة النافذة

وتبع ذلك الصوت سكوت مخيف انتهى بتنهدات عميقة . وكان السير ساسيل قد دخل وقتئذٍ الغرفة فاخذ مشعلاً وتقدم بهِ نحو النافذة و بعد ان وجه الضوء الى اسفل وتأمل مليًا عاد نحو روفلاند وقد تغلب عليهِ الخوف والاصفرار وقال لهُ بصوت ضعيف . قتلت اختك

اجاب روفلاند بدون ان يظهر عليهِ اثر للارتياع . ماذا انت لتفعل هنا . فليسقط دمها على راسها

قال السير ساسيل بصوت المتاثر الحزين . انها لم تستطع مقاومة سوء حظها فقادها الى حتفها

اجاب وهو يجهد نفسهُ في اخفاء قلقهِ . اذهب واعتني بجثتها ثاني آتي اليك عما قليل . واعلم ان مثل هذا الحادث يزيدني اصرارًا على عزمي فقد محي بموت اختي نصف العار الذي لحق بنا ولطخ شرفنا ولا يلبث ان يمحي كلهُ ان شاء الله فقد اقسمت يمينًا بوجوب قتل ذاك الخائن الشقي مع ابنهِ . ثم التفت الى جوناتان وقال لهُ . هل لك معرفة ياسيدي في الطريق التي سار فيها الرجل الذي نطلبهُ فتفيدنا عنهُ

قال . نعم ولكنكم لا تنالون مني فائدة ما دمتم لا تدفعون لي عوضًا . فاخرج روفلاند في الحال من جيبهِ كيسًا ودفعهُ الى جوناتان وقال تكلم الان

قال تجدونهُ عند رصيف سان سافيور فهو عازم على قطع النهر وقد اهديتهُ الى الطريق البعيدة ولكنهُ تقدمكم

وما اتم كلامهُ حتى اسرع روفلاند الى النزول من النافذة وتبعهُ جوناتان و بقية المطاردين ولم يبقَ في الغرفة الّا ثلاثة اشخاص وهم سيد الفندق وفان كاليبروك والسيدة شبارد . فاوضح سيد الفندق اهمية الحادث الواقع وقال ان المطاردين لحسن الحظ على اتم الالتحام مع صاحبنا في الجهة الثانية من البحر (يريد حزب الستوارت) . ثم مدح من اقدام جوناتان وقال اني تنبئت قبلاً بما سيصل اليهِ هذا الانسان

قال فان كاليبروك نعم وانما اذكر بان فان كاليبروك تنبأ ايضًا بان المشنقة لا تحرم منهُ نصيبًا . ثم انصرف الاثنان و بقيت السيدة شبارد وحدها فاطلقت لدموعها العنان وصاحت . واحرباهُ . اني احسد المراة الغريبة على هلاكها واشتهي الممات ولكن واحسرتاه من يسهر بعدي على حياة ولدي

خبر خير

ومضت مدة والسيدة شبارد مطرقة تسكب الدموع دون ان تبدي حراكًا ولكنها تمالكت قواها اخيرًا فوضعت ابنها الصغير على الارض وجثت على ركبتيها ورفعت يديها واعينها نحو السماء وصلت الى الله قائلة «انر نفسي يا الهي واعلمني بعظيم خطيئتي اني احتملت كثيرًا واثامي تستحق القصاص بالموت انما تنازل ايها الاب السموي الرحوم وامهلني قليلاً . لا اطلب منك ذلك طمعًا بالحياة بل حبًا بهذا الصغير . واذا قضت ارادتك الالهية ان يعيش وحده في هذا الوجود بدون

ام ترعاه باعينها فاسمح بان لا يكون له نصيب من الشقاء الذي استحقيته باثامي » و بعد ان انهت من صلاتها وقفت على قدميها وضمت الغلام بذراعيها وهمت ان تنزل به السلم واذ فتح باب الطريق وشعرت بخطوات اقدام في المنزل وسمعت صوتاً من الاسفل يقول اين انتِ اينها الارملة . فلازمت السيدة شبارد على السكوت فتكرر الصوت بما يفيد ان صاحبه يطلب الارملة لامر مهم يتعلق بها وهو جائع يرجو قبل كل شيء ما يسد به رمقه . ولما لم يصادف جواباً قال لا مانع اذا لم تحضري اليّ فانا احضر اليك وسانوب عنك في اعداد الطعام لنفسي حيث لا يليق بي ان اتعبك واقبل في الحال على المائدة يتناول ما عليها بشره فلم يبقِ ولم يذر . وما اتم طعامه حتى لعبت براسه بنت الحانه فصاح يخاطب السيدة شبارد قائلاً . جئت اطلب يدك فتكونين لي زوجة وتستعيضين بي عن ترما شبارد . ثم وقف يتمايل بمفاعيل الخمرة يميناً وشمالاً واتجه الى السلم في طلب الارملة فارتاعت لقدومه واستولت عليها الرجفة وسارت نحو النافذة وفي العزم ان تلقي بنفسها منها فتصادف حظ الامراة الغريبة وتستريح من اهوال عيشة شقية . واذا رجل يتسلق الشعرية فاندفعت الى الوراء وكادت تقع الى الارض لو لم يستدركها بو بلو بدخوله الى الغرفة بعد ان بحث عنها خارجاً وهو يحمل في اليد الواحدة شمعة وفي الثانية زجاجة خمر . فقبض عليها وقال ضاحكاً . اسعدت بلقياكِ وقد كدت اقطع منه املاً

فقالت بصوت المنكسر الخائف اتركني بالله اتركني دعني في شقائي فكفى تسيء الى هذا الصغير المسكين الم تسمع صياحه وعويله

اجاب بخشونة وقساوة . ليته يختنق ببكائه فاني اكره الصغار ولو انيط بي امرهم لامتهم جميعاً . ثم افرج عنها وقال اسكتيه والا اعدمته الحياة . فهرعت الارملة تلاطف ابنها وتبذل المجهود في تسكين جاشه اما بو بلو فوضع الشمعة على الارض وازدرد قليلاً من الخمر ثم عاد الى اتمام حديثه فقال والان لديّ خبر خير اريد ان ارفعه اليك

اجابت وقد وجهت اليه نظرة المشك المرتاب خبر خير لي

قال نعم لك فاحذري ان استطعت . فشعرت السيدة شبارد لذلك بخفقان في قلبها ومع انها فهمت المراد من كلامه تجاهلت عنه وقالت لا استطيع حذراً

قال ما دام الامر كذلك فلا مانع من التصريح لئلا تطول مدة الارتياب فاعلمي اني قادم لامد لك يدًا واعرض عليك الاقتران مني ولي الامل الوثيق انك لا ترفضين طلبي ففي صباح غد نسير الى الهيكل لاجراء عقد الزواج . وما وصل الى هذه العبارة الا وانتفضت جاكولين رعشة . فقال ما بالك ترتعشين ان ما نوهت به لجهة الطفل هو من قبيل المزاح فصدقي وثقي باني احبه كما لو كان ولدي وسابذل العناية في تحسين تربيته بحيث يصل الى يوم يبلغ به ان شاء الله شهرة ابيه .

فصاحت . واويلاه من هذا الشقي

فاحتدم بوبلو لذلك غيظاً وانقض عليها وقبض على ذراعيها وقال وصلت بك القحة الى حد ان تمانعي في انفاذ ارادتي

اجابت وقد كادت تغيب عن الصواب من شدة الخوف . اذهب عني اتركني وشاني

قال وقد استلقى على ظهره ضحكاً . لا اطلق لك سراحاً ولا اقول ذلك مزاحاً

اجابت . خذ لنفسك الحذر فاني لست وحدي هنا بل في النافذة اناس ثم صاحت . يا للنجدة يا للنجدة فلم يجبها الا صدى صوتها فتأكد بو بلو بعدم وجود من ينجدها . فقهقه ضحكاً وتمايل حبوراً وقال ما الفائدة من هذه المقاومة والعناد فارجعي الى عقلك واهتدي الى صوابك . فقد حملت ابنك ساعة فوفد عليّ بسببه الخير الكثير فكيف اذا توليت تربيته واحسنت معاملته واقام عندي . ثم اخرج من جيبه كيساً وخاتماً وقال لي هذه النعم كلها (يريد الكيس والخاتم) اصبغت علي اليوم والفضل بذلك لابنك وها من الامرأة التي رمت بنفسها من هذه النافذة ولو كنت وقتئذٍ حاضراً بدلاً من جوناتان لما سارت الاحوال الى هذا المصير الوخيم

وعند ذلك سمعت حركة في الخارج فصاح وقد نظر الى النافذة بقلق ما هذه الحركة . ولكنه عاد فقال انها ناشئة عن هبوب الهواء

قالت الارملة وهي تريد تخويفه لا بل ناشئة عن جوناتان ويلد الم اقل لك ان في النافذة اناس ياتون لنجدتي

قال متعجباً . جوناتان ويلد ياتي لمعونتك وهو عدوك الالد على انك معذورة فيما تزعمينه ولو قسم لك النصيب باستماع كلمات زوجك الاخيرة لتاكدت عداوته وعلمت انه هو الذي قتله ولولاه لكنت بالف راحة وسلام

فصاحت وقد اهاجتها الذكرى حتى كادت تحترق بنارها . ارجع الى الوراء كي تجربني

قال . ماذا تعنين بتجربتك

فاعادت قولها . ارجع الى الوراء

اجاب وقد اخرج من جيبه سكيناً . فهمت مقصودك . تريدين ان لك على جوناتان ثار وهي كلمة حق لا تصدر الا عن القلب الصادق الامين فقد قتل زوجك ولا بد من قتله جزاء لاعتدائه وخيانته وتريني مستعدّ الاتمام رغائبك فمري فقط والامر يقضى طبقاً لارادتك . واليك الان هذا الخاتم فهو من ماس ثمين وقد جئتك به عربوناً للنتيجة فانظري اليه تجدين اسم صاحبته محفوراً عليه ثم احدق بنظره في الاحرف المرسومة على فصه وقرا « اليفه ترانشار »

قالت . ماذا تدعى . . . اليفه ترانشار

قال . نعم فهل تعرفينها

فاجابت وقد وضعت يدها على جبهتها كانها تستجمع بذلك قوى تصوراتها . اذكر اني سمعت هذا الاسم منذ زمن مديد ولكن اين وفي اي حين لا اعلم

قال . ما لنا ولها فان هذا الخاتم هو لي الان فخذيه وضعيه في اصبعك . ثم مسك يدها فانتشلتها منهُ مرتاعة وعادت القهقرى خائفة مذعورة . فتتبع خطواتها وعمد الى القبض عليها وصاح بها ضعي الطفل هنالك



(ثم اخذ باليد الثانية السكين وعمد الى الايقاع بها)

فنادت وقد رفعت الطفل الى ما فوق راسها . ارحمني يارب ارحمني

قال . ان لم تضعيهِ فاجاك المصاب من حيث لا تعلمين

اجابت . ابدًا . . ابدًا . . . فعض على السكين باسنانهِ وزبد الغيظ والحنق يتدفق فوق اشداقهِ وانقض عليها فوقع عن راسها الغطاء ونثر شعرها على اكتافها فقبض عليهِ باليد الواحدة والقى بها بعنف الى الارض والطفل المسكين بين ذراعيها وقد ضمتهُ الى ثدييها بحنو خالطهُ خوف شديد . ثم اخذ باليد الثانية السكين وعمد الى الايقاع بها واذا ضربة شديدة فاجئتهُ بغتة من خلفهِ فسقط

لساعتهِ الى الارض غائبًا عن صوابهِ . فرفعت جاكولين شبارد نظرها واذا جوناتان ويلد واقفًا عند راس بوبلو وهو يتامل الخاتم بمزيد الانتباه والدقة ويردد في نفسهِ هذه العبارة . ترانشفار . اليفه ترانشفار . لقد صدق قولي في ايراد هذا الاسم وان وافقني الحظ بان عاشت اخت روفلاند بعد هذه السقطة غنمت بهذا الخاتم المال الكثير وتوصلت بهذه الارقام الى معرفة مرتكبي هذه المكيدة واسبابها

قالت السيدة شبارد وهل لم تمت هذه الامراة ياسيدي

فصاح جوناتان وقد اخفى الخاتم في الحال . يالحماقة ظنتك غائبة عن الصواب

فكررت الارملة سوالها وقالت حية هي الى الان

اجاب وماذا يعنيك ذلك

قالت وهل تمكن زوجها من الفرار

فنظر اليها بعين الازدراء وقال لها ان الزوج لايخشى اعتداه من اقارب زوجتهِ وانما ان سألت عن معشوقها فهو في التيمس يقطعهُ هربًا من مطارديهِ وان ابقت عليهِ الزوبعة فلا يبقي عليهِ المطاردون وقد سرت خلفهُ ولو توفقت انا ايضًا الى فلك لتاثرتهم في طلب معرفة النهاية وانما الحمد لله على العود حيث نلت بهِ الخير الكثير

قالت . نعم ولولا مجيئك لقضي عليَّ مع ابني

قال عجبًا هل تفهمين بكلمة الخير خلاصك مع ابنك فوالله لو لم يهج بوبلو بكلامهِ غضبي وتدعوني الصوالح الخصوصية الى السير في هذه الخطة لنجحتِ مع ابنك بدون ان احرك ساكنًا لنجدتك فاني لا انسى الى الابد اهانة زوجك لي

اجابت زوجي اهانك

قال نعم انهُ داس اقتراحاتي باحتقار مرتين فعفوت عنهُ في الاولى ولكنهُ خانني في الثانية وكان المراد وقتئذ سرقة بيت النجار ود فوعدتهُ بالمشنقة ووفيت بوعدي

قالت . لايلبث ان يأتي يوم تنال بهِ جزاء اعمالك فيكون لك نفس الحظ الذي سعيت بهِ لزوجي

قال . لايبعد ذلك ولكني ساسعى بارسال ابنك الى المشنقة من قبلي

فصاحت متنهدة وقد جمد الدم باردًا في عروقها بما وقف لهُ جوناتان منتصبًا على الاقدام وقال لابد من قتل ابنك شنقًا بنفس الحيلة التي شنق بها والدهُ وذلك يوم يبلغ اشده ويعد في جملة الرجال

فصاحت . اشفق عليَّ وارحم ضعفي

قال . نعم سيجد في لهُ شيطانًا مريدًا فلا ينال الشفاء الا من يدي

فعاودت الصياح قائلة باعلى صوتها . اذهبي عني ايتها الافعى الجهنمية . دعني ايها القاسي وشاني ولا تقودني الى السخط واللعن

قال . العني واسخطي مهما استطعت

فرفعت يديها وشفتيها الى السماء كانها تريد ان تسخط على عدوها ولكن الحنو الوالدي تغلب فيها على الغضب . فجثت على ركبتيها ومدت ذراعيها الى ولدها وصاحت من فواد منفطر ان صلوات امك الحزينة وتضرعاتها تتغلب بدون ريب على دسائس الشياطين ونوايا المنافقين

اجاب جوناثان وهو ذاهب ستبدي لك الايام من امري عجائب . وما خلت الغرفة بالسيدة شبارد الا خنقتها العبرة فسقطت على وجهها الى الارض مغشياً عليها

الزوبعة

توصل المسترود بعد عناء شديد الى الفرار من ايدي مضطهديهِ فاندفع الى خارج فندق النقود يعدو بما في الامكان من السرعة الى ان خارت قواه وضعفت عزيمتهُ فوقف يطلب لنفسهِ راحة و يتخذ لسيرهِ خطة واذا ببناية على مقربة منهُ يعلوها قبة مرتفعة فعلم في الحال انها كنيسة المخلص و بينما كان يجول بنظره فيها دقت الساعة نصف الليل وتبع ذلك اصوات أجراس عديدة بعيدة فشعر بارتعاش في اعضائهِ ناشيء عما هو مستولٍ عليهِ من الخوف والتحسب من الوقوع في خطر جديد وزاده قلقاً منظر السماء الغريب فكان يعلو جناح قبة الكنيسة بهيق نور مصفر باهت يدل على طلوع القمر وكانت الرياح قد ابتدأت تهب بشدة فمزقت الغيوم وبددت شمل الابخرة الكثيفة المتلبدة في الفضاء فظهر القمر بعد ان كان مختفياً عن العيان يرسل ضوءه الباهت من خلال الغيوم الكثيفة المحدقة بهِ ولم يكن في السماء اثر لنجمة وكانت البروق تشق الفضاء بلمعان نور مشرب بالاحمرار مما يزيد في عبوسة منظر الجو المختبط فاضطرب المسترود بما راه من دلائل الزوبعة وكان التعب قد اخذ منهُ كل ماخذ فصرف همهُ الى ايجاد محل يأمن فيهِ غائلة البرد فيستغنم الفرصة للتامل فيما يسعهُ اتخاذه من الوسائل وفي الحال لاح لهُ نور من دسكرة هنالك فاتجه نحوها ودخل اليها وطلب قدحاً من الخمر وكان صاحبها واسمهُ داود ببش صديقاً لهُ فترحب بهِ وسالهُ عن سبب اصفراره وخوفهِ فجلس يصطلي بقرب النار وبدا يقص عليهِ واقعة حاله في فندق النقود وما جرى لهُ مع بوبلو ورفاقهِ ثم اعلن عن رغبتهِ في قطع نهر التيمس بما يمكن من العجلة تحسباً من ان تفاجئهُ الزوبعة

قال صاحب الدسكرة رايت الجو عند غروب الشمس على غير عادتهِ فداخلني الشك في جودة الطقس وعلمت ان الزوبعة لا يؤمن شرها في هذا الليل

قال نوتي مسن كان يدخن بجانب النار . من الموكد المقرر ان الرياح لا تلبث ان تهب

عاصفة عما قليل

فانتصب ود واقفًا وقال استودعكم الله فان الوقت حرج عليّ ابلغ الضفة الثانية من النهر قبل اندفاع الرياح

قال صاحب الدسكرة . ان كان ولا بد من الذهاب فهاك ملاح يحسن خدمتك ويتم رغائبك . ثم صاح برجل ممدد على بنك في زاوية المنزل قم يابين وتهيأ لقطع النهر فان صاحبنا ود بريد فلكًا

اجاب وقد استيقظ من رقادهِ واهتم في جمع المنتشر من ثيابهِ الى اين نقصد الذهاب ياسيدي

قال . الى الجهة الاقرب من ويكستريت

قال النوتي المسن . انكما لاتستطيعان بلوغ الجهة الثانية من النهر في هذه الليلة

قال بين ولماذا

قال . لان الزوبعة على الطريق والارياح ستكون شديدة الهبوب . فاستلقي بين على ظهرهِ ضحكًا وقال . ان صح ذلك فلا يقتضي لدفع الخطر الا ان اكون على استعداد لهُ . لعمري ان ما تقولهُ من عدم الاستطاعة على قطع التيمس هو ما لم تره عيني ولم تسمع بهِ اذني

قال . ستراه في هذه الليلة برأى العين فلا تعود في حاجة لان تسمع بهِ من الغير وعلى كل فاني ناصح لك ان لاتخاطر بالعود ان سهل الله لك سبل الوصول فبلغت الضفة الثانية سالمًا

قال بين . اني مستعد لان اراهنك فادفع لك شلينين ان لم اقطع النهر واعود في ساعة من الزمان

اجاب . لامانع وقد قبلت بذلك وان اكن على يقين من ان الشلينين سيصحبانك الى قاع النهر فلا انتفع بهما

قال . لاتخف فاني اوصلك حقك حيًّا كنت او ميتًا

ثم اسرع مع المسترود في طلب الرصيف وما مضى قليل من الثوان الا بلغا درجات النهر حيث كانت القوارب مرتبطة صفوفًا فعمد بين الى قارب منها ثم اعان المسترود على النزل وجذف بهِ مبتعدًا عن البر . واذ ظهر على الرصيف رجل يحمل قنديلاً وسمع صوت ينادي فلكًا فلكًا . فاشتبه المسترود في الصوت كما لو كان قد سمعهُ قبل ذلك الحين

فصاح بين . في الفلك على مقربة منك ملاَّح نائم فايقظهُ وهو يعينك على قطع النهر

فصاح الرجل ثانية . اني مضطر الى سرعة السير ومعي طفل فهل لك ان تسمح لي بمكان في فلكك فادفع لك ما تشتهي اجرة

وعندما سمع المسترود بذكر الطفل فطن الى الرجل الهارب الذي القى عليهِ الرداء في صانع

النقود . فقال في نفسهِ لايبعد ان يكون هو الرجل المذكور . وسال بين ان يعود بهِ الى الرصيف تلبية للنداء . فامتنع عن ذلك حذرًا مما ينذر بهِ الماء والهواء من النوء الشديد وارسل مجاذيفهُ تشق قلب الامواج فانطلق الفلك بسرعة في عرض النهر

ولم تطل مدة قلق المسترود على الرجل حيث ما لبث ان راى الملاح الثاني يتهيأ للاقلاع وسمع صوت المجاذيف تنذر بالابتداء بالسير . ثم تبع ذلك ظهور اناس آخرين على الرصيف فقال بين . انظر ياسيدي الى كثرة عابري النهر في هذا الليل . فالتفت ود واذا ثلاثة اشخاص انحدروا الى فلك يندفع بهم مع التيار بما يسبق هبوب الرياح سرعة وكان احدهم يحمل مشعلاً والاخران منهمكان في تحويل انظار المجذفين الى القارب الذي تقدمها وهو على مرمى نظر منهما . وحقيقة الامر ان المسترود لم يخطي بما توهم لان الرجل الغريب كان درايل والثلاثة الباقون مطارديه وقد جدوا من خلفهِ في الطلب

فرافق المسترود درايل بالنظر علهُ يتصل الى كشف سر الحادث ولكن اعينهُ لم تعنهُ على معرفة شيء فراى القارب بما فيهِ عبارة عن غمامة سوداء معرضة لصدمات الامواج . اما بين فراى غير ذلك حيث انصل الى معرفة الحقيقة وعلم ان هذه المطاردة لايطول امدها لان مسافة البعد بين القاربين كانت تطوى تحت مجاذيف المطاردين وبقي يتبع باهتمام حركاتهما وسيرها وهو يجهد القوى في التجذيف ليحافظ على مركزهِ فلا يتاخر عنهما

وكانت الليلة مخيفة بما ظهر فيها من طلائع الزوبعة فلم يقدم على قطع النهر غير هذه القوارب الثلاثة ولم يكن الظلام كثيفًا الى حد عدم التمييز بين الاشباح . وكانت الرياح العاصفة قد سكنت بغتة فنشأ عنها سكون عميق سمع في اثنائهِ صوت اطلاق الرصاص فحول المسترود نظره الى جهة صدوره فراى على ضوء مشعل المطاردين ما غار لهُ فوادهِ جزعًا فان القاربين كانا قد قربا من بعضهما بما لم يعد بعدهُ للنجاة سبيل حيث اصابت الرصاصة ملاح قارب درايل فتعطلت المجاذيف عن السير بالقارب الى الجهة المطلوبة فقادهُ التيار الى نحو قارب الاعداء ولم يعد الهرب في الامكان . فتهيا درايل للدفاع ووقف منتصبًا على قدميهِ والسيف مسلول في يدهِ . وكان المطاردون ايضًا يستعدون للايقاع بفريستهم . وعند ذلك التصق القاربان ببعضهما فعمد المطاردون الى ربطهما بالحبال . ونظر ود فاذا اثنان في جملتهما روفلاند انقضا على درايل في قاربهِ . فاشتبك بينهم القتال العنيف . ولم يكن الا كلمح البصر حتى سمعت ضجة شديدة تبعها صوت يدل على سقوط رجل في الماء

فصاح ود وقد دبت بهِ الحمية فاعمتهُ عما هنالك من الاخطار . بالله يابين عرّج بنا الى جهة هذه القوارب فقد سقط رجل الى النهر ومن الجبن الذميم ان نتاخر عن نجدتهِ

فقال بين وقد وجه بالحال قاربة نحو ساحة العراك . ان نجدتنا له لا تفيده شيئًا فقد مضى عليها الوقت وقضي الامر المقصود ثم مخر القارب مسرعًا في السير فوصلا بعد ثوانٍ قليلة الى مقربة من المتقاتلين حيث كان القتال محتدمًا بين اثنين وهما روفلاند ودرايل وكان الثاني قد تغلب على دافياس معاون خصمه ورمى به الى الماء في الحال فمات خنقًا بالنظر الى قوة التيار المندفع بشدة في النهر. وكان الملاحون يشتغلون في مقاومة جريان الماء والمحافظة على رباط القاربين لئلا تقوى الامواج على فصلها . اما بين فاندفع بقوة مجاذيفه الى بلوغ الحد المطلوب وقبل ان يتمكن من ملاصقة القاربين كان القتال قد بلغ النهاية . فان درايل تقوى بعد عراك قليل على روفلاند وكاد يحرز عليه نصرًا وكان الاثنان ممسكين عن استعمال اسلحتهما والقارب يخور تحت اقدامهما ويكاد يغور بهما الى اعماق النهر وشعر روفلاند من خصمه بالقوة ومن نفسه بالضعف فصاح يستنجد بحامل المشعل فلباه في الحال بان سحب خنجرًا وطعن به درايل فهوى



بان سحب خنجرًا وطعن به درايل

لساعته الى اعماق النهر ولكنهُ عاد بعد هنيهة فظهر على وجه الماء وقد اشرف لجرحه على خطر الموت واخذ يعارك الامواج في طلب القارب الذي سقط منهُ مدفوعاً الى ذلك بما هاج في صدره من شعائر الياس ولما لم يقوَ على الوصول اليهِ صاح . واولداه وفلرة كبداه

فاجاب روفلاند وهو يبتسم فرحاً بمصابه . لقد احسنت ان ذكرتني بابنك الشقي وقد نسيتهُ وما كان في الخاطر ان اهرق بيكما . ثم تناول الغلام بيدهِ وقذف به نحو والدهِ المسكين فوقع على مقربة منهُ بحيث تمكن من مداركتهِ قبل ان تقوى المياه على خنقهِ واذ ذاك مدَّ لهُ قارب المسترود مجذافاً ليستعين بهِ على الصعود

فصاح درايل وقد رفع الطفل باليد الواحدة الى ما فوق راسهِ واستند بالثانية الى المجذاف ساعد قبل كل شيء هذا الطفل الصغير ونجه . فتناول ود الغلام وقال للاب اعطني است يدك ايضاً

اجاب . وقد انحلت عرى قواه فانحدر مع الامواج بعيداً عن القارب . لم يعد ذلك في الامكان فقد نجا ابني وكفى فاصبحت مديوناً لكما بالجميل استودعكما الله . ثم علتهُ المياه فاختفي عن العيان

وكان روفلاند في اثناء ذلك قد انتبه لوجود حركة بالقرب منهُ فقبض على المشعل وحول نوره الى محل الاشتباه فشاهد ما كان من امر درايل والمسترود . وصاح مذهلاً . في جوارنا قارب . نجا الطفل . حلوا الحبال واسرعوا في الحال . اسرعوا الى مجاذيفكم . . . . اسرعوا . . . اسرعوا

وما صدر الامر الا بادر الملاحون الى الانفاذ فتركوا قارب درايل عرضة للتيار واندفعوا من خلف المسترود يطلبون لحاقه ولكنهم اخفقوا سعياً بما جد من الحوادث الفلكية المخيفة مما لم يكن في الحسبان . فان الفلك في كل هذه المدة كان صافياً ولكنهُ تغير بغتة عندما اتجه روفلاند نحو الموخرة واصدر الامر بالمطاردة فسمعت اصوات الرعود القاصفة بما يعادل طلقات كثيرة من المدافع الضخمة . ثم عصفت الرياح الشديدة بما القى في قلوب الجميع خوفاً عظيماً فكانت تحمل المياه فتدفعها بعيداً امواجاً مزبدة ولم تكن هذه الزوبعة كغيرها مما سبق لهُ مثيل في لوندرا بل كانت تهدم وتقتلع كلما تصادفهُ في طريقها فتساقطت الابراج وتطايرت الاجراس واقتلعت الاشجار وكثير من المراكب تحطمت واندفعت ترطم الصخور فتكسرت اربا واتثرت قطعاً . فلم يرَ وقتئذٍ الا الظلام الكثيف والخراب العظيم والخوف المريع والاختباط الجسيم فكانما العالم سائر الى منتهاه

وبينما كانت لوندرا تئن تحت اثقال وطئة هذه الزوبعة المريعة بين الخراب والدمار واليأس والشنار كان المسترود المسكين ينتظر بصبر وتسليم وفود المنية وكان الغرق يتهدد قاربهُ

الصغير في كل لحظة وقد صادمت طليعة الزوبعة موخرتهُ واندفعت المياه بعنف على مقدمتهِ وتلاعبت بهِ الامواج فكانت تعلو بهِ آونة وتنحدر اخرى وقد ترك وشانهُ تحت رحمتهِ تعالى لايجد للخلاص من دونهِ سبيلاً

وكان المستر ود منذ بدأت الزوبعة ملقى في قاع القارب لايعي على شيء وقد ضم الى صدره الطفل اليتيم فشعر واذا يد قبضت بشدة على ذراعهِ ثم سمع همساً في اذنهِ وكان الهامس بين وقد فعل ذلك ليتمكن من اسماعهِ فلا يذهب الكلام ضياعاً في الهواء . فقال . لقد قضي علينا ياسيدي ولم تعد النجاة في الامكان فالقارب عما قليل يشرف على الجسر ويصدم القناطر فيتحطم اذا لم تبتلعهُ المياه قبل وصولهِ .

اجاب . الرب من علو مجدهِ ينظر الينا ويساعدنا فقد اخطأنا ياولدي حيث لم نسمع للشيخ النوتي نصحاً

قال بين اذا وفقك الله وكنت اطول مني عمراً ونجوت بنفسك فارجوك ان تدفع لهُ اجرة القارب فاكون بذلك قد وفيتهُ حقهُ وانجزت وعدي

اجاب وقد علت اصوات شديدة مخيفة . بالله ماذا الذي اسمعهُ

قال . هي اصوات العواصف فكن ثابتاً صبوراً

فصاح ود وقد اندفعت على راسهِ موجة قوية امتلأ بها القارب ماء . ياالهي تحنن علينا نحن الخطاة ونجنا من هذا العذاب

وبلغت الزوبعة منتهي شدتها وحدتها وتزايدت الرياح بما قطع الكلام بين الاثنين فظهر على المستر ود خوار قوي وجمدت حركاتهُ فلم يقوَ الا بعد العناء والجهد على رفع راسهِ وقد صاح بين مردداً قولهُ . . . الجسر . . . الجسر

جسر لوندرا القديم

كان لنهر لوندرا في ذلك الحين جسر واحد يمتاز بعظيم بنائهِ عما انشيء بعدئذٍ فيها من الجسور العديدة فهو عبارة عن شارع يمتد على النهر وقد اقيمت على جانبيهِ المنازل والمخازن فلا تنقطع منهُ اقدام المارة بل تراهُ على الدوام مزدحماً بوفود الناس بما يعادل اعظم الشوارع الانكليزية وكانت المنازل ممتدة على طولهِ وهي قديمة العهد معقودة البناء. اما الجسر فمحمول على ١٩ قنطرة تسندها دعائم كبيرة تاخذ بافكار الناظر ومن تحت الدعائم ارصفة تمتد الى مسافة في عرض النهر صوناً للبناء من التيار فلا يقوى على صدعهِ

وكان بين قد نظر الجسر قريباً منهُ وشعر بحقيقة الخطر المحدق بهِ فصاح بالمستر ود . انتبه من غفلتك . فنظر واذا انوار بيوت الجسر قد ظهرت تخترق دقائق الظلام الكثيف . ثم

ما لبثت ان اخذت وصدم القارب بعنف احد الارصفة فانتصب ود واقفًا كما لو كان قد دفع بقوة الي ذلك واذا ببين يصيح بهِ ثب الى البريا سيدي . فاطاع الامر في الحال وقد زاد الخوف في قوتهِ وشدد من عزيمتهِ فوثب والطفل بين ذراعيهِ الى ما فوق سطح الرصيف سالمًا . واما بين فلم يصادف حظ رفيقهِ من السلامة حيث ما عزم على الاقتداء بهِ الا ودفع قاربهُ بقارب روفلاند وقد ضل بالتيار كغيره فاختلت بذلك قدمهُ و بعد ان بلغ بوثبتهِ حافة الرصيف رجع بقوة جسمهِ مدحورًا الى الوراء وسقط بقوة الى النهر فعاود الكرة وتوصل بعد عناء شديد الى التمسك بحجر على ان قوة اندفاع المياه تغلبت عليهِ وتمكنت منهُ فارسل صوتًا مخيفًا واختفى في عباب الماء . وسمع المستر ود الصوت ولكنهُ لم يكن على استعداد لنجدتهِ فان الخطر الشديد فضلاً عن انتهاك القوى كان لايزال محدقًا بهِ . وللافصاح عن حقيقة مركزهِ وما سيتأتى بهِ عليهِ لانرى بدًّا من التكلم ولو قليلاً عن بناء وهيئة هذه الارصفة فنقول

تقدم الكلام معنا ان كل دعمة كانت موقاة من صدمات الزوابع برصيف يمتد على طول معلوم متوازن يختلف بالعرض باختلاف حجم الدعائم بما يولف حصنًا حصينًا لدفع هجمات الامواج وكانت تحمل هذه الارصفة اسس متينة قويت على الثبات امام تصادم المياه اجيالاً عديدة . وكان الرصيف الذي صعد عليهِ المستر ود لايزيد عن سبعة اقدام في الطول وستة في العرض مغطى بالاوحال تعلوهُ على الدوام الامواج المتلاطمة بما جعل ارضهُ زلقة لاتستقر عليها الاقدام . فتمدد عليهِ فرارًا من العواصف ولكنهُ عرَّض نفسهُ بذلك الى خطر اعظم وهو اختباط الامواج المتواصلة بما لايومن بجانبهِ خطر النهور في النهر وشعر انهُ ينحدر بالتدريج الى طرف الرصيف فانتصب على قدميهِ خائفًا مذعورًا و بعد التفكر والتامل عزم على ان يتسلق الدعمة بامل ان يصل الى احدى نوافذ الجسر ولكنهُ عدل عن رايهِ اخيرًا لاستحالة السير في ذلك الطريق وخطر لهُ ان يمرَّ من تحت قنطرة الجسر على حافة الدعمة التي لايتجاوز عرضها القدم طمعًا منهُ في بلوغ رصيف الجسر الشرقي بما يقيهِ شر التعرض لهياج الزوابع . ولاعتقاده ان الموت اصبح امرًا محتومًا غير بعيد عنهُ اذا دام محافظًا على مركزه لا يتحول عنهُ راى من المناسب ان يختار اخف الخطرين فحمل الطفل باليد الواحدة وتقدم يزحف على ركبتيهِ ويستعين باليد الثانية على التمسك بالحائط والاتكاء عليهِ حفظًا للتوازن بين كفتي ميزان الجسم . وما وصل الى تحت القنطرة الا اوقفهُ منظر ازباد المياه بما يشبه انفجار بركان متاجج بالنار فكاد يحجم عن العمل ولكنهُ سيق اخيرًا اليهِ حرصًا على الحياة العزيزة ملتزمًا ان يداوم هذا السير الخطر مسافة سبعين قدمًا . فبعد اجهاد النفس والقوى تمكن من قطع نصف الطريق واذ عارضهُ حجرٌ كبير حال دون المامول فجرى الدم باردًا في عروقه وتكلل جبينهُ بعرق اليأس وقطع الرجاء لان الرجوع كان مستحيلاً وتخطي الحجر يلقي بهِ

الى الهاوية والهلاك . ثم حانت منهُ التفاتة الى المياه المزبدة تحت اقدامه فاعترتهُ دوخة لم يقوَ بجانبها على الوقوف فاتكأ بقوته على الجسر فسقط يهوى من تحته الى النهر فتجدد في قلبهِ الامل والعزم وعاد الى مداومة التقدم . و بعد معاناة البلاء ومعاركة الشقاء تيسر لهُ بلوغ النقطة المقصودة حيث هرع كالمجنون يطلب الطفل ولما لم يجد لهُ اثرًا مسكتهُ الرعشة وتوارد الدم متراكضًا الى قلبهِ وتراءى لهُ الوجود مملوءًا بعواصف النكبات والاهوال فنادى بالويل والحرب والقى بنفسهِ على ارض الرصيف لا يعي لشدة هول جسهِ ولكنهُ ما لبث ان تمالك روعهُ فتذكر انهُ وضع الغلام في حفرة عندما صادف الحجر في طريقهِ فعمد الى العود في طلب خلاصه ولو مهما كلفهُ ذلك من المشاق والاخطار ولم يتردد في عزمه فانكفأ من حيث اتى فوجد الغلام في مكانهِ فحملهُ على ذراعهِ وانقلب راجعًا الى الرصيف لا يشعر باتعابهِ لما لحق بهِ من الفرح بوجود الغلام و بوصلهِ الى الجهة الثانية من الجسر اطمأَن حيث لم يعد للزوبعة والرياح عليهِ من سبيل . فتقدم الى ما بعد الرصيف واذا شبح بجانبهِ فعلم انهُ لم يكن وحده هناك ولكن الظلمة منعتهُ من تمييز هيئة جاره الجديد فاقترب اليهِ ووضع يدهُ على كتفهِ تنبيهًا لهُ بوجوده فارتعش الغريب لذلك وتكلم بما لم يفهم منهُ شيءٌ لاشتداد الزوبعة وهياج الانواء التي لم تدع وجهًا لتجديد الكلام بينهما فاخذ المسترود في التفكر كالماضي في طريقة للخلاص ورفع نظرهُ الى ما فوق راسهِ فوجد على مسافة غير بعيدة منهُ نورًا ينبعث من نافذة احد البيوت القائمة على الجسر فطار لذلك فرحًا . وتناول في الحال حجرًا استخلصهُ من شقوق البناء ورمى بهِ النافذة فاصاب لوحًا من الزجاج فسقط كسرًا . ولما سمع اصحاب المنزل صوت الزجاج وعلموا محل صدور الحجر ادركوا سر المسألة وعلموا ان هنالك غريق يستغيث بهم من افواه الامواج ففتحت النافذة ودلي منها سلم من الحبال في اسفلهِ مصباح

فمسك المسترود بيد جارهِ يريد استلفات نظرهِ الى طريق السلام وتقدم الاثنان سوية الى نحو السلم بحيث كشفهما نور المصباح فتهتك الستر وازيح حجاب الظلام عن وجه الغريب فظهر من تحتهِ روفلاند وقد احدق بنظره الى الغلام وصاح بصوت شديد . أ ابن الشقي في قيد الحياة . ان وجوده كافٍ لاختناق مسعاي بعد ان تمكنت من اعدام والديهِ ومعاذ الله ان اخرج من هذه المعمعة خاسرًا

ثم قبض على المسترود وتمكن بالرغم عن بسالة الدفاع من ان يقوده الى حافة الرصيف واذا بصوت اندفاع شديد يعادل صوت الصاعقة ينذر ان الزوبعة قد اقتلعت رفراف السطح من فوقهما فهوى ساقطًا على طول دعمة الرصيف بما ذهب بالمسترود عن الوجود . وعندما انتبه من غيبوبتهِ وجد ذاتهُ وحدهُ والطفل بجانبهِ صحيحًا سالمًا فضمهُ الى صدره وخاطبهُ قائلاً . وان فقدت والديك ايها الصغير المسكين فلا تفقدني ابًا شفوقًا وليكن اسمك منذ الان «نيمس درايل»

تذكاراً لهذه الليلة المخيفة ثم هرع الى السلم فتسلقهُ صاعداً الى النافذة . وما رست قدماه في ارض المنزل الا سقط الى الارض لشدة ما نابه من التعب والمخاوف . ولما عاد الى صوابهِ وجد ان اهل المنزل كانوا قد احسنوا الاعتناء بهِ وبالطفل فاضجعوهما على افرشة دافئة واهتموا في تنشيف ثيابهما. وشعر ورود عند منتصف النهار من نفسهِ بالاستطاعة على السير الى منزله فودع اصحاب البيت وانطلق يعدو بالطفل وهو يزاحم الناس في سبيله الى ان وصل الى نهاية شارع فلات ستريت واذا رجل انقض عليه ومسك بالطفل وهو يدعي انهُ ابنهُ وقد اختلس منهُ . وكان المعتدي في جملة المطاردين لدرايل في النهر فلم تخفَ هيئتهُ على المستر ورد فصاح يبرئ نفسهُ مما رمي به وكاد يذهب صياحهُ واحتجاجهُ عبثاً لو لم تبادر فرقة من البوليس الى تبديد شمل المعتدين بما اطلق سراح المستر ورد فاخذ ينهش الارض ركضاً الى ان بلغ منزلهُ فسلم الطفل الى امراته والقى بنفسه على المقعد طلباً للراحة لا يستطيع لمزيد الوصب كلاماً .



الزمن الثاني

سنة ١٧١٥

الصانع الكسلان

مضى على ما مر معنا في سياق الحديث ١٢ سنة حيث كنا بالامس تحت لواء الملكة حنة واليوم نستظل بظل حكومة الملك جورج الاول . . . .

ففي ذات يوم من شهر حزيران عاد المسترود النجار من اشغال له في الخارج الى منزلهِ على حين كان لا ينتظر مجيئهُ و بوصولهِ عمد الى الاستطلاع على حال دكانهِ وتعجب بما صادف من السكوت كانّ لا اثر هنالك لحي فاقترب من الباب وصغى ليتحقق خبر صانعهِ ولما طال امد الانتظار عبثًا فتح الباب بغتة وانسل الى داخلهِ وقد عزم عزمًا ثابتًا على الاقتصاص منهُ اذا وجد في اعمالهِ للقصاص محلاً . وكان هذا الدكان كغيره من امثالهِ لا يعدم شيئًا من الالات والمواد اللازمة لمعاطاة صناعة النجارة كمناشير ومطارق وازاميل ومقاطع وغير ذلك وهي مرتبة صفوفًا على طول الجدار بما يشبه السلاح في الثكن العسكرية . وكانت المسامير المكسرة والبراغي المحطمة والاقفال المعطلة ملوثة بالغراء والدهانات الكثيرة الالوان وملصوقًا على الحائط عدة من رسوم واوراق مطبوع عليها الاغاني العمومية والنوادر مع صورة امر صادر من البرلمان يمنع استعمال المسكرات القوية وكانت النشارة تفرش ارض الدكان وفي المنتصف طاولة على احد اطرافها ملزمة كبيرة وعلى الطرف الثاني قليل من العرعر مع كسرة من الخبز وقطعة من الجبن ورزمة من الكرتون . وقد اسند الى جدار الباب الواح كثيرة من الخشب . فاختبا المسترود وراءها بحيث يرى ولا يرى فنظر الصانع جالسًا على كرسي بقرب الطاولة و بيده سكين صغيرة يشتغل بها بحفر اسمهِ على جسر من الخشب وقد ادار ظهره الى جهة الباب

و بينما كان المسترود يترقب من خلف الحجاب اعالهُ صدم بالصدفة لوحًا من الخشب فسقط وسمع لهُ صوت فانتبه الغلام الى محل الصوت . وكان في هيئتهِ ما يدل على ذكائهِ وحدة تصوره ولم يكن لهُ من العمر ما يزيد وقتئذٍ على ١٢ سنة ضعيف البنية صغير الاعضاء حاد النظر تشف نظرتهُ عما تحتها من الخوف والحدة وما لبث ان قهقه ضحكًا على قلقه وارتيابهِ وعاد الى عملهِ وهو ينشد غناء ما لوفًا ومشهورًا عند مسجوني نيفكات وغيره من سجون العاصمة . ثم صاح يخاطب نفسهُ قائلاً ان هذا الجسر يذكرني بعلو مشنقة تيربين وما ادراني ان كانت الظروف لا تقودني اليها ذات يوم ولا باس من ذلك بشرط ان اكون مشهورًا معروفًا . فحبل صغير لا يقعدني عن تتبع خطوات بابو والباسل ديغا ل وغيرهما من مشاهير اللصوص ما دمت اشعر من نفسي بميل الى

فهنئهم ثم انتصب واقفًا ودقق النظر في الاسم الذي حفره على جسر الخشب وقرأ «جاك شبارد» وقد ظهرت عليه علامات السرور بنجاح عمله فقفل السكين ووضعها في جيبه وعاد الى حديثه فقال مالي وللمسترود فلا بد من تركه والانصباب على السرقة فاكون لصًا شهيرًا

وما انتهى من كلامه الا ظهر له المسترود من خلف الالواح وصاح به بما القى في قلبه الرعب . ثم قبض على اذنه واوسعهُ ضربًا وقال الحذار من ان تعود الى مثل هذه الافكار الرديئة . فهل ما زلت معتمدًا ان تنتظم في سلك اللصوص الاشرار

اجاب جاك نعم لابد من ذلك ما زلت مصرًا على معاملتي بهذه القساوة . فاضطرب ود من جوابه وكف عن ضربه وهو يقول . جاك . . . . جاك . . . . ان عنادك وشرك يقودانك قريبًا الى المشنقة

اجاب ان المشنقة احب اليّ من ان اتزيا بزي النساء

فقال ماذا تعني بكلامك ايها الشقي . هل تقصد به التلميح الى كوني اقاد الى امرأتي بطاعة عمياء

قال . كيف كان امرك مع امراتك فلا يعنيني انما الصحيح انك لست بولي نفسك ولا اريد ان اضرب واهان على لاشيء

اجاب وهل لاتحسب تقاعدك عن الشغل وقولك للاغاني المهيجة شيئًا اوَلا تعلم ان اقل هذه الجرائم ضرًا موجب لسجنك ولكن رحمتي وحنوي يمنعاني من ان ارفع امرك الى القاضي فاقتصر على تاديبك بيدي وانما . . . .

فقاطعهُ جاك وقال افعل ما بدا لك انما انصحك ان لا ترفع فيما بعد عليّ يدًا . ثم ادخل يده الى جيبه تفقدًا لسكينه . فلاحظ ود منهُ سوء النية فاستحسن ان يضرب عن تهديده ويقبل على ملاطفته

فقال اين تعلمت هذه الاغنية التي سمعتك تنشدها الان

اجاب بدون ادنى تردد . في ليون نوار على بعد بضع خطوات من هنا

قال . وهل بلغ منك الغرور ان تذهب الى مثل هذه الحانة الدنية . ثم فكر قليلاً وقال هل صاحبها جوتن هو الذي تلاها عليك

قال . لابل رجل من المترددين اليها يدعى بو بلو

قال ود . نعم الصانع والاصحاب والمحل وهل علمت ياولدي بان الرجل الذي تتكلم عنهُ هو لص شقي وكان في جملة المسجونين ولم يتخلص من المشنقة الا بالاقرار عن رفاقه طبقًا لارادة جوناتان ويلد

قال جاك . وهل سبقت لك معرفة بجوناتان ويلد ياسيدي

اجاب . اذكر اني نظرتهُ منذ سنين عديدة ولا يبعد ان يكون قد تغير الان ولكني على يقين من معرفتهِ

قال . هو قصير القامة لا يزيد عليك طولاً بلحية حمراء وراس لايختلف كثيرًا عن راس الثعلب . اليس كذلك

اجاب لقد احسنت في تمثيلهِ ولكني لا اري داعيًا لهذه السوالات . فاضطرب الغلام وارتبك في حديثهِ

فعمد ود الى تشجيعهِ على الاقرار بقولهِ صرح ولا تخف وان كنت قد اخطأت فما لك الا ان تعترف بخطائك فتنال عنهُ صفحًا

اجاب وقد ملئت عيناه بالدموع . اني لا استحق منك الصفح واخشي ان اكون قد اسات التصرف . ثم اخرج من جيبهِ مفتاحًا وقال . هل تعرف هذا المفتاح ياسيدي قبل الان

قال . اين وجدتهُ

اجاب . اعطانيه رجل كان يتعاطى المدام مع بو بلو في ليون نوار وهو على ما اظن جوناتان ويلد

قال . وكيف اتصل اليه

اجاب جاك . لا علم لي بذلك ولكنهُ وعد بان يدفع لي دينارين اذا وافقتهُ على طلبه وجربتهُ على اقفالك

فاخذ ود المفتاح من جاك وبعد ان تاملهُ قليلاً صاح يا للعجب انهُ لي وقد سرق مني وكان ابوك السارق ولكنهُ كلف امك قبل موتهِ برده فاضاعتهُ اذا لم نقل ان جوناتان ويلد اختلستهُ منها

قال . هذا هو الاصح وانما ارجوك ان تبقي معي هذا المفتاح الى الغد فقط واذا لم القِ جوناتان ويلد في وهدة يستحيل عليه الخروج منها لا يكون اسمي جاك شبارد

قال ود . فهمت مرادك ولكني لا احب التلاعب والنفاق فكن ياولدي مستقيماً صادقًا حتى مع نفس اللصوص الادنياء وبذلك تحرز الصفات الكريمة فان غاية ما ارغب فيه جلب هذا الشقي جوناتان ويلد امام القاضي ولكني لا استطيع ان اصادق على الطريقة التي تود ان تتخذها لبلوغ الغاية اما انت فقد نجوت من خطر عظيم لاني على ثقة من ان جوناتان ويلد كان معتمدًا على استخدامك في هذه الخطة الشنيعة وبعد اتمامها يوشي بك كعادتهِ واملي ان يكون ذلك امثولة لاتبرح من بالك فتفيدك في الاستقبال . فكن ياولدي حكيماً في مصادقة الغير وقد جاء في المثل ان المرء يعرف باصدقائهِ فاياك اذًا والمعاشرات الرديئة وعش اديبًا فان فيك من الزكاء والنباهة ما يوءهلك لان تكون نجارًا معلمًا ولكنك مجرد عن اجل الصفات واشدها لزومًا للنجاح

فلا ينتفع المرء الا بها وهي الاجتهاد ولاحاجة لافادتك عن اطوارك فانك لا تحب الشغل ولا تقدم على العمل والبطالة مجلبة للفقر والفاقة والشقاء فاذا لم تدارك امرك بما يصلح منك هذا الخلل عشت ذليلاً مهانًا مرذولاً وقد وعدت اباك بان اكون لك ابًا ولا ابخل بالمحافظة على ما سبق من وعدي ولكنك اذا استخفيت بكلامي واحتقرت مشورتي تحرم من عنايتي واهتمامي بل لا يبعد ان اتخلى عنك ايضًا فاختر لنفسك خطة تسري بها

قال بحرارة . اني لا اخالف لك امرًا واعدك واعدًا صادقًا بالطاعة والانقياد

اجاب . ستاتينا الايام بصادق الاخبار وتكشف عما يستكن في الضمائر فارفع هذا الكرتون من امامي ولا تدعني اراهُ فيما بعد والتقِ بهذا العرعر من النافذة وقل لي لماذا لم تبتدِ الى الان بعمل صندوق السفر للسيدة ترافور فانها معتمدة على الرحيل غدًا ومن الواجب ان يرسل اليها هذا النهار

قال جاك وقد مسك باليد الواحدة لوحًا وبالثانية منشارًا واخذ بالعمل . لا تدع للحاجة عليك سبيلاً ياسيدي ففي ساعتين يكون الصندوق حاضرًا مكملاً ان شاء الله

قال ياجاك اودان تتخذ تيمس درايل لك قدوة في حسن السلوك

اجاب . لا بدع في قولك فهو حبيبك العزيز منذ القديم

قال . اخطأت ياجاك في ظنك حيث لم اميز بينكما الى الان بشيء وثق باني لا ارتكب مثل هذا التشيع ما لم تجبرني عليهِ باعمالك

اجاب . اني لا اعلم الا شيئًا واحدًا وهو انك تخصصني على الدوام باصعب الاعمال خلافًا لغيري وليس في ذلك ما يوجب شكواي لاني مستعد لان اجود بالحياة في سبيل مراضاة تيمس درايل

فاجاب تيمس وكان قد دخل بغتة الى الدكان موجهًا كلامهُ نحو جاك . ان في قلب تيمس نحوك من حسن الاستعداد ما في قلبك يااخي . ثم قال الى المستر ود ان كان جاك قد اساءَ اليك في شيءٍ فاصفح لهُ ولا تؤاخذه على اساءَتهِ وهو يعدك من الان بعدم العود الى ما يوجب كدرك . الم اقل صدقًا ياجاك

قال جاك بلى

قال تيمس وقد اخذ بيدهِ مطرقة هل تسمح لي بمساعدتك

اجاب ود . لا . . لا . . لا تفعل فقد اخذ على نفسه اتمام العمل في ست ساعات وسنرى قريبًا ان كان صادقًا

قال تيمس . يصعب عليهِ كثيرًا ان يفي بوعده بدون مساعد فدعني اعاونهُ ولو قليلاً

قال . لا . لا اسمح بذلك مطلقًا فان اجباره على العمل الان يكون لهُ عظة في الاستقبال

فلا يعود الى التهاون والكسل وقد اضاع الوقت عبثًا فيلزمهُ التعويض عما فات اما انت فلا ريب عندي انك قد اتممت عملك

ثم نظر اليهِ كمن يريد على ذلك جوابًا . فامسك تيمس عن الكلام مخافة ان تتكدر شعائر رفيقهِ بما يكون من جوابه . انما لم يتقاعد جاك عن الافادة فقال . ان تيمس درايل اتم عملهُ منذ الصباح فلو سمعت لهُ وانقدت الى مشوراته لكان صندوق السفر الان خالصًا

فعمد تيمس الى تبرئتهِ من الكسل ينزل مجهوده واهتمامهُ . فصاح ود . اه ما اسلم قلبك واطيب سريرتك فسياتي يوم تمتاز به بكرامة اخلاقك

وكان النجار فرحًا بما يراه فيهِ من طيب النفس وحسن الطوية ولم يكن وجه للشبه بينهُ وبين شبارد فان هيئتهُ تترجم عما تجمعها من الاستقامة والشهامة فهو طويل القامة قوي دموي جميل الوجه صغير الفم حسن الترتيب بخلاف جاك فانهُ يمثل الشقاوة والدناءة فقصير مهذول مصفر كبير الفم متطاول الراس

وبينما كان الحديث متواصلاً بين المسترود وتيمس درايل عمد جاك الى سلم من الخشب ماقي على الجدار ليتناول عن الرف الة كان في احتياج اليها ولما بلغ نهاية السلم وثب باحدى رجليهِ الى ثقب في الحائط ومال بكليتهِ الى الالة المطلوبة فمس في طريقهِ خشبة كبيرة فمالت عليه فاسندها باليد الواحدة والقى بالثانية على الرف بما خل بموازنتهِ فسقط وسقطت تهوي من فوقهِ ولو لم يسارع تيمس الى استلقائه بذراعيه لقضي عليه وصادف وقوع جاك على طرف الخشبة الاسفل بما زاد في ثقلها فصاح درايل قم يا جاك فقد كاد ذراعي ينكسر فانتصب في الحال وعاد الى عملهِ كان لم يكن هنالك شيءٌ جديد . فقال لهُ تيمس اخبرني هل اصابك ضرٌّ

اجاب . لا والحمد لله

وكان المسترود باهتًا مصفرًا وقد مسكتهُ الرجفة لما شاهد من الخطر المحدق بالولدين فاندفع بعدئذٍ يونب جاك شآرد على عملهِ ويكثر من توبيخه فصعب ذلك على تيمس وقال لا يحسن ان يعامل جاك بهذه المعاملة فيكفيه في الحال خوفهُ واضطرابهُ

اجاب ود . لا باس فقد عفوت عنهُ اكرامًا لخاطرك . ولكن يظهر انك مجروح في ذراعك

قال . هو جرح خفيف لا يعتد بهِ

فصاح سر في الحال الى والدتك السيدة ود فتهتم لك بهِ واما انت يا جاك فداوم العمل واياك والطيش

قال تيمس . الا يحسن بنا ان نصحب جاكًا معنا فهو متالم ايضًا وقد اصابهُ من الانزعاج شيءٌ كثير

اجاب . لا فليبقَ هنا علة يعتبر فلا يعود الى هذا الطيش
فاقترب جاك من تيمس وقال له بصوت ضعيف اني لا انسى كرمك لانك متفضل عليّ بحياتي
اجاب . ان ما فعلته خدمة تتبادل بين الاخوان فقد كان نصيبي منها اليوم ولا يبعد ان يكون نصيبك منها غدًا
قال ساهتم ان شا الله في وفاء خدمتك باسرع ما في الامكان
اجاب . ان شئت ان اكون مديونًا لك فاقم بوعدك بحيث تنتهي من عملك في ست ساعات
قال . وهو يتبسم ضحكًا اني اقسم لك على ذلك . ثم اخذ باهتمام في العمل وخرج المستر ود وتيمس درايل يطلبان السيدة ود

تيمس درايل

بعد ان ضمدت السيدة ود جرح تيمس ووفته حق الاعتناء بان دهنته بمرهم من عملها واحسنت معالجته بادرت الى زوجها تسأله عن سبب هذا الجرح . ولدى علمها بخبر جاك شبارد وما كان منه في هذا الصدد اذ بدت غضبًا واكثرت من التنديد بالمستر ود بما فاق حد الاعتدال وعمدت مرارًا الى الذهاب الى الدكان للانتقام من جاك ولكن تيمس تمكن بعد التعب من ان يوقفها عن عزمها فعادت الى تعنيف زوجها وقد صاحت به بملء صوتها قائلة . لقد تنبأت لك اكثر من مرة بما سيصير اليه هذا البيت منذ دخول هذه الافعى القتالة اليه ولكنك لم تسمع لي ولم ترعوِ عن غرورك فانت مستاثر في رايك لا تعتد بمشوراتي ونصائحي
اجاب وهو يبذل العناية في تسكين غضبها . عفوًا يا حبيبتي فان المرء عرضة للخطاء ولا يبعد ان يؤخذ عليك بكلامك
على ان لين زوجها زادها خشونة واصرارًا فاقبلت نحوه وعيناها تقدحان شرارًا وقد رفعت يدها تهديدًا وقالت بصوت يخنقه الغضب . الم اقل لك بوجوب التخلص من هذا الشقي بارساله الى بيت الشغل ولكنك لا تفعل الا ارادتك . وما كفاك ان جلبته الى بيتك بل ما زلت تحمل الى والدته القوت والنقود والخمر وتدعي عمل الخير والاحسان وانت لا تحسن بذلك الا الى نفسك . على ان الزوج المستقيم هو الذي يترك عمل الخير لاهتمام امرأته ولا سيما ما يتعلق منه بالنساء . اما انا فلا احسن الى من كانت خائنة ناكرة للجميل كالسيدة شارد بل اختار لذلك من الناس من هو اولى بالخير واحق بالشفقة منها
قال المستر ود . اني لم انفرد بالاحسان الى السيدة شبارد بدون مشورتك الا فرارًا من استماع مثل هذه التهم الباطلة والشكوك الفاسدة والذي اظنه اني اعمل خيرًا لا شرًا . . . . .
فقاطعت كلامه وقالت اني اعرفها ومطلعة على خفاياها فلا حاجة لان تعرفني بها ولم انسَ

بعد حوادث هذه الشقية ولا ريب انك مغرور في تربية ولدها اذا لم نقل ولدك

قال كفى فقد اسأت بي ظنك واقسم لك بشرفي وناموسي اني بريء من تهمتك

قالت اني بالاختصار لا احتمل هذا الصغير واما امة فلا اريد ان اراها مطلقاً

قال . ان جل ما ارغب فيهِ ان لا تمكنك الظروف من روءياها

فصاحت مزبدة لا اعلم كيف سوغ لك ضميرك ان تجعل بيتي ملجاء مفتوح الابواب لاولاد الزناء

فاخمر في الحال وجه تيمس درايل خجلاً وتاثرًا . ثم التفت الى ابنة صغيرة جميلة من عمره بجانبهِ وقال ارجوك يا وبني ان تساعديني في كي أكمام اقمصتي حيث علمت يقينًا اني لست في بيتي .

قالت السيدة ود اجلس مكانك يا عزيزي فاني لم اقصدك في شيء مما قلتهُ فهي مسالة لا تعنيك ولا تتعلق بك ولا بوجه من الوجوه ومعاذ الله ان يكون مثل المسترود أبًا لابن كريم مثلك . فرفع المستر عينيهِ نحو السماء وقد انهكهُ اليأس . والقت امراتهُ بنفسها على كرسي هناك وهي تتنفس الصعداء وصاحت . ود . . . ود . . . انظر الى اية حالة قد قدتني باعمالك مع انك عالم اني بانتظار وفود الخواجه كنيبون فخير لي ان افقد الحياة من ان يحضر فيجدني على غير هدًى كما ترى وثق بانهُ لا يصفح لك عن هذا الذنب بل ستصادف عليهِ تعنيفًا شديدًا

قال . اياكِ وهذا الكلام يا حبيبتي فان الخواجه كيبون عاقل رزين فلا يتقاعد عن الانتصار لي لعلمهِ ببرأتي وانا لا انكر عليهِ الا كونهُ يعقوبيًّا

قالت . هي مسالة افكار واغراض فلا يحق لك ان تواخذهُ عليها ولكل امرئ ما نوى ثم نظرت اليهِ بلطف وقالت فلنطوِ كشحًا عما مرَّ بنا من المشاجرة اما عدني وعدًا ثابتًا بعدم العود الى التردد على جاكولين شبارد دفعًا لما يلحق بي من الغيرة . فلم يتقاعد ود عن تلبيتها حبًا بالسلم . وهنا يجب ان نذكر شيئًا عن السيدات اللواتي يتغلبنَ على ازواجهنَّ الى حد لا يقتصر على تقييد ارادتهم بل يتطرق الى الاخلال في اذواقهم . والاعجب انهُ لا يترتب على ذلك اثر في نفوسهم لما اودع في هذا الجنس اللطيف من قوة التغلب والفوز فكلمة واحدة منهنَّ مقرونة بالتبسم الممزوج باللطف كافية لان تمحو جميع ما يصدر عنهنَّ من الاساءة وتسكن ما اثرنَ من عواطف الغيظ والغضب وكان المسترود في جملة الناس خاضعًا لهذه القاعدة الطبيعية . فما نظرت امراتهُ اليهِ نظرت الرضاء الاخيرة الا نسي ما كان واقعًا بينهما من الخصام . فقبل يدها بخضوع يترجم عن عواطف حبهِ وانقياده . ولئلا يوخذ على الرجل بطاعتهِ العمياء الى امراتهِ وجدنا من المناسب ان ناتي على ذكر الاسباب التي تحملهُ على ذلك فنقول

ان من الاسباب الاولية الخليقة بالذكر في هذا الصدد تقدم التجار في العمر عن امراتو فانها لا تبلغ الاربعين من السنين وهو سن تنفذ فيهِ النساء في الغالب سلطانهنّ المطلق على الرجال ولكنها فضلاً عن ذلك لا تخلو من ظواهر الجمال حيث كانت في صغرها بديعة في محاسنها ومع ان الدهر اذبل كثيرًا من زهور رونقها فلا تزال تعد في جملة ارباب اللطف ولم يكن المسترود يراها اقل جمالاً وبهاء واعتدالاً من ايام صباها . وكانت قد تهيأت لملاقاة الخواجه كيبون فلبست افخر ما عندها من الملابس والحلى وتزينت باحسن زينة فمن ثوب ابيض مخرج طويل ومن حذاء من الجلد الاحمر بكعب مرتفع ومن دبوس من ماس في صدرها وعقد ثمين يحدق بعنقها وزوج من الكفوف وردي اللون موضوع على طاولة بجانبها

وكان تيمس درايل وو يتغر يدود وهي ابنة السيدة ودعلى مقربة منها يتعاونان في كي الثياب وقد دار بينهما الحديث الآتي

قالت الصبية . اني حانقة على جاك شبارد حيث كان السبب في ايصال الاذية اليك ولولاه لما اصابك هذا الجرح

اجاب تيمس درايل . انت اسلم طويةمن ان تحنقي على احد من الناس ولاسيا جاك شبارد فاني احبهُ كاخي وقد قلت لك ان جرحي خفيف لا يستحق الاهتمام ولا ذنب فيهِ على جاك . فبالله لا تعودي الى اذكاري بشيء من ذلك

قالت . ان حبك الشديد لجاك لمن العجائب حيث لا وجه للشبه بينكما فهو يختلف عنك في كل شيء

اجاب . ان اختلافهُ عني هو السبب الوحيد الذي يزيدني تمسكًا في حبهِ ولو كان مثلي لما كنت حريصًا على موالاتهِ الى هذا الحد ومع ذلك فجاك طيب القلب حسن السلوك وليس كما تزعمين

قالت . لا يبعد ان اكون مخطئة فيما توهمت وقد صدقتك واعتقدت بكلامك واعتمدت منذ الآن على ان لا ابخس جاك حقهُ

قال . وازيدك على ذلك ايضًا انهُ يحبك حبًا شديدًا فهو مغرم بك

اجابت وقد احمر وجهها خجلاً . مغرم بي

قال . نعم مغرم وهو يعد نفسهُ بالاقتران منك يومًا

قالت . تيمس انتبه لكلامك

قال . لا اظن في كلامي ما يكدر راحتك

اجابت . لا . وانما ان شئت ان لا ابغض جاك الى الابد فلا تعد الى مفاتحتي بهذا الحديث

قال . لا باس فلنضرب عنهُ صفحًا واعلمي باني قد عزمت على مفارقتك . فنظرت اليهِ كانها متراجعة في كلامه وقالت لا . . . لا . . . لا اصدق مطلقًا انك تتخذ لكلام امي اهمية فتقصد

لاجلهِ مبارحتنا ولو كد لك ان امي نفسها قد نسته

قال . ولكني لم انسه ولن انسه وقد اعتمدت ان لا ابقى بعد ضيفًا ثقيلاً عليكم . وكانت تيمس يتكلم بصوت حزين ثابت فجرت لكلماته الاخيرة الدموع على خدي الصبية وقد نظرت اليهِ بعين الحبيب الموبخ وقالت لهُ . ان كان كلامك يا تيمس على سبيل الجد فلا ريب انك فقدت عقلك وان قصدت بذلك المزاح فقد قسوت عليَّ كثيرًا بمزاحك . فاني اقسم لك بكل عزيز عندي ان امي ما نوت لك شرًا فهي تحبك . نعم تحبك . واعدك وعدًا صادقًا انها لا تعود فيما بعد الى ذكر كلمة تمس حاستك . فعمد تيمس الى الجواب ولكن شدة الاضطراب المستولي عليه منعتهُ من التكلم . فصاحت ويتغريد بلهجة الفرح هيا يا اخي فقد اقشعت والحمد لله غيوم كدرك وهواجسك

قال . انك تتوهمين محالاً فان عزمي قد تقرر وغدًا ابارح هذا البيت

اجابت بصوت المنكسر الملتمس . ارجوك ان لا تقدم على شيء قبل ان تستشير ابي . عدني بذلك يا تيمس

قال . اني اطيع امرك وازيدك عليهِ اني لا اسير من هنا الا باذنهِ

قالت . الان اطمأن خاطري نوعًا

قال . لا بل ثقي ان اباك لا يمانع في سفري . فوقفت صامتة لا تبدي جوابًا ولكنها تبسمت اخيرًا بما يدل على ارتيابها في صدق القول . فقال تيمس واذا صادق على قولي . . . . فقاطعت كلامهُ وقالت لا يصادق مطلقًا

اجاب . ولو فرض انهُ صادق وتركني اضرب في الارض وشأني فهل تعدينني بان تحفظي لجاك شبارد نفس الميل والحب اللذين حفظتيهما لي الى الان

قالت . لا لا يمكن حيث ليس في وسعي ان احب انسانًا كما احببتك

قال . ما عدا ابوكِ على ظني . فكادت ويتغريد تجيب حتى ولا ابي ايضًا ولكنها تنبهت اخيرًا للامر فاحجمت عن الجواب وقد تجدد احمرار وجهها . فقالت . ارجوك ان لا تعد فتفاتحني بامر جاك شبارد . وكان حديثهما متبادلاً بصوت ضعيف لم يسمعهُ احد غيرهما الا ان كلمات ويتغريد الاخيرة استجلبت التفات والدتها فصاحت بها ماذا تقولين عن جاك شبارد

اجابت . ان تيمسًا كان يخاطبني في شأنهِ

قالت السيدة ود وقد التفتت لنحو زوجها . . . تيمس . . . تيمس . . ان في هذا الاسم برهان جلي على سوء ذوقك يا حضرة المستر فهو اسم لنهر وما سمعت من قبلك احدًا اطلقهُ على البشر اما درايل فهو اسم لرجل ان صدق كلامك وكان ما قصصتهُ عليَّ من قصة النهر والزوبعة صحيحًا

اجاب. انك سريعة النسيان ياعزيزتي

اجابت لا بل اني شديدة التذكر وقد اعطيت والحمد لله ذاكرة قادحة وما زلت اذكر بان جميع الناس ذهبت فريسة المياه في تلك الليلة ما عدا هذا الطفل

قال. انك مخطيئة فيما تقولين

قالت. صحيح وخطائي عظيم حيث اهتممت في تربية . . .

فصاحت و يتغريد . كفى ياوالدتي

فقال تيمس بصوت ثابت ساكن وقد نظر الى الصبية بما جرح له فوادها . ما الفائدة من اهتمامك وقد عزمت قطعيًا ان اودعك غدًا ان شاء الله فالتفت المستر ود وقال لامرأته يشاغلها الظاهر انه برح عن بالك ان الخواجه كنيبون قادم لزيارتنا

فقالت . لقد اصاب فكرك غاية الاصابة فاذهب والبس الفخر ما عندك من الثياب . ثم التفتت الى و يتغريد فوجدت دموعها سائلة على خديها فامرتها ان اذهبي واغسلي اعينك وامسحي دموعك . اما تيمس فليبقَ هنا . واذ ذاك طرق الباب فتراكضت الى المرآة تصلح المختل من نظام ثيابها تهيأً لملاقاة الخواجه كنيبون

اليعقوبي

كان غليوم كنيبون من تجار الجوخ الاغنياء في لوندرا وكان ابوه من الضباط الملتهبين بحرارة الدين الكاثوليكي وقد قاتل في نصرة يعقوب الثاني ففقد فخذيه وحياته في معركة بواين وترك لابنه ارثًا اكاليل انتصاره وتذكار ارتباطه بعائلة ستوارت الكاثوليكية . ولم يكن لكنيبون من العمر ما يزيد عن ٣٥ سنة وهو جميل المنظر حسن الطلعة لين الاعضاء سريع الحركة خفيفها وكان قد توصل بمزاياه الممتازة مع قوة ميله الى الانخراط في سلك اعضاء الجمعية المعينة لدس المفاسد السياسية بما عاد عليه بالخسران والمصاعب . وكانت الدسائس اليعقوبية قد تفاقم خطبها وتعاظم شرها فبلغت حدًا مخيفًا كاد ينذر بابتداء ثورة الستوارتيين فانه منذ صعود جورج الاول على تخت الملك اجهدوا قواهم ولموا شعثهم وجددوا الكرة السياسية بشدة وعنف انتصارًا لحزبهم وتوصلاً الى نفوذ كلمتهم . لان جلوس عائلة الملوك الساقطة بعد وفاة الملكة حنة على تخت الملك بث في اشياع يعقوب الثالث الاقدام والعزم فعمدوا الى اشغال نار الثورة العامة في جميع اراضي بريطانيا العظمى لا يهملون عملاً يعين على الغاية فبذروا الشقاق والحقد والاضطراب في كل ناحية صادفت دسائسهم اليها سبيلاً واتخذوا لهم رسلاً وانصارًا في كل مكان فعقدوا المؤامرات في جميع الولايات التي تقطنها العائلات الكاثوليكية القديمة وهم يدفعون الناس الى خلع نير السلطة الحاضرة والانتصار الى الملك الكاثوليكي الساقط وقد فرقت المون والاسلحة

في الذخائر مهيئًا للقتال بما كاد ينيل الحزب فوزًا لو لم يتاخر يعقوب الثالث عن استلام قيادة احزابهِ زمنًا طويلاً فانهُ اقدم على العمل بعد فوات الفرصة واظهر شجاعة تحمد في واقعة مالبلاكي ولكنها لم تاتِ بالثمرة المطلوبة . وتردد عائلتهِ عن القطع بالعمل عاد عليها بالخراب والفشل فلم تاخذ بناصر احزابها الا وقد مضى الوقت ضياعًا وعند الاجراء نقصتها الهمة فما اقدمت الا واحجمت شان المتغلب المتزعزع الذي لا يستقر على راي

وفي اثناء سياق هذه الرواية كان الحزب اليعقوبي ممتلئًا بالثقة طافحًا بالامل متكلاً على معاضدة فرنسا ولويس الرابع عشر بهم كما سبق القول في ايجاد الاشياع والانصار في كل جهة وصوب وهو يعد الناس بالرتب والنياشين والمقامات العالية و يصدر لهم بذلك الفرمانات والاوراق ممضاة من الامير المترشح للملك وكان الخواجه او بالحري القبطان كنيبون وهو من جملة روساء الحزب الستوارتي كما مر معنا . وجهت اليهِ ارادة موذنة بتنصيبهِ قبطانًا على فرقة من البادة أُنيط بهِ تجنيدها وتنظيمها وسوقها الى القتال فسار لهذه الغاية الى لانكشير بحجة بعض الاشغال التجارية ومنها الى منشستر حيث صادف حظًا من النجاح . ولدي عوده الى لوندرا سمع بوجود رجلين يطلبان الانضمام الى فرقتهِ برتبة ضابط فلم تصادف الافادة المتقدمة لديه في شانهما تمام الركون والثقة ولكنهُ كان عالمًا بما تقتضيهِ ماموريتهُ من وجوب السرعة في الانجاز والثبات في الاجراء فعزم على ان لا يرفض طلبًا وعمد الى تفقد الامر بنفسهِ فسار الى صائغ النقود حيث قدم لهُ صاحبنا القديم باتيست كيليبي (زعيم اللصوص) الرجلين المحكى عنهما وشكر لهُ من امانتهما بما جعلهُ على ثقة منهما حيث كانت قد سبقت لهُ المعرفة بهِ والمعاملة معهُ فاقسم كل من الرجلين المرشحين للخدمة يمين الامانة للملك يعقوب الثالث ثم اتبعا ذلك باقسام كثيرة غيره وشر با اقداح عديدة من الخمرة بسر الملك الكاثوليكي

وعند ذلك استاذن القبطان كنيبون من صاحبيه الجديدين بالانصراف معلنًا لهما مزيد اسفهِ لفراقهما وانهُ مجبر على ذلك بما وعد من وجوب زيارة امراة بديعة الجمال تدعى السيدة ود فنظر الاثنان الى بعضهما يقضيان الخابرة بالنظر وكانا قد تمكنا من قلب القبطان لما ابدياه معهُ من حسن التودد والتقرب ثم عرضا عليهِ ان يستصحبهما معهُ في زيارتهِ . فلم يجد سبيلاً للاعتذار منهما وكان قد فتن بما شاهد فيهما من الميل اليهِ والارتباط بحزبهِ فاجابهما الى طلبهما وتوجه الثلاثة معًا نحو شارع ويكستريت يطلبون منزل المستر ود وقد طاب لهم السرور والانشراح

القبطان كنيبون ورفيقاه

ما اتمت السيدة ود تبرجها حتى ظهر الخواجه كنيبون في باب القاعه بصحبة رجلان لم تسبق لها معرفة بهما فقدمهما اليها تحت اسم جيريمي جاكسن وسليمان شميت وقال انهما وكيلان لمحل تجاري

عظيم في منشستر فلم تعر كلامة انتباهاً لما استولى عليها من الكدر الشديد بحضورهما حيث كانت بانتظار مجيئهِ وحده فلا يكدر صفاء كاس اللقاء رقيب . فتغاضت عن الترحب بهما على انهما لم يكترثا بما صادفا من برود المواجهة بل اقتديا برفيقهما وجلس كل منهم على كرسي . ومما يستلفت النظر في هيئة الرجلين تدلي شعرهما المستعار الكثيف على جبهتهما وارتفاع ربطتي رقبتيهما الى ما فوق ذقنيهما وانتشار بقعة سوداء في وجه كل منهما فلم يرق منظرهما لدى السيدة ود لان احدهما وهو المستر شميت كان ازرق اللون قبيح الهيئة واما الثاني فكان يشفع بمنظر وجههِ الخفيف انتظام اسنانهِ وكانت البستهما ومزاياهما متشابهة فلا يفرق بينهما في اللباس واللهجة والصوت والضحك والاغرب انهما كانا يتمثلان ببعضهما في كل عمل فلا يقدم الواحد منهما على حركة الا جاءه الثاني بمثلها . فوجه جاكس نظره يدقق في ما حولهُ وشميت من جنبه يعمل عملهُ فتاملا السيدة ود من قمة راسها الى اطراف رجلها ثم التفتا الى القبطان كنيبون وارسلا اليهِ نظراً يتضمن فكراً مقصوداً وفي الحال استلقى الثلاثة ضحكاً على ظهورهم فلم تستطع السيدة صبرا على مشاهدة ثلاثة يضحكون استخفافاً بها فاحدقت باعينها الى القبطان كانها توبخهُ على عملهِ فما كان منهم الا ان زادوا في الضحك والتقهقه بدون موجب ظاهر يدعو اليهِ او يحمل عليهِ وعند ذلك دخل زوجها مزيناً باثوابهِ الجديدة وبدون ان يتكلف الى مشقة التعرف بضيوفهِ او الاطلاع على اسباب الضحك الحاصل سلم عليهم بالايدي وجلس على كرسي بجانبهم واندفع يضحك كواحد منهم . وكان الغيظ الشديد قد بلغ حده من السيدة ود فلم يعد في وسعها ان تحتمل طويلاً اثقال هذه الاهانة الموجهة اليها فصدرت كلامها الى زوجها وضيوفها وقالت يظهر من هيئة هذا الضحك انكم جميعاً مصابون بداء الجنون

اجاب جاكس . صدقت ياسيدتي فقد جننا بجمالك

قال شميت وقد وضع يده على قلبهِ . واصبحنا اسراء دلالك

فجدد القبطان وزوجها الضحك بما اثار غضبها فاقبلت تؤنب زوجها بقولها ان واجباتك تقضي عليك بوجوب رعاية ارادتي فلاحظ ظروف الاحوال ولا تعد الى هذا الجنون الفاضح اما الخواجه كنيبون فهو حرٌّ لان يفعل ما يراه حسناً ولو باهانة البشر فلا يليق ان توافقهُ على غرضهِ وتكدر شعائري . فتضاعفت لذلك قهقهة جاكس وشميت غير ان كنيبون تدارك الامر فقال بلطف انا بغاية الكدر حيث لم تصادف اعمالنا وقعاً حسناً في اعينك ولربما تكونين قد رايت في صديقيَّ جاكس وشميت غرابة ولكنهما . . . .

قالت لا بل كل شيء فيهما غريب او بالحري كل الغرابة فيهما

قال جاكس . ان صديقنا الخواجه كنيبون كان في قصده ان يعلم سيادتك باننا اناس

لا يفوتنا شيء من الاحترام الواجب للجنس اللطيف

قال شميث . وحرمة الشرف . . . . مطلقًا . . . . ابدًا . . . .

فاقترب المستر ودمن امرأته وقال اظن ان ضيوفنا لا يرفضون ان يتناولوا شيئًا من المرطبات قالت صدقت ونهضت لاعطاء الاوامر بهذا الشان . وبوصولها الى مقربة من الخواجه كيبون انحنت بكليتها عليه وقالت وهي تهمس باذنه ياردي الفؤاد كيف اطاعك قلبك ان تاتيني مصحوبًا بمثل هولاء الرجال على حين انتظر الاجتماع بك وحدك بعد فراق شهر من الزمان

قال لو استطعت اتمام رغبتك لما تاخرت اما انتِ فقد استغنيت بضيفيك الجديدين وما قدرتهما قدرهما

قالت لقد اشغلت افكاري من نحوهما فمن يكونان

قال وقد اتخذ هيئة جدية في حديثه . هما وكيلان سريان مرسلان من فرنسا نصرة للحزب . . . . فهمت ام ازيدك ايضاحًا

قالت لا بل فهمت هما من اصحاب المقامات الرفيعة

فاشار بالايجاب

قالت شرفاء محترمون

قال نعم

قالت اني رايت في هيئتهما منذ حضورهما شيئًا خارقًا للعادة كاد ينبهني الى ذلك . . . فالفتنة اذًا قد تقررت والكفا لير مار جرجس على اهبة الحلول في بريطانيا بخمسين الف جندي فرنسوي والملك المختلس الحاضر سيصادف فشلاً وبالاً فتتاح لك الاماني وتنال المامول . . . فقاطعها القبطان في الكلام وقد وضع باصبعه على فمه طالبًا سكوتها . وقال ان كل شيء والحمد لله سائر على قدم النجاح انما امسكي ولو قليلاً من جماح نفسك لان في الحضور من يناظرنا (اشار بذلك الى تيمس درايل) على انها لم تعر هذه الملاحظة اهمية كبرى بل قالت بالله كيف صدر مني هذا الجنون فاسأت الى اناس شرفاء

قال . عشاء فاخر يكفر عما مضى انما دونك والرزانة . . . الرزانة ياعزيزتي

اجابت كن مطمئن الخاطر فاني مصدر الرزانة ومثال التعقل ولكنك تستحق اللوم حيث لم تعلمني من قبل بتشريف سيادتهما لنهيء لهما طعامًا لائقًا بهما اما الان وقد جئت بدون انذار فليس ما نقدمه غير وزتين . ثم نادت بابنتها ويتغريد ان اتبعيني واقبلت على ضيفيها تستاذنهما بالذهاب وهي لا تهمل شيئًا من مقتضيات الاحترام والاكرام . فقال جاكسن . ارجوكِ ان لا تواخذينا باعمالنا ياسيدتي . قال شميث املنا ان لا نقع منك ذلك على الاطلاق فذهبت وهي تتعجب وتمدح من

بشاشة وتنازل ضيفيها الشريفين الفرنسويين

الطيور الكواسر

عزمت السيدة ود ان تستدرك ما فرط منها من سوء الرعاية بحق ضيفيها بان اسرعت في اعداد واتقان الطعام فزادت على الوزتين المهيئتين الى الخواجا كنيبون شيئاً من اللحم والبيض والفطير والسمك وبينما كانت موجهة اهتمامها الى تنظيم المائدة انحدر درايل الى القبو الاسفل وصعد يحمل زجاجات كثيرة من المشروبات . وفي الحال جلست السيدة ود على المائدة فاقتدي بها الحضور . فقطع زوجها الوزتين على حين كان كنيبون يقسم الفطير وتيمس درايل يفتح زجاجات النبيذ . وكان كنيبون نهماً في الاكل انما لم يعد بشيء بالنظر الى رفيقهِ شميت الذي فعل في المائدة افعال الابطال فانهُ التهم في اقل من ثانية نصف الوزة والحق بها كثيراً من الفطير ثم اندفع على النبيذ يشرب منهُ وهو لا يعرف ارتواء وقد نظر اليهِ جاكسن نظر الموبخ على شراهتهِ وسوء تدبيرهِ وإذ ذاك دقت الساعة الثانية عشرة فدخل جاك شبارد متأبطاً بصندوق السفر

فقال تيمس وقد نظر الى المستر ود . ارايت كيف اقام جاك بوعده واتى بالبرهان على صدقهِ

قال جاك يخاطب وداً . لمن ترغب ان احمل هذا الصندوق ياسيدي

فصاح ود بشراسة سبقت فقلت لك الى بيت السير روفلاند حيث تدفعهُ ثمة الى السيدة ترافور

اجاب جاك امرك يامولاي وهمَّ الى المسير فاوقفهُ القبطان وقدم لهُ قدحاً من النبيذ وقال خذ لنفسك قليلاً من الراحة قبل ذهابك . ثم التفت الى رفيقيهِ وقال ان السير روفلاند من الامناء المخلصين لنا (يريد انهُ من حزب الستوارت) وهو من اعظم واشرف عيال لانكلترا اما شقيقتهِ السيدة ترافور فهي من اجمل النساء والطفهن . ثم عاد الى جاك وقدم لهُ قدحاً ثانياً وقال فلنشرب بسر الملك يعقوب الاول وسقوط اعدائهِ

فصاح المستر ود على الفور قائلاً قف ياجاك عن الشرب فهذه خيانة عظيمة لا اسلم بحدوثها في بيتي

قال كنيبون . اننا نحتفل في هذا النهار بتذكار ولادة الملك

قال ود . هو تذكار ولادة ملك لا اعرفهُ ولا اعترف بهِ فانني لا اعترض احداً في افكارهِ السياسية وانما اريد ايضاً ان تبقى افكاري محترمة وموقرة فلا تداس بحضوري

فتداخلت السيدة ود بين الاثنين وقالت لقد اكثرتما من اللجاجة دون موجب فلنرى الان ان كان جاك يخالف ارادتي . ثم امرتهُ بان يشرب الكاس

فصاح ود اياك والعمل

فرفع شبارد الكاس على شفتيه وقال اني اشرب بحياة الملك يعقوب الاول وهلاك اعدائه فضجت القاعة بالضحك ونادى ود ستودي عن هذا العصيان حسانًا ياخائن

قال تيمس . اسأت ياجاك في عملك على اني اشرب انا الان نسر الملك جورج الاول والاطالة في حياته وملكه وهلاك اعدائه البابويين ومؤازريهم

فقال ود وعيناه مملوءة بالدموع . احسنت . . . ياولدي احسنت . . . فهمس شميت في اذن جاكسن وقال وهو يشير الى جاك اليس هذا الذي وعدنا بالمساعدة فانتهره جاكسن وقال اصمت وقال من شرب الخمرة فانك في حاجة الى الصواب . وكان جاكسن في كل هذه المدة موجهًا التفاتة نحو جاك يرمقه شذرًا بما اولاه الاصفرار والرعب فاقترب من المستر ود وقال له هل لك ان تسمح لي بكلمتين سريتين



اخرج خارجا يا شقي

اجاب بخشونة . حتى ولا بحرف واحد فاذهب في حال سبيلك . فنادي جاك تيمسًا وقال له اتبعني . فلم يلتفت اليه ولما لم يصادف نجاحًا عد الاثنين انحدر نحو السيده ود يطلب مواجهتها فصاحت به وقد انتصبت واقفة بحدة عن المائدة وضربته ضربًا اليمًا . اخرج خارجًا ياشقي . فخرج جاك كئيبًا حزينًا وهو يقول في نفسه فليلعني الرب ان عدت بعد الان نويت خيرًا او سرت مستقيمًا

قال ود . ان هذا الغلام (شبارد) يستحيل اصلاحه وقد تأكدت ذلك في بكرة هذا النهار
اجاب جاكسن وقد حول بكل افكاره اليه ليعلم المراد من كلامه . وماذا فعل
قال تيمس . ارجوك يا ابي ان لا تستغيب جاكا بكلام يخل باهليته . فاغتاظ جاكسن لهذه المقاطعة وقال لو كنت اباك لعلمتك بان لا تتطفل بالكلام دون ان تكلف اليه . فعزم تيمس على اجابته ولكنه عدل عن ذلك بانظر من اشارة المنع الموجهة اليه من ابيه وبداءه بفتح زجاجات المدام
فقال جاكسن لود بصوت المتهكم . ان ابنك (تيمس) من اصحاب العقول الفائقة
اجاب . انه ليس بابن حقيقي لي بل تبنيته منذ وجدته واسمه تيمس درايل
قالت السيدة ود ان زوجي قد اطلق عليه هذا الاسم الغريب حيث التقطه من النهر المدعو باسمه
فقهقه شميت ضحكا وقد رفع الى فمه كاسا طافحا بالمدام فمال جاكسن عليه وقال كفاك سكرا فانك لا تلبث ان تفضحنا ثم اخذ كيبون كاسا وقال سرا الى السيدة ود اني اشرب بصحة الكفا لير مارجرجس
اجابت . اشرب بصحة وهناء
قال . اني ساخاطب الكفا لير بشانك
اجابت بفرح عظيم . هل تنجز بوعدك . فاكد لها انه لا يتاخر عن انجازه وبالحال وضع يده بيدها من تحت المائدة وشد عليها بلطف دلالة على صدقه واخلاصه . وكانت الخمرة قد فعلت في راس شميت فطفق ينشد الاغنية العشقية بما استلفت اليه الانظار . فاحمرت السيدة خجلا لما تضمنته عباراتها من اساليب الخلاعة . اما جاكسن فاعطى شميت ظهرا وخاطب المستر ود بقوله اي متى وجدت هذا الغلام الذي تبنيته
اجاب منذ ٤٢ سنة في الليلة السادسة والعشرين من تشرين الثاني
قال جاكسن أتعني ليلة الزوبعة
اجاب نعم في نفس تلك الليلة
قال جاكسن اني تشوق عظيم الى الوقوف على تفاصيل هذه الحادثة فهل لك ان تقصها عليّ . فاجاب بالقبول وطفق يسرد وقائعها وقد مر بيانها مفصلاً ومع ما كانت عليه هذه الحادثة من انها محزنة موثرة لم تقابل من سامعيها الا باصوات الضحك والاستهزاء ولا سيما عند ذكر خبر آلة العذاب في صالح النقود وما صادف من المصاعب حيث لم يتمالك شميت ثم اخفاء سروره فالقى بنفسه على كرسيه وهو يضحك شديدا
فقال ود وقد ظهرت عليه لوائح الغضب . اني لا افهم المعنى المراد بضحككما

فانتهر جاكسن رفيقهُ وقال ان تصرفك مجرد عن كل حشمة واني آسف لما جرى مما كان سببًا في كدر صاحب المنزل

قال ود. يظهر لي يا خواجه جاكسن ان الظروف قد جمعتني بك قبل الان واسلوب ضحكك يذكرني بهذا الاجتماع . فاتخذ جاكسن هيئة جدية وقال . من ياسيدي

قال اومل ان لا تتكدر من كلامي اذا قلت لك ان صوتك وهيئتك وضحكك جميعها تمثل لي رجلاً من الاشقياء الذين اساءوا معاملتي في صائغ النقود

قال ومن هو هذا الرجل

قال هو رجل اكتسب شهرة ملطخة بالعار في البوليس السري الذي انخرط في سلكهُ وقد كان شريكًا للصوص

قال . وما اسمهُ

اجاب اسمهُ جوناتان ويلد

فصاح جاكسن وقد انتصب واقفًا على قدميهِ . اني لا استطيع صبرًا على مثل هذه التهم ان تنسبها الى رجل كجوناتان ويلد مشهور بالاستقامة وحسن الاعمال . ثم نهض شميت ايضًا وقال . اني لا اسمح بان يهان جوناتان ويلد بحضوري فهو الذراع الايمن للهيئة الاجتماعية وبدونهِ لا نقوى على عمل

قال ود . . من . . . نحن . . .

اجاب لا اعني اناسًا خصوصيين بل اريد جميع اصحاب الشرف والناموس

قال نيمس وقد استلقى على قفاهُ ضحكًا . ان تشبيه الخواجه جاكسن برجل يعتبرهُ ويحترمهُ احترامًا عظيمًا لا يعد مخلاً بمقامهِ او محطًا من قدرهِ

اجاب . جاكسن وهو يرمقهُ شذرًا . لا بل بالعكس اني افتخر بوجود وجه للمماثلة بيننا وانما الذي يكدرني هو ما قيل من ان شهرة جوناتان ويلد التي اكتسبها بشرف الاستقامة هي ملطخة بالعار

قال شميت ان مثل هذا القول لا نغض عنهُ طرفًا ولا نصبر عليهِ

اجاب المستر بلطف حيث ظهرت صداقتكما المخلصة لجوناتان ويلد فاني اسف لما صدر مني بحقهِ واعتبرهُ مستقيمًا كواحد منكما

قال جاكسن وقد مد لهُ يدًا . اننا نكتفي منك بهذا الاعتراف ونحن ناسف ايضًا لما ظهر علينا من الغيظ انما اسمح لي ان ازيدك علمًا بانك مغشوش فيما توهمتهُ لجهة صديقنا جوناتان ويلد حيث لم يكن قط شريكًا للصوص

قال شميت . ابدًا مطلقًا وحرمة شرفي

قال ود. ان تاكيداتكما كافية لاقناعي بصدق اقوالكما. وكان القبطان مشتغلاً بمداعبة السيدة ود فلم ينتبه الى هذه المناضلة الا اخيرًا فقال.

اني اجهل علاقتك مع هذا الرجل يا جاكسن

اجاب. اني اعرفهُ منذ وجودي في قيد الحياة :

قال يمكنك اذًا ان تفيدنا عما اذا كان في نيتهِ ان ينفذ توعداتهِ قريبًا

اجاب. واي توعدات تريد

قال. توعداته بشنق لص يدعى على ما اظن بوبلوار او بوبلو. وهو من الامناء المخلصين لهُ

اجاب شميت. ان الخبر مختلق لان جوناتان ويلد لا يرتكب مثل هذه الدناءة

قال كنيبون يظهر من كلامك انك لا تحسن معرفتهُ كما تدعي. لان جوناتان ويلد لا يستبعد عنهُ شيء من المنكرات فهو اهل لكل عمل دني وقد توصل الى شنق كثيرين من رفاقهِ وشركائهِ بالوشاية عند ما اصبح لا يستفيد من رفقتهم او بالحري لا يؤمن جانبهم ولديهِ عدد عديد من شهود الزور يستخدمهم لهذه الغاية عند الحاجة اليهم. اما من خصوص صاحبهِ بوبلو يا حضرة الخواجه شميت فاني على يقين من انهُ سيشنق بعد الجلسات القادمة وهو خبر مقرر ثابت لا وجه للشبهة فيهِ

قال شميت. ولكن بوبلو قادر ايضًا ان يقابلهُ بالمثل فيكشف عن مخبآتهِ ويفشي باسرارهِ

اجاب. وما فائدتهُ من ذلك وجوناتان معدود الخاطر عزيز الجانب في المجالس

قال جاكسن. لقد اتيت بالحق ونطقت بالصدق

فعاد كنيبون الى اتمام حديثهِ فقال. على ان لبوبلو سبيل واحد للنجاة وهو انفاذ توعداتهِ ايضًا

فصاح جاكسن. وهل سبق لبوبلو ان توعد جوناتان بشيء

اجاب. نعم فقد اكد لي ان بوبلو استخدم سكينهُ ضد جوناتان ويلد في مشاجرة حصلت بينهما وقد عقد النية منذ ذاك الحين على مقابلتهِ بالخنجر لاول اشارة يستدل منها على خيانتهِ ثم التفت نحو شميت وقال لا يستبعد عليك ان تكذبني في هذه المسألة ايضًا

اجاب. لا بل بالعكس فاني على يقين من صحتها

قال جاكسن. سانقل الخبر بتمامهِ الى جوناتان ويلد ليكون على حذر من اعدائهِ اجاب شميت وانا لا اتقاعد ايضًا عن اخبار بوبلو بما اضمر ضدهُ ليكون على بصيرة في امرهِ

اجاب كنيبون. لا تكلفا نفسيكما هذه المشقة فان كلاً من اللصين مستحق لما يتهددهُ من العدوان فقد كان جوناتان من الحزب اليعقوبي فحنث بيمينهِ وباع نفسهُ وشرفهُ من اعدائهِ بقليل من المال وانخرط في سلك البوليس متوهطًا في اعمال العمدات السرية الدنيئة وقد عهد اليهِ باجراء عدة

توقيفات مهمة خطيرة ولكنا علمنا بنواياه فاحبطنا جميع مساعيه وخلاصة الامر انه لو كان في جو ... ويلد منتش البوليس السري شيء مما ينسب اليه من المهارة والاقدام لما تأخر عن مفاجئتنا في صانع النقود . . . . الم اقل حقاً يا جاكسن

اجاب . بل كل الحق يا سيدي

فقال كنيبون ضاحكاً . انه سيجد بيننا من يزيد عليه مهارة وحذقاً فاني نصبت له فخاً لا يستطيع منه نجاة

قال جاكسن .. الحذار من ان تقع في فخك فتكون ساعياً الى حتفك بظلفك

قال شميث . لو كنت مكانك لما تحرشت بجوناتان ويلد لانه عدوٌّ شديد الباس مهاب الجانب

اجاب كنيبون . ولا سيما لانه صديقك العزيز ثم تناول كاساً من الخمر وقال اني اشرب بسر نجاح مشروعنا . فصاح الاثنان يرددان كلماته الاخيرة وقد نظر كلٌّ منهما الى الاخر يذكره بمشروع انطوت عليه بينهما الضمائر . ثم التفت جاكسن نحو المسترود وقال هل من الممكن افادتي عما اذا كنت قد اقمت بالبحث المقتضى توصلاً الى ازاحة الستار عن الحادث الغامض الذي قصصته علينا

قال . لا لاني كنت في بادىء الامر تعباً فاجلت البحث الى وقت اخر وانتهيت اخيراً بالاضراب عن هذه المسألة كانها لم تكن ولطالما لمت نفسي على هذا الاهمال ولكني عالم بان البحث والتفتيش لا يجديانني نفعاً لان الجانين هلكوا عن اخرهم

قال جاكسن . وهل انت على ثقة من صحة علمك

اجاب . على اتم الثقة وقد نظرت قاربهم يرتطم بالجسر وكان زعيم الجانين بقربي على الرصيف فدفع بصدمة الرفراف الى النهر

قال جاكسن . ولو فرض ان خصمك نجا وهو مثلك في قيد الحياة فماذا تفعل

اجاب . كلما في وسعي فعله لجلبه الى المحاكمة

قال تيمس . وهل تعرف يا خواجه جاكسن شيئاً عن نجاة هذا الرجل . فتبسم ونظر اليه بهيئة تدل على معرفته اشياء كثيرة لا يريد ان يوضحها وقال اني لم اكلفكما الا الى الجواب على سؤال بسيط

قال ود . اه لو كنت على يقين من نجاته

اجاب جاكسن . اعلم اذاً وثق بان خصمك حيٌّ مثلك يتمتع برغد العيش وطيب الهناء وخير لك ان يقتنع بموت هذا الغلام (تيمس) فصاح تيمس وما اسمه

قال جاكسن . انك صغير السن فضولي الكلام وعندما تبلغ مبلغ الرجال تعلم وقتئذٍ ان

مثل هذه الاسرار لا تنثر في الهواء ضياعاً وابوك اعلم منك بذلك

اجاب ود . اني اجود بنصف ما ملكت يدي توصلاً الى شنق هذا الجاني وتقرير حقوق ولدي

قال جاكسن مزدرياً . واي حقوق تعني فانهُ يستفاد من حديثك ان هذا الغلام من ابناء الخناء ولا يخفاك ان مثل هولاء اللقطاء لا يحق لهم المطالبة باسم او ارث والقتل الذي شاهدتهُ نتيجة انتقام موجه من اقارب الامراة نحو مغريها على الفحشاء فالاصوب اذاً ان تبقي هذا السر في حيز النسيان حيث لا نفع لك من افشائهِ ومع ذلك فاذا راق لديك الاقتصاص ممن انتقم لنفسهِ بيدهِ فلا احجم عن اداء الافادات المقتضية بشرط ان لا يذهب تعبي سدى

قال ود لا ادري كيف يمكنك ان تمدنا بافاداتك عن هذه الحادثة بدون ان تكون في جملة من شاهدها واشترك بها .

اجاب . اني لم اشاهد قط وقوع الحادث ولكني اعرف اناساً من الذين اشتركوا في ارتكاب الجناية وعندي البراهين الصادقة على صحة هذا الاشتراك

قال . هل تستطيع ان تعين واحداً منهم

فصاح تيمس . انا استطيع ذلك

اجاب جاكسن . عندك ابنك وهو يدعي علم الغيب فما لك ولي

قال ود . ان لهذه الحادثة اهمية كبرى عندي فان كنت بالحقيقة يا جاكسن مطلعاً على شيء منها ارجوك ان لا تبخل عليَّ بالتصريح

اجاب . في الغد ان شاء الله نتكلم في هذا الصدد انما اسمح لي الان ببضع دقائق اصرفها معك على انفراد بمواجهة خصوصية

قال اني طوع امرك . وانزوى الاثنان في زاوية القاعة . فاخرج جاكسن من جيبهِ جزداً للورق وقلماً من الرصاص فبراه بسكين وضعها بجانبهِ على المائدة واندفق يسأل النجار ويكتب افاداتهِ وفي اثناء ذلك تقدم تيمس الى المائدة يتامل السكين ولدى تلاوة الاسم المحفور على قبضتها رجع الى الوراء مرتاعاً وهو يحدق نظراً مرتاباً في جاكسن وكان قد اتم كتابتهُ فقدمها الى ود وقال هاك مطاليبي ادفعها اليك وظهر غد ان شاء الله نعود الى الاجتماع

فصاح المستر ود بصوت الآمر وقد حمل بيده عصا المشيخة وكانت معلقة في قرنة الغرفة قف مكانك . ثم امر تيمساً بان يغلق الباب . وقال اطلب اليك يا جاكسن ان توضح كلامك وتلميحاتك السرية الغامضة والا اوقفتك لاني شيخ هذه الناحية . فضحك جاكسن من كلامهِ مستخفاً محتقراً . ثم صاح بشميت وكان نائماً على كرسي وفي يده زجاجة . قم فقد آن الاوان

اجاب وهو يفرك بعينيه لاي عمل

قال وقد اخرج من جيبه فردين محشوين بالرصاص . للقبض على من جئنا لاجراء توقيفه

اجاب ليك . ثم انتصب واقفًا وشاهرًا بيده سلاحًا مشابهًا لسلاح رفيقه

فصاح ود . بالله ربكما على مَ عولتما

قال جاكسن . كن مطمئنًا فاننا جئنا لنقوم بواجباتنا فنوقف عاصيًا . ثم التفت نحو كنيبون وقال له تفضل يا حضرة القبطان الى السير برفقتنا

اجاب القبطان . المرجو منك يا خواجا جاكسن ان تجلس ايضًا حيث ليس في النية ان اذهب الآن

قال . ان الوقت لا يساعد على اتمام نيتك . ثم اخرج من جيبه مذكرة احضار وقدمها اليه ولدى نظ[illegible] انتصب واقفًا وصاح . مذكرة احضار . . . .

قال نعم مذكرة احضار امضاها كاتم اسرار الملكة فانك متهم بخيانة عظيمة

اجاب ومن وشى بي

قال الذين نصبوا لك الشرك فاننا منذ زمن طويل نجد في طلبك الى ان وجدناك الان .

فصاح واويلاه . اني ذهبت فريسة للخيانة

قال لا تضع الوقت عبثًا واشكر تساهلنا معك الى هذا الحد فقد كان في وسعنا ان نوقفك وانت في صالح النقود ونحرمك من هذه الزيارة وانما امهلناك لتحقق صحة كلامك عن جمال السيدة ود

فصاحت السيدة ود . يا لكما من شقيين هل تجسران على اهانتي ايضًا . الا فانظر يا خواجه كنيبون الى اعمال رفيقيك الشريفين الفرنسويين

اجاب كنيبون . دعيني في مصيبتي ،

فتقدم شميت لانفاذ الاوامر فبادره كنيبون في الحال بضربة القاه بها الى الارض واستولى على احد فرديه ووجهه نحو راس جاكسن وصاح به اخرج خارجًا والا القيتك صريعًا

قال جاكسن يخاطب المستر ودبرزانة وثبات . انك شيخ الناحية ومعدود في جملة رعايا الملك جورج الامناء فاطلب مساعدتك لايقاف هذا الرجل الخائن ومن الان انت مسئول لدي عن شخصه

فصاحت السيدة ود بزوجها اياك والطاعة فانك مسئول لديَّ ايضًا عن كل عمل تبديه

فوقف النجار المسكين باهتًا مضطربًا لا يعلم الى اي الاثنين يطيع وايهما يخالف ولكنه التفت اخيرًا نحو كنيبون وقال انك تصيرني مديونًا لك بالجميل اذا سلمت لها عن طيبة خاطر حبًا بالسلام

اجاب كنيبون . ابدًا مطلقًا . واذا لم يخرج هذا الشقي من هنا القيته قتيلاً تحت قدميك

قال جاكسن وقد وجه كلامهُ الى النجار ان دمي يسقط على راسك

اجاب ود . ارني مذكرة الاحضار فلربما تكون مخلة فلا يعمل بها

قال تيمس . فليسال هذا الرجل عن اسمهِ و وظيفتهِ

فصاح النجار . حسن رايك . ثم وجه خطابهُ الى جاكسن وقال هل تسمح لي بمعرفة اسمك ووظيفتك لان اسم جاكسن مستعار ولا اصل لهُ من الحقيقة

اجاب ان ذلك لا يعنيك

قال تيمس لا بل يعنينا كثيرًا وان كنت لا ترغب في ان تصرح باسمك فاني اصرح بهِ بالنيابة عنك فانت «جوناتان ويلد»

اجاب صدقت ولا حاجة للنكران انا هو جوناتان ويلد .

فصاح كنيبون ما دمت انت جوناتان ويلد فخذها رصاصة تسير بك الى الابدية واطلق الفرد فاخطأت الرصاصة مرماها ولم يصب جوناتان بضر فتبسم بما يشف عن الغيظ وقال لقد جاء دوري في ارسالك الى الابدية ولكني ساسير بك اولاً الى سجن نيغكات ثم انقض عليهِ وضغط على عنقهِ والقى بهِ الى الارض وصاح برفيقهِ ادركني يا بوبلو بالقيود فاني لا اقوى طويلاً على مسكهِ

فصاحت السيدة ود . ادركونا . . ادركونا . . . القتلة . . القتلة

فقبض تيمس على فرد بوبلو وكان على الارض ووجههُ نحو جوناتان ويلد وقال هل تامرين ان اقضي على هذا الجاني

قالت نعم اقتلهُ

فهم الى العمل لولم يدركهُ المستر ود فاخذ منهُ الفرد والتفت الى جوناتان وقال اني آمرك بترك اسيرك

اجاب بعد ان تمكن بمساعدة بوبلو من ادخال القيود في ايدي كنيبون ساتركهُ عند ما يامرني ويلبول ناظر الضابطة وليس الان

قال . فهل تحتمل نتائج تصرفك

اجاب . بدون ريب

فصاح . وهو يهز بيدهِ عصاهُ المشيخة فاست و وبلو موقوفان اذًا بدعوى ارتكاب سرقة . . فهل في وسعكما ان تخالفا سلطتي

اجاب جوناتان احسنت التدبير ولكنهُ لا يجديك نفعًا

فصاح النجار افتح يا تيمس النافذة ونادي النجدة . . النجده

قال جوناتان قف قليلاً واسمح لي بكلمة واحدة

اجاب لا لا ولا بحرف واحد الا امام القاضي

قال صرح على الاقل بدعواك علينا واعلمنا هل في مهمة

اجاب كثيرة الاهمية . . ثم اظهر المفتاح الذي اخذهُ صباحًا من جاك شبارد وقال هل تعرف هذا المفتاح وهل تذكر الى من اعطيتهُ ولاي سبب

فاطرق جوناتان براسهِ الى الارض وقد علاهُ الاصفرار الشديد فقال ود خلِّ سبيل اسيرك اذًا والا دعوت الضابطة!

فاقترب جوناتان من النجار وقال بصوت منخفض ان السر المحدق بولادة الغلام الذي تبنيتهُ معلوم مني حق العلم واعرف ايضًا اسم قاتل ابيهِ فاذا لم تمانع في اجراء مقاصدي افشيت لك السرين واطلعتك على الحقيقتين والا فاكون لك عدوًا الدًا مدى الحيوة ولا يفوتك ان كلمة واحدة مني كافية لاعدام الغلام وقطع حبل الرجاء

فصاح تيمس بدون ان يعلم او يسمع شيئًا من كلام جوناتان لا تصدقهُ يا ابي ودعني انادي النجدة

قال جوناتان . كيف رايت

فصاحت السيدة ود وقد فتحت النافذة ان لم تامرهُ بالمناداة فعلت انا

اجاب النجار رايت ان تطلق سراح كنيبون

فامر جوناتان بفك قيوده ثم مر بجانب المسترود وقال قد اطلعتك على افكاري وقبل ليلة غد ان شاء الله يلحق تيمس بوالدهِ اي انى اميتهُ ثم خرج من القاعة

فاقتدى بهِ بو بلو وقبل خروجه دفع الى المسترود رزمة من الورق وقال هاك تحارير تدلك على طهارة ذيل الافعى التي وضعتها في حضنك ايها الشيخ الجاهل

فقرأ النجار عنوان التحارير وصاح ما هذا المصاب الجديد يا الهي فان الخط خط السيدة ود والعنوان باسم كنيبون

اجابت السيدة ود كذب . . كذب . . فالخط ليس بخطي ثم ارسلت الى كنيبون نظرًا مخيفًا كانها تطلب منهُ حسابًا عن خيانتهِ

فقال لها بصوت يكاد لا يسمع ان اللص سرق هذه الاوراق من جيبي ولم اشعر بهِ . . فما العمل

اجابت هتكت ستري . ثم اتجهت نحو زوجها وقالت اعطني هذه التحارير يا حبيبي فانها مزورة

فحول بوجههُ عنها وسقط على كرسي هناك ونادى يا تيمس انني بالعوينات فقد خارت قوتي وضعفت عزيمتي ولا اعلم كيف تراءى لي ان اتاهل بامراة جميلة

الدرجة الاولى من السلم

لم يرق لدى تيمس درايل مشهد العتاب الحاصل بين المستر ود وامرأته فانسل الى خارج القاعة يطلب غرفة كان يمضي فيها مع جاك شبارد اوقات الفراغ والممازحة فوجد الباب مفتوحاً وو يتغريد ود جالسة على طاولة ترسم على ورقة صغيرة فلم تشعر بقدومه و بقيت مكبة على العمل وكانت هذه الغرفة كملعب للغلامين مجردة عن كل نظام فمن ثياب منثورة في جهة ومن امتعة منتشرة في اخرى وقد جمع فيها تيمس اسلحة مختلفة الاشكال و بضع الات للهندسة وقليل من الكتب الحربية اما مكتبة جاك شبارد فتولف من بضعة تواريخ لمشاهير اللصوص ونسخ عديدة من الاغنية الحماسية وكثير من مثل الرسوم الملصقة على جدران دكان التجارة

فبقي تيمس مدة يسترق النظر اليها من الخارج فاذا بها قد رميت بقلم الرسم من يدها بغتة وصاحت لا . . لا وجه للشبه بينهما فهو اجمل منها بكثير وهمت الى محو ما رسمت لو لم يعاجلها تيمس بالدخول الى الغرفة و يعمد الى انتشال الورقة من يدها

فصاحت وقد علاها احمرار الخجل وهي تمانع في تسليمها . . في الورقة سر . . سر عزيز

ولكنها لم تثبت طويلاً في الدفاع فان تيمساً تغلب عليها واختطف منها الورقة وقال قد ملكت سرك

قالت استحلفك بالله ان لا تنظر الى ما فيها . ولكن انذارها جاء بعد اوانه لان تيمساً كان قد سبق فشاهد في الورقة صورته فتكدرت لذلك وقالت اسأت في عملك

اجاب نعم اسأت وخطيتي لا تقبل الصفح

قالت وقد مدت اليه يدها ولكني لا اؤاخذك بخطيتك بل اصفح لك من صميم القلب

اجاب ولما تعمدت اخفاء هذه الصورة عني

قالت لانها لا تشابهك

اجاب ان شابهتني او لا فانا راضٍ عنها واملي ان تسمحي لي بها فتكون لي منكِ تذكاراً جميلا

اجابت وقد راعها ما شاهدته من تقلب احواله ولما هذا التذكار يا اخي

اجاب ليذكرني بك اثناء فراقنا الطويل فيكون عندي عزيزاً مكرماً واحتفظ لك عليه الى الابد فان هذه الليلة ياو يتغريد هي الاخيرة من ليالي اجتماعنا وفي الغد انزح من بيت ابيك

فنظرت اليه كانها توبخه على قصده وقالت وهل صرحت بعزمك الى ابي

اجاب لا وانما ساطلعه على مرادي قبل المنام ان شاء الله

فصاحت وهي تصفق بكفيها فرحاً كن على يقين بان ابي لا يسمح بسفرك

فتنفس تيمس الصعداء وقال اه كم كنت سعيداً لو كان المستر ود ابي

قالت ياحبذا ذلك فتكون اخاً حقيقياً لي ثم تأملت فيه وارادت التكلم فخنقتها العبرة

قال .ما بالك

اجابت .لا اعلم وانما اخشى ان تكون من نسل قوم شرفاء

فذكرته هذه العبارة بافادات حوناتان ويلد عن ولادته فتنهد وقال ما لنا وللاحلام فاعطني الان هذه الصورة تذكاراً لحبك

اجابت .وقد جردت عنها من ذخيرة كانت معلقة فيه خذ هذه الذخيرة ففيها قليل من شعري فلربما تذكرك احياناً باختك الصغيرة الحزينة اما هذه الصورة فدعها لي منك تعذية على فراقك ثم جمدت قليلاً وقالت لديّ امور كثيرة اريد ان اقولها لك ولكنك طردتها بكليتها عن افكاري فما عدت اذكر شيئاً

وما اتمت حديثها الا طفحت اعينها بالدموع فاسندت رأسها على صدر تيمس وكان قلقاً مثلها لا يعي على شيء لشدة هواجسه حيث كان متيقناً بانه يفارق ولربما الى الابد فتاة يحبها كاخته فاحتضنها بذراعيه واطرق براسه خائطاً في ظلمة الوهم فلم ينتبه الا على صوت صفير طويل وكان الفاعل جاك شبارد وقد دخل الى الغرفة بدون ان يشعر بهما احد وهو ينظر اليهما باستخفاف واستهزاء ويهز برأسه ضاحكاً ومردداً قوله .نظرنا وعلمنا

قال تيمس بغضب .جاك

فلم يبال بانتهاره وداوم الضحك والتهكم

فصاح تيمس ..ماذا جئت لتفعل هنا

اجاب .ما جئت لافعل شيئاً والغرفة لا تختص بك دون سواك فهي لي ولك على اني لا ارغب في تكدير سروركما واذا تنازلت و يتغريد الى معانقتي كما عانقتك الان رحلت عنكما وتركت لكما الجوّ خالياً

فارسلت الفتاة الى جاك نظرة الاحتقار توّ نة على كلامه وخرجت في الحال

فضرب لخروجها السكوت اطنابه برهة تكلم في نهايتها جاك فقال اني اجود يا تيمس بيدي اليمنى وهي ضحية ليست بقليلة على من كان مثلي نجاراً في سبيل الحصول على نصف ما تحفظ لك ويتغريد من المحبة والوداد

اجاب .انك لا تنال منها قصداً ما دمت لا تحسن سلوكك معها او بالحري مصرّاً على اساءة معاملتها

قال وحرمة حبي لها لم يكن في النية ان اسيء اليها او اكدرها ولكنه يصعب عليّ ان ارى من يحبها قلبي بين ذراعي غيري

وكانت ورقة الرسم قد سقطت من ويتغريد في ارض الغرفة لمزيد اضطرابها فنظرها جاك وصاح وهو يتاملها . ويتغريد رسمت هذه الصورة؟

قال نعم فهل هي مشابهة لي

اجاب متمرمرًا كل المشابهة ثم حقق نظره وقال ان هذه الصورة قد اخذت عن صورة من الميناء التي في جيبي

قال ومن اين لك مثل هذه الصورة وهل لك معرفة بصاحبها

قال لا . . انما لا يبعد ان تكون صورة ابيك

فصاح تيمس . ابي . .

قال نعم لا يبعد ذلك ثم اخرج من جيبه صورة محجرة بماس ثمين ودفعها الى رفيقه وهي تمثل شابًا يشابه تيمسًا وتدل ثيابة على رفعة مقامه وعلو مكانته

فصاح اصبت ياجاك فهذا لامحالة ابي

قال نعم ابوك لان وجه الشبه عظيم بينكما

قال ومن اين اتيت بها

اجاب من عند السيدة ترافور

قال اومل ان لا تكون قد سرقتها

اجاب لا فاني لم اسرقها ولكني انتشلتها

قال عليك ان تردها في الحال الى صاحبتها

فصاح جاك مضطربًا على مَ عزمت . . . على خيانتي

قال . معاذا الله ان افعل ذلك وانما اريد ان تعيد الصورة الى ذويها

اجاب اعدها انت اما انا فحسبي خسارتها وكفى

قال لاباس وعمد الى الذهاب فوقف جاك في طريقه وصاح قف مكانك . هل تريد ان تذهب بي الى السجن

اجاب لا بل بالعكس اريد ان احافظ على شرفك وحياتك

فصاح بخ بخ ان الشرف والحياة يحفظان ما دام السر مكتومًا فاعطني الصورة . . والا . . فاحذر لنفسك

قال تيمس بسكون لايخفاك على ظني ياجاك اني اشد منك عزيمة

اجاب نعم اذا اقتصرت المشاجرة بيننا على الايدي لكني احمل سكينًا

قال انك لاتجسر على استعماله .

فسحب جاك للحال سكينة وقال ان شئت ان تتأكد جسارتي فما لك الا ان تخطو خطوة واحدة من مكانك

اجاب تيمس بدون ان يرتاع لكلامه ما ظننت بك مثل هذه القحة واعلم ان تهديداتك لا تمنعني عن الخروج اذا اردت ذلك اما الآن فارجوك ان تفتح لي طريقًا

قال لا . . ابدًا . . . . انك لا تخرج من هنا مطلقًا

فتقدم تيمس بقدم ثابت وقبض على عنق جاك فصاح بغضب اتركني . . اتركني . . والا ارسلت سكيني الى قلبك على ان تيمسًا لم يبال بالوعيد بل جدد العزيمة للتخلص من شر خصمه فاشتبك بينهما العراك وكاد يجلي عن جريان الدماء لولم تسمع ويتغريد الصياح من الخارج وتسارع الى الغرفة ولدى نظرها السكين في يد جاك صاحت بالله ياجاك لا تفعل . . لا تمس تيمسًا بشر . . اقتلني ياعزيزي بدلاً منه ثم القت بنفسها بين الخصمين فرمى جاك بسكينه الى الارض وابتعد عن خصمه بضع خطوات مزبدًا مفكرًا

فقالت الفتاة ما سبب هذه المشاجرة ياعزيزي تيمس

اجاب جاك . . انت

قال تيمس لا تصدقي وفيًا بعد سانيك بالنبأ الصحيح انما اتركينا الآن قليلاً فان لي كلامًا اقوله الى جاك . . فاذهبي ولا تخشي فالخصام انتهى

فنظرت الفتاة الى جاك كأنها تستكشف نواياه وقالت أصحيح ذلك

قال نعم نعم فليفعل بي ما يشاء وليقتلني ايضًا ان حسن لديه ليرضيك

فذهبت ويتغريد اجابة لطلبهما وهي ليست على يقين تام من صفاء قلوبهما وعند ذلك اقترب تيمس من شبارد وقال وقد مسك بيده يضغط عليها توددًا ما لنا ولما مضى فقد قلت لك وما زلت اردد القول باني لا اخونك مطلقًا فثق بكلامي انما غاية مرادي ان نذهب الى السيدة ترافور سوية عسى تفيدنا شيئًا عن صاحب هذه الصورة

اجاب لا باس فالفكر حسن وانا لا امانع فيه بل اسير معك الى السيدة ترافور انما يقتضي ان نهتم في مواجهتها وحدها بحيث لا يكون احد بجانبها وخصوصًا السير روفلاند ترانشفار لان هيئته تدل على شره وقساوته ولولاه لما استطعت انتشال هذه الصورة فانه كان منتصبًا بجانبها يتهددها ويتوعدها وهي ملقاة بحكم الصرع لشدة مرضها تعاني آلام العذاب وبينما كنت ارتب لها الامتعة في صندوق السفر غافلة والقت هذه الصورة فيه وفي الحال انتشلتها ووضعتها في جيبي ولكني عدت فندمت على فعلي لما شعر به قلبي من عاطفة الميل نحو هذه المسكينة فهي تشبه امي بعينيها الكبيرتين السوداوين

قال تيمس ان هذه المشابهة وحدها كانت كافية لان تحولك عن عزمك فلا ترتكب مثل هذه الجريمة

اجاب جاك لم يكن في الخاطر قط ان اقدم على مثل هذا الجناية او غيرها لو لم تضربني السيدة ود في هذا الصباح بدون ذنب واذا حكم عليَّ فيما بعد بالشنق جزاء لشروري فهذه السيدة وحدها هي المطالبة بدمي

قال تيمس اطرد عنك ياجاك هـذه الافكار الردية فاني موقن بسلامة قلبك فلا تعود الى عمل الشر

اجاب نعم وانما بعد الانتقام لنفسي ثم غير لهجة صوته وقال اياك ان تمكن السير روفلاند من رؤياك اذا شئت ان لا تسبب لي ولذويك كدرًا مزيدًا

قال لاتخف . وانطلق الاثنان الى خارج الغرفة يطلبان السلم حيث سمعا من ثمة صوت المستر ود وامرأته وهما يكلمان الخواجه كنيبون بلهجة الوداد بما دل على حسم المشكل وكان الخواجه المذكور قد وقف يستأذنهما بالرحيل فقـال اني في غاية الاسف والكدر لما حصل بيننا من الشقاق ياصاحبي

اجاب المستر ود معترفًا بخطاه وقال لا تعد بالله الى فتح باب العتاب فاني على تمام الارتضاء والاقتناع من ايضاحاتك

قالت السيدة ود اننا بانتظارك غدًا والامل ان تأتنا بدون رفيق اجاب ضاحكًا ان شاء الله انما احترسوا على تيمس درابل لان تهديدات جوناتان ويلد لا يستخف بها ولربما لا يؤجل عدوانه الى الغد فاسهروا عليه والحذار من ان تسمحوا بخروجه من البيت قبل رجوعي

فهمس جاك في اذن رفيقه قائلاً . . سمعت . .

اجاب نعم سمعت فهيا لان الوقت ثمين

قال المستر ود سر تحت حماية الله ياخواجه كنيبون ولا تخف فاني لا اغض طرفًا عن تيمس وسألاحظه بما لا ينيل جوناتان اربًا

وتبادلت اذ ذاك التحيات بين الاثنين ثم فتح الخواجه كنيبون الباب وخرج من المنزل فدار الحديث بين الزوج وزوجته فتنهدت الامرأة وقد اخذت بيد زوجها وتقدمت واياه الى المشى وقالت اه من الرجال . . الرجال . . الرجال كيف يسيئون الظن في الحال

اجاب عنها ياحبيبتي فانك لا تنكرين بان الظواهر كانت موجبة للشك ولكن حيث اقسمت الان بانك لم تكتبي هذه التحارير واكد الخواجه كنيبون بانه لم يحصل عليها منك اصبح من الجهل والغرور ان لا اصدقكما ثم عزم على الذهاب لمشاهدة تيمس فاوقفته عن عزمه وقالت ان تيمسًا في

ما أمن من كل شيء فيها معي الى القاعة لاني لااصبر في هذا المساء على فراقك
وبعد هنيهة سمع صوت اقفال باب القاعة على الزوجين فصاح جاك قد ازف الوقت فسر بنا يا تيمس واذا يد مسكت تيمسًا من ذراعه وكانت صاحبة اليد ويتغريدود وقالت له الى اين ذاهب
اجاب الى حيث لا اغيب طويلاً
قالت . لا . . لا . . لاتذهب من هنا فان خطرًا عظيماً يتهددك في الخارج وقد سمعت الخواجه كنيبون يخاطب ابي في صددك
فصاح جاك بفروغ صبر . بالله دعيه في حاله فان المستر ود لا يلبث ان يدركنا اذا تهاملنا في السير
قالت ويتغريد تخاطب تيمسًا اذا حاولت الذهاب دعونه في الحال لا يفافك ثم التفتت الى جاك وقالت لماذا تغري اخي على مثل هذه الاعمال المكدرة . . فبالله عليك ياتيمس لا تسمع له بل ابقَ هنا ولا تسيء اليَّ بخروجك . . فلو لم تقصدا بذهابكما شرًّا لما سرتما بدون علم ابي
فصاح جاك وهو يضرب الارض برجليه ها هو قد حضر فدقيقة واحدة كافية لان نعرقل مساعينا
قال تيمس وقد ابعد عنه الفتاة بلطف . لايمكنني الا ان اخرج ياويتغريد
فصاحت لا . بربك لاتنفعل ياعزيزي . ولكن اقوالها والتماساتها ذهبت عبثًا لانهما كانا قد تركا المنزل واختفيا عن الابصار فبقيت الفتاة المسكينة على السلم صامتة باهتة عرضةً للتنهدات العميقة وكان ود قد فتح باب القاعة وخرج ليطمئن على الاولاد فنظر ابنته على هذه الحالة مخنوقة بالعبرات فصاح مرتاعًا
ما بالك واين اخوك تيمس .
فلم تقوَ على الجواب واشارت الى الباب تريد انه خرج من هنا
. قال وجاك
اجابت اخيرًا بصوت صادر عن قلب متمزق بالمصاب . توجه الاثنان معًا فاضطرب المستر ود لذلك وصاح فليسامحني الرب على خطيتي فلو لم اقد من قرني الى امرأتي لما فاجئتنا هذه البلية الدهماء

اخ واخت

في نفس هذا المساء كان السير روفلاند واخته السيدة ترافور مجتمعين معًا في قصر لها شائق مشيد منذ زمن الملكة ايزابلا في احسن احياء لوندرا وكانت الاخت مرتدية باثواب الحداد الطويلة وهي بين راقدة ومستيقظة ممددة على كرسي طويل وقد اسندت راسها الى وسادات

صغيرة وجميع ظواهرها تنذر بكونها عرضة للآلام الشديدة وكان من الصعب التوصل الى معرفة حقيقة سنها حيث كانت جامعة بين اثار الصبوة وعوارض الكبر الناشئة عن الاوجاع والمصائب فمن وجه مصفر ذابل ملطخ بالدم ومن عينين كبيرتين سوداوين فاقدتين حدتهما ولمعانهما ومن اعضاء ضعيفة عطلتها الامراض ومن شعر قليل موخط بالشيب وفي وجهها مع ما نابهُ من اثار هذه النوائب بقية ظاهرة لجمال باهر قليل الوجود والمثال وكان الشبه بين الاخ واخته عظيماً جداً في العينين والتركيب والاعضاء وهما لايختلفان الا في سمات الهيئة ففي احوال السير روفلاند ما يدل على انهُ مصاب بمرض الماخوليا الشديدة الناشئة عن تبكيت الضمير وتعاظم الذنوب وكان واقفًا بجانب اختهِ وقد تحول نظره اليها وقال. فاذًا قطعت بوجوب السفر غداً الى لانكشير

اجابت بصوت ضعيف ثابت نعم اعتمدت على المسير وما من وسيلة لتغيير عزمي وستحصل على المبلغ المطلوب ولكن . . . .

فصاح ولكن . . ماذا . . .

اجابت لا حاجة للايضاح فانك تعلم يقينًا باني تنازلت عن هذا المبلغ للملك يعقوب وليس لك اي للانتصار الى عمل عظيم مقدس لا لاكمال مقاصد شريرة دنيئة

فعض السير روفلاند على شفتيهِ منعًا لما ربما يصدر عنهُ لغيظهِ من الكلام المسيء وقال بسكون منتعل وعلى مَ اعتمدت في شان الوصية هل ما زلت مصرة على عدم كتابتها

اجابت روفلاند . . روفلاند . . انك تتعب نفسك في المحال للحصول على رضاءي عنك ومصادقتي على مطاليبك بالتهديد والتخويف واعلم اني لا اسير بخلاف الهامات ضميري فقد كتبت وصيتي وهي في مأمن من اعدائي

قال وفي اي سبيل كتبتها

اجابت في سبيل صالح وخير ابني

قال ليس لك ابناء

اجابت متنهدة بلى كان لي واحد ولربما هو حيٌ ايضًا

فصاح روفلاند بغضب اه لوكنت عالمًا بذلك ولكنهُ عاد فسكن هياجه وقال ما هذا الجنون يا اليفه ان ابنك قضى في نفس الساعة التي قضى بها والده فانتصبت الاخت اذ ذلك بجهد العناء وارسلت الى اخيها نظرة مرعبة وصاحت من قضى عليهما

قال ذاك الذي انتقم لشرف العائلة وهو اخوك

فصاحت وعيناها تقدحان شرارًا وقد اتقدت جبهتها بنار مضطرمة السعير. اخي . . اخي ثم رفعت يديها المرتجفتين نحو السماء وقالت اني اتخذ الديان العادل شاهداً على اني كنت امرأة

شرعية لتلك الضحية العزيزة

قال روفلاند كذب . . كذب

اجابت وقد سقطت بعنف على كرسيها بل حق حق واقسم بالله العظيم على صحة كلامي

قال وما اسمهُ . . صرحي باسمهِ فاصدقك



فاستل سيفهُ وصاح اسمهُ . . اسمهُ . . صرحي باسمهِ

اجابت انك لا تطلع على هذا السر المصون الا بعد موتي وانما افرج لانك لا تنتظر طويلاً فما عاد لي يا روفلاند في هذه الحيوة الدنيا الا بضعة ايام معدودة واذا داومت معاملتني بهذه القساوة تكون سبباً في تعجيل اجلي كما كنت سبباً في اعدام ابني وزوجي فلنفترق يا اخي بسلام ما

دامت اوقات اجتماعنا قصيرة وعما قريب ساهديك وداعًا اخيرًا

قال وهو على غير هدًى لشدة غيظهِ لربما يكون كلامك صحيحًا انما اريد ان اعرف قبل فراقنا اسم هذا الزوج الكاذب . . . اريد معرفتهُ . . فهمت او لا

اجابت بثبات ان جميع عذابات الارض لاتقوى على اخراج هذا السر من صدري ،

قال وما الموجب لاخفائهِ

اجابت قسم صدر مني لزوجي

فبقي جامدًا ينظر اليها برهة بدون ان يبدي جوابًا ثم اخذ يتمشى في القاعة بعجلة المتفكر المضطرب و بعد ان حاذها عدة مرات وقف بغتة امام اختهِ وقال

ما الذي يحملك يا اليفه على الظن بحياة ابنك

قالت حلمت اني اراه قبل موتي

اجاب متبسماً بتهزوء . الا فاعلمي ان املك باطل كحلمك وما لم يعد ابنكِ فيجدد حياته من اعماق نهر التيمس حيث دفن مع ابيهِ الشقي لا يمكنك ان تريهِ مطلقًا في هذا العالم

فاجابت وهي تفرك بيديها اسا . فلتحنن عليك السماء يا روفلاند لان قلبك مجرد عن كل حنية نحو اختك

قال وسابقي كذلك الى ان احصل على اسم هذا الشقي ثم ضرب برجليهِ الى الارض وصاح صرحي باسمه

قالت . روفلاند . . انك تقتلني بعملك

فاستل سيفهُ وصاح اسمهُ . . اسمهُ . . صرحي باسمهِ

فارسلت السيدة ترافور صوتًا مخيفًا وغابت عن الوجود وعند رجوعها الى الصواب لم تجد بجانبها الا امرأتين لان السير روفلاند كان قد ترك القاعة وذهب فطاست في الحال مركبتها للسفر

فقال خادم كان واقفًا بقرب الباب . وفي أية ساعة تريد مولاتي الرحيل

اجابت عند ما تتهيأ الخيل

قال هل لمولاتي اوامر اخرى فاقضيها برموش العين

اجابت لا . انما خذ هذا الصندوق فضعهُ بيدك في المركبة ثم ارسلت نظرًا عامًا الى جهات القاعة الاربع وسألت اين روفلاند

قال دخل الى المكتبة ومنعنا من ادخال الناس عليهِ وفي الدار رجل غريب الهيئة يطلب مكالمتهُ ويرفض الانصراف بدون مواجهتهِ

اجابت ما لنا ولما لا يعنينا . . فاذهب « يا هوبسن » ولا تضيع الوقت سدًى

فاخذ الرجل الصندوق وانحنى احتراماً لسيدته وخرج

فتقدمت امرأة كانت بقربها تعينها على النهوض وقالت ان سيدتي متألمة كثيراً بما لا يمكنها من السفر فليس لها من القوة ما يعينها على السير الى منشستر

اجابت لا باس «يا نوريس» فاحب لدي ان اموت على الطريق من ان اعاني عذاباً من امثال هذا المشهد الذي مرّ على اعيني

قالت نوريس وويلاه اني عندما سمعت صوتك ظننت بوقوع مصاب جديد فالسير روفلاند والحق يقال رجل مخيف ونظرة واحدة منه كافية لان تجمد دمي في عروقي

اجابت السيدة ترافور ان السير روفلاند اخي

قالت ان اخوته لك لا تكون له حجة اساءة معاملتك فلو كان السير ساسيل حيّاً لما سمح بوقوع مثل هذا العدوان ضدك

فارسلت السيدة ترافور لذلك تنهداً عميقاً

فعادت نوريس الى حديثها وقالت انه منذ يوم زواجك بالسير ساسيل وانت مريضة تعانين الالام والذي سبب انحراف صحتك ما اصابك من السقوط في ليلة الزوبعة العظيمة

فصاحت وقد استولت الرعشة على جميع اعضائها . نوريس . . . . . .

اجابت الامرأة مرتاعة لمنظر سيدتها الهي . . ماذا الذي قلته . . . ثم همت في طلب شيء من المشروب لتسكين هياجها وكانت قد تمالكت روعها فقالت لا تفعلي شيئاً انما لا تعودي الى اذكاري بحوادث سابقة مريعة واذهبي الان لتجهيل معدات السفر وما مضى على امرها عشر دقائق الا نقلت الى المركبة وكانت تنتظرها عند اسفل السلم فسارت بها نحو منشستر تعدو عدواً سريعاً

رجل او شيطان

وكان السير روفلاند يمشي ذهاباً واياباً في غرفته وهو عرضة لمفاعيل الهياج الشديد لا يعلم كيف اعتمدت اخته على السفر وهي في حالة المرض القتال بدون مشورته وكان يعز عليه من جهة ان يمانع عنوة في اتمام عزمها ويصعب عليه من جهة اخرى ان يعترف بخطاه فيطلب مسامحتها ويحولها بلطف عن سفر خطر على حياتها وبينما كان يفكر في ذلك سمع صوت سير العجلات فانتبه للحال وقرع الجرس بحدة وعجلة فوقف الخادم امامه فقال له باشاركام هيء الخيل

فبقي شاركام متردداً لا يجيب بشيء

فصاح روفلاند الم تسمع . . اريد ان الحق بعجلة السيدة ترافور فاسرع

اجاب ان السيدة ترافور ستصرف هذا الليل في سين اليان وقد اخبرتني بذلك (نوريس)

وفي الدار رجل يطلب مواجهتكم وعلى ظني ان عظمتكم لاتتكدرون من مقابلتهِ

فنظر السير روفلاند الى خادمهِ وكان مؤتمن سره في الدسائس السياسية نظرًا معنويًا وقال هل هو مرسل من قبل وليم

قال . لا يا سيدي

قال . فاذا من قبل المستر كيسناتون لان مراسلة السير جون باكنكيتون وصلتني امس

اجاب لا ياحضرة السير فان هذا الرجل قد رفض ان يصرح بماموريتهِ ولكني على ثقة من اهميتها

وكان شاركام قد اخذ لترويج هذه المواجهة من الرجل المحكى عنهُ دينارين فعدل اهمية المامورية باهمية الدراهم التي قبضها وبذل المجهود في استئصال الموانع التي تحول دون اتمامها

فتامل روفلاند برهة وقال لا بأس فليدخل حيث لا يبعد ان يكون مرسلاً من قبل الكونت «سمار» ثم عاد فانتهر الخادم وقال الحذار من ان يوخرك ذلك عن تهيئة الخيل اذ لا بد من بلوغ سين اليان في هذا المساء ثم جلس على كرسي طلبًا للراحة لانهُ كان تعبًا مضطربًا وسار الخادم لانفاذ الاوامر وما لبث ان عاد مصحوبًا بالرجل المذكور وهو شاب دني المظهر قبيح الهيئة مرتدٍ بثوب الركوب وفي رجليهِ جزمة وعلى جانبهِ سكين فانحنى امام السير روفلاند باحترام وقال . . . خادم سيادتك . . .

اجاب عابسًا وماذا يريد مني

فاحدق الرجل بنظره الى شاركام بما يفيد ان حضوره يثقل عليهِ فاشار السير روفلاند اليهِ ان اذهب فذهب

ولما خلا بهما المقام جلس الرجل على كرسي وقال . يظهر انك لم تعرفني فاستاء السير من هذه القحة ونهض في الحال واقفًا

فقال الرجل . لا تكلف الخاطر بالوقوف ياسيدي السير فاني لااحب التكليفات ولا اقوم بها لمن اكون على يقين من حسن استقبالهِ لي فاني اعرفك وتعرفني

اجاب روفلاند . لا اذكر شيئًا مما تدعيهِ انما صرح لي بتاريخ ومحل مواجهتنا الاخيرة فلربما انتبه واتذكر

قال اما التاريخ ففي ٢٦ تشرين الثاني سنة ٧٠٣ ' واما المحل ففي فندق النقود

فارتجف روفلاند لذلك كانهُ اصيب بضربة قتالة ولكنهُ عاد فتمالك روعه وقال اخطأت ياخواجه حيث كنت وقتئذٍ في املاكي في لنكشير

فضحك الرجل لكلامهِ وقال بعد سكوت ليس بقصير لا باس ياحضرة السير حيث يصعب

عليّ ان اكذبك ولا الومك على ما اظهرت من عدم الركون اليّ قبل ان تعرفني .. فلا تقر بشيء ولا تصدق شيئًا ولا تعطي اشياء بدون ان تحصل على شيء تلك خطتي التي سرت عليها منذ وجودي الى الان فما جئت اليك لاكون معلماً لاعترافك بل لاخدمك

قال روفلاند معتجبًا . والنهاية

اجاب لاتلبث ان تطلع عليها فانك ترفض ان تعير ني ثقتك وهو تحسب مجيد لا يسعني الا ان امدحك عليه ولكنه لايجديك نفعًا لاني مطلع على تاريخك واعمالك وافكارك فلا يخفاني منها شيء

فصاح روفلاند باحتقار الا فاثبت ما تدعيه والا فتكون كاذبًا مخادعًا

اجاب بسكون تام ان شئت البراهين الراهنة على صحة كلامي فها كها . . انك ابن شرعي للسير مونتاكيت ترانشفار من هاستون هار بقرب منشستر وقد رزق ابوك فضلاً عنك بنتين ففقدت الواحدة منها واسمها قسطنطينة باهمال خادمها ولم يقف لها منذ ذلك الحين على اثر اما الثانية واسمها اليفه فمازالت الى الان فيما بينكم وهي المعروفة بالسيدة ترافور وقد اتيت لك على ذكر هذه الايضاحات لتكون على يقين من صدق افاداتي

قال روفلاند متهكماً ان كانت تقاريرك كلها على هذا النمط فالاحرى بك ان تقف عند هذا الحد لان ايضاحاتك ياخواجه معلومة من جميع الناس

اجاب لايبعد ذلك انما لدي غيرها مما لا يعلمه الا النذر القليل منهم فاذا سمح سيدي السير قصصتها عليه

فصاح . . قل

قال كان ابوك السير مونتاكيت من الخدام المخلصين للملك يعقوب الثاني ولكنه تحول عنه بعد سقوطه فاعطى الستوارت ظهرًا وانكر عليهم حق التملك على بريطانيا ونسب البعض هذا الانحراف الى توبيخ عنيف وجه اليه من هذا الحزب في محفل عام والمشهور المعروف انه خدم الحزب البروتستانتي الى اخر دقيقة من حياته باخلاص وثبات

قال روفلاند لاانكر عليك الى الان صحة الخبر على انه مشهور متواتر

اجاب دعني اكمل . . فانك لم تكن من مذهب ابيك لجهة الحزب اليعقوبي بل داومت الجد في خدمة الستوارتيين واتحدت معهم وعملت على تقليص ظل اعدائهم بما لم يرق في اعين ابيك السير مونتاكيت فعمد اولاً الى التوبيخ ثم الى التهديد ولما لم يصادف نجاحًا اتخذ احتياطات اخرى جديدة قاطعة

فتنفس السير روفلاند الصعداء وقال ما هذه الاحتياطات

قال كانت مصاريفك الى ذلك الحين لا تقف على حد معلوم وابوك لا يمانعك في اسرافك بالنظر الى عظم ثروتهِ ولكنهُ شاهد اخيرًا بان اموالهُ تصرف لخير حزب مضاد فامسك عن امدادك بها وعين قيمة محدودة تدفع لك سنويًا سدًا لمطالبك فلم تتعظ بهذا الانذار بل بقيت مصرًا على عزمك بما الجأ اباك اخيرًا الى حرمانك من ثروتهِ فكتب وصيتهُ ووهب جميع اموالهِ واملاكهِ الى ابنتهِ اليفه وكانت وقتئذٍ مخطوبة من ابن عمها السير ساسيل

فضاقت لذلك انفاس روفلاند وخفق قلبهُ وارتعشت اعضاؤهُ وصاح كمل

قال وعندما بلغتك ارادة ابيك فعلت ما يليق فعلهُ بالرجل الحكيم في مثل هذه الظروف فصرفت الهمة توصلًا الى اخفاق هذه المساعي وتمكنت بمهارة غريبة من قطع علاقة الزواج بين اختك والسير ساسيل مع المحافظة على صداقتهِ فاطمأن لذلك منك البال وهدأ الروع وظننت انك في مأمن من طوارق الدهر فانصببت بكليتك مع ابن عمك على الدسائس السياسية لا تعير اختك اليفه اهتمامًا وكان ذلك في نحو سنة ١٧٠٢ فشخصت الى لوندرا على حين كنت تصرف الزمان في خدمة احزابك في لنكشير وبعد شخوصها بامد غير بعيد وصلك تحرير من تابع لك موتمن على سرك يدعى دافياس وما لهُ ان اختك اقترنت سرًا في لوندرا من رجل لا يعرف عن احوالهِ شيء وقد وضعت منهُ طفلًا بما صرم حبال الامل فراعك هذا الخبر وفكرت في خطةٍ لم تتقاعد عن اجرائها حيث اقنعت السير ساسيل بان اختك اليفه ذهبت فريسة لاغراء رجل طغاها على الفحشاء وكان لا يزال مشغلًا بحبها فاغتر بكلامك وسار معك الى لوندرا منتقمًا غضوبًا وفي يوم وصولكما قادكما دافياس الى منزلها ولما لم يوذن لكم بالدخول دستم الدار عنوة فقابلكم زوجها المعروف بدرايل والسيف في يدهِ واوقفكم بقوة الصدام عن التوغل الى داخل المسكن ولكنهُ تاثر اخيرًا لصراخ امراتهِ وتوسلاتها اليهِ بوجوب الفرار مع ابنها الصغير فحمل الطفل وفرَّ من وجه اعدائهِ بطريق الجنينة فسرت مع اتباعك تجدون في طلبهِ الى ان وصلتم الى فندق النقود حيث احتجب عنكم بخبيهِ عن ابصاركم تشعب الطرقات وصعوبة المسالك وظلمة الليل وكانت اختك المسكينة قد سارت في اثاركم فرات زوجها منهزمًا يخترق بيتًا مجاورًا فلم تستطع مكالمتهُ مخافة ان تحول اليهِ الانظار اما هو فتوصل بمساعدة رجل خبير باحوال طرقات الفندق ومعابره الى النجاة من مطارديهِ وبينما كانت اليفه هائمة على وجهها في طلب زوجها سقطت من مكان مرتفع فوصلت الى الارض صريعة لا تعي على شيءٍ فحملها السير ساسيل الى بيتها وهو يظنها مائتة ولكنها فاقت اخيرًا وعاشت بعد هذه السقطة تجرحياة مثقلة بالاوجاع والامراض الى هذا اليوم وكان روفلاند قد التقى بالرجل الذي سهل لدرايل طريق الهرب فاهداه واعانهُ على ملاحقتهِ فجد في مطاردتهِ بصحبة دافياس ورجل اخر الى نهر التيمس حيث نزل درايل في فلك

فتبعه المطاردون في فلك اثره وكان الليل حالكًا ينذر باخطار الزوبعة العظيمة فلم يعبأ السير روفلاند بهذه المخاوف ولم ترعه الزوابع بل انقض على زوج اخته والقاه مع ابنه في عباب النهر

فصاح روفلاند ولوائح الخوف والقلق ظاهرة في وجهه اتم حديثك

قال لم يبقَ منه الا القليل فان السير روفلاند اي حضرتكم عندما شاهد هلاك اصحابه في النهر على مرآى منه ايقن بان هذا السرّ سيبقى مدفونًا مع من دفن في اعماق النسيان وكان كذلك مدة اثنتى عشرة سنة لم يظهر فيها ما يكدر طمأنينته وفي اثناء ذلك توفي السير مونتاكيت متخلفًا عن اسمه لابنه روفلاند وعن ثروته لابنته اليفه التي ارتضت اخيرًا بان تتاهل بالسير ساسيل وكان قد اوقع لابن عمه على شروط غير عادية في اتمام هذا العقد فتوفى قبل الجازه والسيدة ترافور الان في حالة من المرض لا تعينها على التاهل وهي بدون ولد على ما يقال ولا يلبث السير روفلاند ان يرث من بعدها ثروة العائلة باسرها

فصاح روفلاند وعيناه تقدحان شرارًا . شيطان انت ام انسان

فتبسم الرجل وقال بالغت كثيرًا في مدح اطلاعي ياحضرة السير

قال ان كنت انسانًا فصرح لي عمن اتصلت اليك هذه المعلومات

اجاب اني ارفض الجواب على هذا السوال ولكني مستعد لخدمتك

فصاح روفلاند ومن تكون

قال لو سألتني منذ البداية عن اسمي لوفرت عليّ مشاق الحديث وعلى نفسك بعض القلق والخوف . . فاني « جوناتان ويلد » مفتش البوليس السري فوضع روفلاند يده على حسامه وقال بتهكم وثبات كان من الواجب على رجل شهير في الزكاء من امثال الجناب ياخواجه جوناتان ويلد ان يعلم بان من الخطر العظيم الاكتشاف على اسرار الغير

اجاب اني اعلم ذلك حق العلم انما ليس في المسالة ما يدعو للتحسب لوجهين اولهما ان لك من الصالح في عدم الاساءة اليّ وثانيهما لاني على استعداد اتم لجميع الطوارىء فلا اطارد النمر بدون عهيئة السلاح اللازم لمقاتلته فرجالي على بعد خطوات قليلة من هنا وقد سلمت احدهم الاوراق المتعلقة بمسالتكم فاذا لم اعد اليهم في مدة معلومة رفعت الى محل الايجاب فيجري المقتضى في شانها

قال روفلاند هل برح عن بالك انك في قبضة يدي وان رجالك لايجدون اليك سبيلاً

اجاب ولكني قادر ان ادافع عن نفسي فاني احسن اطلاق الرصاص واستعمال السيف واذا اقتضى الامر اثبت لك صحة قولي بالعمل واعلم اني لم اجل بتعريض حياتي الى اعظم الاخطار طمعًا بالربح

قال وماذا تومل ربحًا من هذه المسالة

اجاب الان بلغنا نقطة العمل فهاك شروطي . ودفع اليهِ ورقة مكتوبة فقراها وبقي صامتاً لا يبدي بنت شفة ولكنهُ تكلم اخيرًا فقال ان الف ليرا استرلينية ثمن باهظ لصيانة سر مشكوك في كتمانهِ على حين ان في الوسع ان تحصل على سكوت أكيد ابدي بثمن بخس . . وانت تعلم

اجاب جوناتان ويلد وقد نظر اليهِ شذرًا ان مثل هذا السكوت يشرى بهدر دمائك فاني قادر بنفخة واحدة على ابادتك ومحو اثارك فانت الان تحت مطلق سلطاني لان عمدة البوليس السرية طلبت ايقافك والمستر ويلبول ناظر الضابطة اصدر بحقك مذكرة احضار عهد اليَّ بانفاذها

فاستل روفلاند للحال سيفهُ وصاح مذكرة احضار

اجاب اشفق على حياتك ياحضرة السير لان يعقوب الثالث ما زال في احتياج اليها وليس القصد من حضوري الان ايقافك بل المراد خدمتك بما يعود عليك بالخير العظيم وقد عرضت عليك لقاء اتعابي شروطًا زهيدة حيث لي في المسالة صوالح خصوصية تدعوني الى التساهل فان الف ليرا استرلينية لاتحسب شيئًا في جنب ثروة عظيمة تكنز ها بها لنفسك

قال روفلاند لم افهم شيئًا من مرادك

اجاب بلى فهمت كل شيء فاني اريد ان اخلصك من ابن اختك

قال وهل هو حي ايضًا

اجاب نعم حي وسيحيى زمنًا طويلاً ويكون سببًا في فقرك وشقائك اذا لم تبادر الى قطع حبل اجلهِ من الان

فمال السير روفلاند على كرسي هناك يستند عليهِ ووضع يدهُ على جبهتهِ المكللة بالعرق البارد وصاح بصوت مختنق اذًا كنت في يقظة لا في حلم عندما شاهدتهُ على رصيف الجسر فهو حي ايضًا . . نعم حي . ياالهي

قال جوناتان ويلد والان

اجاب لا اقدر . لا . لا . لا اجسر مطلقًا ان اعتدي على حياتهِ

فضحك جوناتان وقال تخلى لي عنهُ فاكفيك شره في زمن قريب

اجاب لا . . لا . لا . اقوى على ارتكاب الشر فقد اجريت دماء كثيرة

قال انك تسيء لنفسك بترددك وتعترف بخطاك بما يدعوني الى انفاذ مذكرة الاحضار

فصاح روفلاند ابتعد عني ثم عاد فقال واين هو الغلام

اجاب عند من خلص حياتهُ وهو النجار اوفان ود

قال تريد ود القاطن في حي ويكستريت

اجاب هو بعينهِ

قال قد ارسل الينا هذا النجار منذ امد غلاماً فلا يبعد أن يكون هو ابن اخي

اجاب لا . . فان الذي جاءكم هو صانع النجار

وعند ذلك دخل شاركام الى القاعة وقال . في الدار غلام من قبل المستر ود يطلب مواجهة السيدة ترافور

قال روفلاند وهل سبق مجيئة الى هنا

اجاب لا فهو حسن الخلق جميل الطلعة لم اره قبل الان في منزل السير

فصاح جوناتان ان الله قد بعثة الينا . . فهل تقبل ياحضرة السير شروطي

اجاب اقبل

قال كفى والتتمة عليّ

فالتفت روفلاند بالخادم وقال هل اعلمتة بسفر السيدة التي جاء يطلبها

اجاب لا حيث ظننت ان حضرة السير لا يستكره مواجهتة قبل ايابه

قال جوناتان وهل جاء وحده

اجاب لا بل يصحبه صانع النجار الذي ساعد السيدة ترافور في نقل مجوهراتها الى صندوق السفر

فصاح جوناتان . . مجوهرات . . فهمتُ . . فهمت . . فهل تذكر ياحضرة السير ان اختك نقصها شيء من مجوهراتها بعد ذهاب هذا الصانع

اجاب لا اعلم ولكني اذكر شيئاً ثم لغلم في الحديث فلم يفهم كلامة

قال جوناتان ان هذا المعتوه لم يقدم الاَّ ليرد شيئاً اختلسة رفيقة وساقبض عليه انما ارجوك ياحضرة السير ان لا تعارضني في اعمالي ثم وجه نظره الى الخادم وقال ما اسمك

اجاب شاركام

قال اذهب وأتنا بهذا الغلام واياك وذكر شيء في شان السيدة ترافور فقد سرق مولاك وهو يتهم هذا الصغير الشقي بهذه الجناية فيجب القبض على رفيقه وعندما تتمكن منة صفر ثلاث صفرات متواليات فياتيك في الحال اثنان فتعهد بالمجرم الى احدهما ذي اللحية الحمراء وتامر الثاني بان يسرع في استحضار مركبة يطلبها لحسابي

اجاب لحساب من ياسيدي

قال لحساب جوناتان ويلد

فاعترى الخادم رجفة الانذهال وصاح انت جوناتان ويلد

اجاب نعم انا هو فلا تخف اسرع في انفاذ اوامري

فانحنى الخادم امامة احتراماً وخرج

عاقبة السرقة

قال السير روفلاند يخاطب جوناتان و يلد بعد ان ذهب الخادم على مَ عولت في العمل
اجاب على مساعدة الظروف حيث يستحيل ان لا يظهر من استنطاقهِ ما استعين بهِ على القائهِ في الشرك وعلى كل فاني آخذ على نفسي ارسال هذا الشقي الى السجن

قال روفلاند وهل هذا هو جل ما اعتمدت على اجرائهِ

اجاب كلا وانما اذا توصلنا الى سجنهِ هان علينا العسير فيكون في قبضة يدنا لان السجان مخلص في ودي ومن السهل عليَّ انتشاله من سجنهِ في اية ساعة اردت فاعلم ياحضرة السير حيث لا اريد ان اخفي عنك شيئًا انى اتخذت لي منذ زمن مركبًا صغيرًا هولانديًا لتسهيل نقل الجوهرات وغيرها ما اكتسبهُ بتجارتي وهو اليوم هنا في التيمس ولا يلبث ان يتم شحنهُ في هذا النهار و يقلع قاصدًا اوتردام وربانهُ ثان كالبيروك مطيع لي خاضع لارادتي وقد اعتمدت ان اصحبهُ بابن اختك حتى اذا بلغ عرض البحر القى بهِ اليهِ فينام فيهِ مطمئنًا و يستعيض عن النهر بالبحر فيصفو لك الجوُّ من بعده

فصاح روفلاند وقد تذكر ليلة المطاردة المخيفة في نهر التيمس وا اسفاه على صبائهِ فان ذلك المشهد المريع ما زال للان منتصبًا امام اعيني فاني ارى الامواج فاتحة الافواه لابتلاعه

قال جوناتان اطرد ياسيدي هذه التصورات عن افكارك واجلس مستقيمًا وسكن روعك لان الوقت قصير ثم قدم لهُ ورقة وقال تنازل الى امضائها بالقبول فاني لا اطلب منك شيئًا قبل اتمام العمل

فاخذ السير روفلاند قلمًا وعزم على امضائها ولكنهُ امتنع بغتة عن الاجراء وقال لا يمكني ان امضي مثل هذه الورقة فاكون قاتلاً لابن اختي بيدي

فصاح جوناتان وقد ظهرت فيهِ اثار الغيظ الشديد كفى تهزأ بي فاوقع عليها بالحال والا تركتك وشأنك

قال ان ذلك هو جل ما اشتهيه فاذهب في حال سبيلك

اجاب لا باس فاني ذاهب كما تشتهي انما لا اذهب وحدي ياحضرة السير .

واذ ذاك دخل شاركام الخادم يسحب من خلفهِ تيمسًا مقادًا من عنقهِ وقال هاك ياسيدي احد اللصين فاصفر روفلاند لمشاهدتهِ وبقي جامدًا صامتًا بما يقرب شبهًا من الموتى فمال عليهِ جوناتان وقال لهُ سرًا هل تمضي الورقة

فتردد اولاً ولكنهُ قبض اخيرًا على القلم واوقع عليها بيد مرتجفة

فقال تيمس بثبات يخاطب الحاضرين بما تتهمونني

اجاب جوناتان . بسرقة فانك ساعدت رفيقك جاك شبارد على اختلاس مجوهرات السيدة ترافور فقر بجنايتك والسير روفلاند يصفح عنك وينجيك من المشنقة

قال ما فعلت اثمًا ولا جنيت جناية لاقربها واريد ان اعرف من يتهمني

اجاب جوناتان .انا فيما تجيب

قال اجيب ان تهمتك لي مختلفة مكذوبة وانت لاتجهل ذلك

اجاب نعم الدفاع الساطع الدامغ وعمد الى تفتيشهِ

فصاح لاتقترب اليّ ولاتمسني ثم افلت من يدي شاركام والقى بنفسهِ على اقدام السير روفلاند وقال اسمع لي ياسيدي فاني بريء مما رميت بهِ ولم اسرق شيئًا وهذا الرجل جوناتان ويلد قد جاهر بعداوتي واقسم على قتلي ولا اعلم لذلك سببًا

قال جوناتان صه فان السير روفلاند لايغتر بامثال هذا الحديث المصنوع الموضوع

وكان الحنو والاضطراب قد تغلبا على قلب روفلاند فقال اني على يقين من براءتك ياولدي فلا تخف مكروهًا انما قل لي ما الداعي لمجيئك الان

قال اسمح لي ان لااجيب على هذا السوال الا السيدة ترافور

اجاب اني شقيقها وهي لاتخفي عني شيئًا

قال تيمس مرتبكًا اربما يكون كلامك صحيحًا انما لست حرًا لاتكلم

اجاب ان هذا التردد لايفيدك

قال جوناتان اطع الامر واقترب لافتشك

اجاب لا . . لا اريد ان اعامل كجانٍ

قال اراك تعامل بما تستحق وبدأ بتفتيشهِ بالرغم عن مقاومتهِ فوجد صورة الميناء في عبهِ وصاح بهِ من اين اتتك هذه الصورة

فلازم تيمس السكوت لايجيب بكلمة

قال اما لا نعدم طريقة نقودك بها الى التكلم والاقرار فاذهب ياشاركام وأتنا برفيقهِ لان هذه الصورة مختلسة من السيدة ترافور

قال روفلاند وقد ارتجف لرؤياها خوفًا كيف اتصلت اليك هذه الصورة ياولدي

فصاح جوناتان يوسع الغلام ضربًا اليماً . اجب . اجب ايها اللص الجاني

قال تيمس لايوافقني ان اتكلم وخشونتك ايها القاسي لاتغير شيئًا من عزمي

فشدد عليهِ جوناتان الضرب بما صاح لهُ تالمًا فانتهره روفلاند بقولهِ اتركهُ كفى تضربهُ ثم التفت بالغلام وقال هل لك معرفة بصاحب هذه الصورة اجاب لا يامولاي انما لايبعد ان يكون ابي

فصاح روفلاند متعجبًا وهل ابوك حيٌّ ايضًا

اجاب لا قتل وكنت وقتئذٍ طفلاً لاعي

قال فمن اعلمك اذا ان هذه الصورة هي صورتهُ

اجاب قلبي اعلمني وهو يعلمني ايضًا اني واقف الان بحضرة قاتل والدي

قال جوناتان ان هذا الشقي يعنيني في كلامهِ لان وكيل البوليس يكون على الدوام قاتلاً جانيًا في اعين السارق .

وما جاء على نهاية حديثهِ الا دخل شاركام يتبعهُ رجل اخر بلحية حمراء وقد ظهر من بين الاثنين جاك شبارد فتقدم بقدم ثابت ونظر الى من حولهِ فادرك سر المسألة ووقف صامتًا غير مبالٍ الى ان وجه اليهِ جوناتان الكلام وقال ما اسمك

اجاب جاك شبارد

فاظهر لهُ الصورة وقال هل تعرف هذه

اجاب نعم اعرفها

قال لمن هي

اجاب للسيدة ترافور

قال ومن اختلسها

اجاب اختلسها تيمس درايل الواقف الان بجانبك

فخفق قلب تيمس اضطرابًا وصاح بصوت الموبخ . جاك

قال جوناتان وهل تؤيد كلامك باليمين .

اجاب نعم فاني اقسم يمينًا معظمًا باني صادق في قولي

قال جوناتان كفى كفى فقد ثبتت السرقة .

فصاح تيمس وقد خنقتهُ العبرة كذب . . كذب . ابي بريء من هذه التهمة والمستر ود يعلم برأتي فاستدعوه واسالوه ولا اظن ان السيدة ترافور تحكم عليَّ بدون ان تسمع كلامي

فحول روفلاند وجهه وقال خذوه من امامي

فامر جوناتان تابعهُ ذا اللحية الحمراء واسمهُ ابرهم ان يذهب بالغلامين

وقال لهُ انتظرني في اسفل الدار فاني قادم اليك

فانقض في الحال عليهما تنفيذًا الارادة مولاه وعاونهُ شاركام فقادهما الى خارج الغرفة وطلب بهما اسفل الدار

ام وابنها

فما تخطى بها عتبة القاعة الا سمعت ضجة في الخارج ثم فتح الباب ودخل شاركام راكضاً وعلى وجهه لوائح الاضطراب الشديد

فقال جوناتان ماذا حصل

اجاب الخادم السيدة . . السيدة

فصاح روفلاند وماذا اصابها

قال عادت من سفرها

قال جوناتان يالله ما هذه المعاكسة

قال الخادم . هي في حالة النزع او بالحري مائتة

اجاب روفلاند مائتة ؟

قال نعم قريبة من الموت فقد اصابتها في الطريق نوبة شديدة مخيفة فارتاعت لها «نوريس» وامرت السايق ان يعود بها الى القصر ويشك في وصولها حية

فصاح روفلاند وقد اثر فيه الخبر تاثيراً عظيماً واسفي اني قتلتها بعملي

اجاب جوناتان ساخراً نعم قتلتها . . نعم قتلتها انما لا يفيد ذلك ان قبح بواقعة حالك الى جميع الناس

قال الخادم ان الخدم قادمون بها الى دائرتها فهل تامر بان استدعي لها الطبيب والكاهن

اجاب اسرع في استدعائهما

قال جوناتان قف قليلاً واعلمنا اين تركت الغلامين

اجاب في الدار المجاورة

قال وهل تمر السيدة ترافور بطريقها فيها

اجاب نعم تمر

قال فاذهب اذاً وأتنا بهما الى هنا فسار شاركام لانفاذ الامر وعاد جوناتان الى حديثه فقال ان من الخطر العظيم ان تلتقي بهما اختك فتشاهدهما ياحضرة السير

اجاب روفلاند مثقلاً بالاكدار ان الاقدار تقاومني علانية في انفاذ مقاصدي ومن واجباتي ان احترم ارادتها

قال جوناتان لا تحترم شيئاً خلاف صوالحك العزيزة الخاصة لان حظ الانسان في يده فاذا لم تقتل ابن اختك اليوم قتلك هو غداً فجدد همتك وقوِّ عزيمتك حيث في هذه الساعة مطلوب منك ان تقرر بيدك فقرك وخرابك او غناك وسعادتك فاذهب الى اختك ولا تفارقها قبل

نهاية اجلها ولا تهتم فيما سوى ذلك بل القي باثقالك عليّ

فنهض السير روفلاند واتجه نحو باب القاعة ولكنه عاد الى الوراء مرتاعاً بما شاهد فان اخته كانت بين حية ومائتة ممددة على كرسي طويل يحملهٔ خادمان ومن امامها نور يس شاكية باكية تصيح بالويل والثبور على حين كان شاركام ورفيقه ابرهيم يجهدان النفس في اخراج الغلامين من فسحة الدار المذكورة

فوقف جوناتان ينظر اليها من بعيد كانه يلومها على ما ابديا من التهاون في مهمتها اما روفلاند فلدى نظره اخته على هذه الحال انحدر اليها وجثا على ركبتيه امامها واخذ بيديها الاثنتين يبللها بدموعه وهو يطلب اليها ان تصفح لهٔ وتسامحه عن اساءته

و بعد سكوت طويل فتحت السيدة ترافوراعينها وحولت بوجهها وقد ظهر عليه ذبول الموت نحو اخيها وقالت لم يبعد يا روفلاند في الحيوة الا دقائق قليلة فادركني بقسيس يعرفني

قال لا يلبث ان يحضر وقد ارسلت في طلب طبيبك ايضاً

اجابت لا حاجة للطبيب حيث حانت الساعة ولم يعد خلاصي من مخالب الموت في سعة الامكان

فصاح روفلاند واشقيقتاه

فارسلت اليفه تنهدا عميقاً وقالت اه لو امكني قبل موتي ان اشاهد ولدي

قال كفى يا اليفه . . فسوف تشاهدينه

فنظرت اليه بعين مرتابة وصاحت . . تقول صحيحاً يا روفلاند . . تقول حقاً يا اخي

اجاب وحرمة الصدق اني لا اكلمك الا بالحق المبين

فصاحت دعيني يا نوريس دعيني اختلي باخي الاختلاء الاخير

وفي الحال خرجت نوريس من الدار وتبعها بقية الخدم وكلهم غريقون بالبكاء اما جوناتان فاختفى خلف رداء النافذة فالتفتت اليفه نحو اخيها وقالت وعدتني بان تريني ولدي يا روفلاند فاين هو الان

قال . هنا

فصاحت هنا . . معنا . . في بيتنا

قال . انك لا تقوين على مشاهدته اذا لم تعتصمي بالسكون

اجابت لا تخف . . لا تخف فاني على ما تشتهي من الهدء والراحة ولكن ارتجاف شفتيها كان يدل على عكس مدعاها ثم زادت على ذلك قولها فاذاً ولدي حي وخبر موته باطل . . . ان قلبي كان ينبهني دائماً الى ذلك وما كنت اصدق مطلقاً ان اخي روفلاند يقسي الى حد ان يقتل ابناً . . ابناً بريئاً

قال .ان نجاة ابنك لا ينقص شيئًا من قدر جنايتي حيث حاولت قتله وبذلت كل ما في وسعي لاعدامه على ان الله سبحانه وتعالى ارسل نجارًا كريمًا لخلصه ورباهُ عنده كولده

فصاحت الامرأة فليبارك الرب من احسن اليَّ بخلاص ولدي . . ولكن يا اخي قد طال انتظاري ودقيقة الانتظار اطول من قرن عندي ثم صاحت .ولدي . ولدي . .انوني بولدي

وكان تيمس في كل هذه المدة واقفًا في قرنة الدار يسمع ما هو دائر بين الاخت واخيها من الحديث فاقترب اليه روفلاند وقاده بيده الى نحو امه وقال ها ك ابنك امامك يا اليفه

فصاحت وقد اجهدت قواها عبثًا لتمد يديها الى ابنها . . نعم . . نعم . .ان هذه الطلعة وهذا الوجه يثبتان لي انه ابن لابيه فهو ابني . . ابني . . . وفلذة فؤادي

قال تيمس اه يا امي والقى بنفسه على اقدامها

اجابت .نعم امك وضمت راسه وهي تشد به الى صدرها

قال تيمس متوجعًا .وا اسفي عليك في اية حالة وجدتك

اجابت .لا تبكِ يا حبيبي فاني سعيدة برؤيا ك قبل موتي ثم شعرت من نفسها بضيق التنفس فصاحت افتحوا النوافذ . . .الهواء . . الهواء . . .

فركض تيمس نحو النافذة يرفع عنها الرداء ليفتحها واذا جوناتان واقف من خلفها فرجع القهقرى وصاح يا الهي

قالت السيدة ترافور ماذا اصابك يا ولدي

اجاب .عدوي يا امي

قالت .لاتخف فهاك خالك بجانبك يحميك من كيد المعتدين ويدافع عنك ضد اعدائك الم اقل صدقًا يا اخي

قال تيمس ان رجلاً خلف الرداء يريد قتلي

فصاحت الام المسكينة . . .لا . . لا . . لا يستطيع ان يضرك مطلقًا لان خالك موجود ولا يسمح باذيتك

وعد ذلك انقض جوناتان على تيمس وانتشله من احضان امه

فصاحت السيدة ترافور وهي تحاول النهوض ولا تستطيعه الهي . . الهي . . ماذا يريدون ان يفعلوا بولدي ولماذا ينتشلونه مني

قال روفلاند صرحي باسم ابيه فارده اليك

اجابت .رده عليَّ فلا اخفي عنك شيئًا

قال لبيك

اجابت . تاخرت كثيرًا يا اخي فجدت بوصل عند ما لا ينفع الوصل ثم سقطت بعنف الى الوراء وارسلت صوتًا عظيمًا

وما كان هذا المشهد المريع ليوثر بجوناتان و يلد بل دام مصرًّا على عناده فلف منديلاً على فم الغلام وسار به الى الخارج وما لبث ان عاد فراى السير روفلاند جاثيًا عند اقدام اخته وهي منطرحة بجانبه لا تبدي حراكًا

فالتفت اليه روفلاند وهو في غيبوبة المصاب وقال ها ك ثمرة اعمالك ياجوناتان

قال . لاعمالي ثمرة اخرى لم تظهر بعد الى حيز الوجود ولكنها ستظهر ان شاء الله

فصاح روفلاند اذهب عني ارجع الى الوراء

قال . اني لم اكاشفك بعد بالسر المكنون فهو في صدري لا يعلم به غيري واذا شئت مشتراه مني اتفقت معك على ثمنه انما علينا الان بمداواة الحاضر فقد جئت لاعلمك بان ابن اختك تحت الحراسة المشددة واذا زرتني في الساعة الواحدة بعد نصف الليل اتيتك من اخباره ما يترطب له فوادك

اجاب السير روفلاند بانكسار . ازورك

قال . لا تنسَ الالف ليرا استرلينية التي اتفقنا عليها

اجاب . لا

قال . بيتي بقرب سجن نيفكات ثم خرج من المنزل و بعد هنيهة دخلت نوريس يصحبها الطبيب والكاهن فوجدوا السير روفلاند ملقى بدون حراك على جثة اخته المسكينة وهي فاقدة الحس لا تعي على الوجود

رجال الليل

ما بلغ جوناتان ويلد باب القصر الخارجي الا نظر بقربه عربة مقفلة وعلى بعد بعض خطوات منها جواده يقبض على عنانه رجل طويل القامة عريض الاكتاف يدعى كيلت ارنولد فاشار اليه ان يحضر

فهرع في الحال بقص عليه خبر الغلامين (اي تيمس وجاك) وانهما في العربة المقفلة معهود بهما الى حراسة ابراهيم ما نديز ذي اللحية الحمراء فاصدر له التعليمات المقتضية في شانهما وامتطى جواده وجد في السير فصعد كيلت الى العربة وامر السائق بسرعة السوق نحو سجن سان جيليس و بوصوله الى منتهى الشارع الاخير بحيث لم يبقَ بينه و بين السجن الا القليل سمع ضجة وضوضاء ونظر تجمع الناس فاوقف العربة عن السير مخافة ان يسطو عليه من الجموع من يختطف منه اسيريه ونزل يطلب الجمع توصلاً الى الوقوف على صحة الخبر فرأى عددًا عديدًا من

الضابطة ووكلاء البوليس مثخنين بالجراح ينذر حالهم بما نابهم من الضرب الشديد في مشاجرة انقضت فمن اسلحة محطمة وثياب ممزقة ووجوه مجرحة مغطاة بالدماء والكل يتقسمون و يلعنون ويلهجون في طلب الانتقام فاقترب كيلت من الجمع وقال وهو يميس سرورًا بما شاهد من مصاب القوم ان رجال الليل وفوا الكيل حقة في هذا المساء

اجاب واحد من الجمع اصبت ياكيلت فقد اشتغلوا وافلحوا

قال وماذا حصل « ياتيري »

اجاب ان الماركيز « سلو جنير فورد » وجماعة الاشقياء هم الجانون لما تراه من الاختباط

واذ ذاك فتح باب السجن وظهر على العتبة رجل احمر الوجه ضخم الرقبة ممتلي الجسم

فقال كيلت يخاطب الجمع اسمعوا . . اسمعوا فان شاربل يريد مكالمتكم

فصاح (شاربل) ياسادتي انفار الضابطة ان سجيننا الموقر الماركيز «فري سلو جنير فورد»

وعند ذكر هذا الاسم سمعت اصوات التمرمر والتضجر بين الصفوف وصاح الجمع فليسقط الماركيز ولتمت جماعته

فعاد كيلت الى النداء وقال . اسمعوا . . اسمعوا . . .

قال شاربل ان عظمة الماركيز قد كلفني بان اقول لكم . . .

فقاطعة الجمع مكررًا الضجيج وعلت من بينه اصوات الصفير والاستقباح

. فانتظر كيلت الى ان هدا الهياج وصاح ان شاربل يحمل رسالة خير فاسمعوا له

قال شاربل نعم ايها السادة انكم تجنون من رسالتي ربحًا فان حضرة الماركيز يرجوكم ان تقبلوا منه هذا المبلغ وهو عشر ليرات استرلينية فتشربون بها كاسه

فاستحال كدر الجمع الى فرح عظيم وضج مكررًا اصوات الاستحسان

قال شاربل وقد عهد اليّ ان اعلمكم ايضًا بان عظمته مستعدة لان تدفع اجرة الطبيب عن كل من اصيب منكم بجرح اثناء القتال

فصاح الجمع فليعش الماركيز انا جميعًا مثخنون بالجراح

قال تيري ونريد ان نشرب بثمن الادوية واجرة الاطباء

قال شاربل هل تجمعون كلكم على هذه الارادة

اجاب الجمع بصوت واحد نعم . . نعم . . فليعش الماركيز وليعش الهناء ثم سار شاربل والقوم من خلفه يتبعون اثاره وعاد كيلت نحو العربة فوجد تيمس درايل وجاك شبارد ينتظرانه والكدر مل‌ء قلبيهما فساقهما عنوة الى السجن وكانا في اثناء الطريق ملازمين السكون او بالحري مجبرين عليه حيث حاول جاك التكلم مرارًا فمنعه ابراهيم مانديز بالتهديد والوعيد والضرب

اما تيمس فكان مرتبط اللسان بما داخلهُ من الحزن والكآبة لايقوى على الافصاح وعندما اصبحوا على مقربة من الباب تقدم تيري من تيمس يتاملهُ بمزيد الانتباه ويتشفق عليهِ لاقدامهِ على الجناية ودخولهِ الى السجن على حين لا يبلغ من العمر الا قليلهُ

قال تيمس اني لست بجانٍ. ياصاحبي بل مظلوم

قال كيلت ما سمعنا سارقًا من قبلك يقول خلاف قولك

فمال تيري على رفيقهِ يسالهُ عما اذا كان لجوناتان ويلد يد في المسألة

اجاب نعم وكان جاك شبارد قد افلت من حارسهِ وفرهاربًا وشعر كيلت بخطواتهِ فعهد بتيمس الى تيري وجد في طلبهِ

ولما انفرد تيمس بحارسهِ الجديد قال هل لك ياصاحبي ان تسعى بمهمة لاتحرم منها ربحًا

اجاب تعني ان اطلق سبيلك فتجازيني على ذلك خيرًا

قال . لا . . بل ان تحمل رسالتي

اجاب ولمن

قال للمستر ود النجار في ويكستريت بقرب ليون نوار

اجاب تريد الدسكرة المعلومة

قال نعم . . فاذهب اليهِ وقل لهُ ان ابنة تيمس درايل مسجون بامر جوناتان ويلد فتنال منهُ جزاء اتعابك

اجاب لامانع فاني راضٍ عن انفاذ هذه المهمة راغب فيها . . ولكن اذا علم جوناتان ويلد فماذا يفعل بي

وكان كيلت قد تمكن من القبض على جاك شبارد فدفعهُ الى ابرهيم وعاد يسترق خطواتهُ نحو تيمس فسمع كلمات تيري الاخيرة وصاح اياك والعمل فيحي جوناتان وجودك ولكني سارفع اليهِ اخبارك واعلمهُ بما كان من اقرارك

قال تيري مذعورًا خائفًا اذًا اعتمدت على خيانتي

اجاب . نعم

قال . افعل ما بدا لك فاني لا اعتد بك ولا بغيرك فاتكل عليَّ يا تيمس فاني رهين امرك وساقوم بخدمتك ثم سار مسرعًا واحتجب عن الابصار

سجن سان جيليس

كان سجن سان جيليس برجًا قديم البناء مستديره بما يقرب شبهًا من برميل عظيم ذا طبقتين علوية وسفلية قليل الانتظام يدخل اليهِ من باب عالٍ يصعد اليهِ بسلم قديم من الخشب وهو

يؤلف من عدة غرف فيها كثير من المنافذ المحصنة بالقضبان الحديدية الضخمة

وعند وصول كيلت ورفقائهِ كان شاربل مهتمًا في تقسيم انعام المار كيز على الجمع فالقى اليهِ بالدراهم الباقية بعد ان غافل الحضور ورمى منها بدينارين في كمهِ واقبل يترحب بضيوفهِ فصعد السلم وفتح باب السجن وبينما كان الغلامان يتسلقان السلم حاول جاك شبارد الفرار فانحنى يقصد الانسلال من بين ساقي حارسهِ فلم يتوفق الى مرغوبهِ ونال منهُ جزاءه وجيعًا

وكان شاربل عند الباب مهيئًا قنديلهُ للتعرف بسجينيهِ فحول بنورهِ نحوهما يريد تحقق هيئتيهما ثم اغلق بعد ئذٍ الباب بمزيد التحرس والتحسب وقال هل تعلم من عندنا اليوم يا كيلت

اجاب . نعم صديقي الشريف المار كيز سلوجترفورد . . فما المراد

قال . المراد اني لا اعلم ماذا افعل بسجينيك

اجاب . تحجر عليهما في محل مؤتمن

قال واذا كان السجن مزدحمًا بالاقدام ولا يوجد لهما محل فما العمل

فتأمل كيلت برهة ثم اخذ بيد السجان بكالمهُ على حدة وبعد مخابرة طويلة قال شاربل حسن . . . حسن . . . فلا اتأخر عن الاهتمام بهما على انك جئت في زمن غير موافق ونحن لانحصل كل يوم على امثال هولاء السجناء الشرفاء

قال جاك هل من قصدكم ان نبقونا كل هذا الليل في السجن

قال شاربل . بما يتكلم هذا العصفور الصغير

اجاب جاك ان هذا العصفور قادر في كل آن على الطيران اذا لم تحسن وضعهُ في القفص

قال ابرهيم مانديزان جوناتان ويلد سيحضر لزيارة السجن عند نصف الليل

فداس جاك على قدم تيمس كانهُ يستلفت انتباههُ الى ما يلي امامهما من الحديث

قال شاربل هيا لنضع العصفور في القفص فلا تبقى حاجة في نفس يعقوب

وكان محل وقوفهم عبارة عن دهليز ينفصل عن الدائرة الداخلية حيث اوقف المار كيز ورفقاؤه حائط رقيق من الخشب وقد ازدانت جدرانهُ بما وضع عليها من البنادق وسلاسل القيود وبدلات الضباط والقضبان الحديدية والفوانيس وفي الزاوية منهُ موقدة مهملة يقابلها غرفة صغيرة قذرة ففتح شاربل بابها وقال هل تكفيكما فاني منذ مدة اوقفت فيها ثلاثة من اللصوص فمات احدهم فطيسًا

وبينما كان شاربل مهتمًا في حديثهِ غافل جاك الحضور واستولى على حربة من مزراق مسند الى الجدار فاخفاها تحت ردائهِ ووثب الى داخل سجنهِ يترنح حبورًا ويتمايل سرورًا بما اثار عاصفة الغيظ عليهِ ففاجئهُ ابرهيم مانديز بان قبض على فخذهِ وضرب بهِ الارض فسقط على طولهِ صريعًا

وصادفت راس الحربة سبيلاً الى جسده فاخترقت ثيابهُ واصابت لحمهُ بما زاد في بلائهِ ولكنهُ صبر على مضض البلوى واظهر ثباتاً مجيداً فلم يفه بكلمة ولم يسكب دمعة بل تمالك من جلده ما استعان بهِ على الاستهزاء بشاربل حينما كان يجبر تيمس درايل على الدخول الى محل التوقيف

ولما اصبح الاثنان داخل سجنهما وجه اليهما شاربل الكلام وقال كيف انتما وهذا القفص

قال جاك هو خير من عشرتك ومرافقتك فاغلق علينا الباب وارحل عنا بسلام

اجاب شاربل . ان هذا الغلام الشقي لا يرعوي عن غيهِ ما لم يزق مرارة سجن نيقكات

قال شبارد . ان السجن الكافي للاحتفاظ على جاك شبارد لم يبنَ بعد

فاغلق شاربل الباب بعنف وقال سنرى ان كان في وسع عصفور مثلك ان يخرج من هنا

ثم سار بالحارسين يطلب بهما الدائرة الثانية من السجن ولدى بلوغها دخل شاربل وكيلت واغلقا من خلفهما الباب اما ابرهيم فانكفأ راجعاً وجلس من وراء الفاصل الخشبي يسمع حديث الغلامين . فقال جاك بعد سكوت طويل . ذهب الحراس وخلا لنا الجو فلم يجب تيمس بشيء

قال لا تغضب عليَّ يا تيمس فقد اخترت لك اخف الضررين وان شئت اتيت لك على ايضاح الامر

اجاب تيمس عبثاً تتعب نفسك في ايراد الدليل لان كل شيء قد انتهى بيننا

قال . لا . . لا . . لم ينتهِ شيءٌ وحيث كنت السبب في سجنك فساهتم في اطلاق سبيلك

اجاب . احب لديَّ ان اصرف حياتي في هذا السجن من ان اكون مديوناً لك باطلاق سراحي

قال جاك . كفى يا تيمس فاني ما حلفت يميناً كاذباً امام روفلاند الا رغبة في خلاصك

فصاح تيمس . في خلاصي

قال نعم وحرمة حبك ما رمت بذلك الا نجاتك من مخالب الظلم فاني اجود بدمي عن طيبة خاطر لاجلك

اجاب . وهل من الممكن ان اصدقك يا جاك بعد ان جاهرت بعداوتي

قال . انك لا تلبث ان تصدقني وتمتنَّ مني ايضاً

اجاب . وعلى مَ . . هل على ما سعيت بهِ من تحقيري وسجني

قال . لا بل على ما سعيت وساسعى بهِ من تخليص حياتك

اجاب . مرتاعاً وكيف ذلك

قال . اسمع لي اذاً فان الاخطار التي تتهددك هي اعظم كثيراً مما تظن فقد سمعت التعليمات المعطاة في حقك من جوناتان ويلد الى كيلت وفهمت مضمونها فاعلم يقيناً ان هذا الشقي قد اتفق مع السير روفلاند على اعدامك واذا لم نتمكن من الفرار في هذا الليل قتلتَ وعزي فقدك الى

اهمال السجان
فارتعش تيمس لهذا النبإ المخيف وقال هل انت على يقين يا جاك من ذلك
قال .على اتم اليقين ولكني اومل ان اخلصك واريد ان تصرح لي بانا اصدقاء
اجاب تيمس متردداً وهل تعود الى خيانتي
قال .لا وربي!
فصاح تيمس ان رمت ان اصدقك فلا تحلف بربك . وهاك يدي ولكنها مقيدة فلا استطيع مدها
قال جاك .علينا اولاً بالتخلص من القيود
اجاب .لا حاجة الى هذا العناء لان المسترود سيفد علينا عما قريب
فصاح جاك .وكيف اوصلت اليهِ خبرنا
ففتح ابرهيم ماندبز اذنيهِ ومال بكليتهِ على الحائط ليقف على تمام الخبر
فقال تيمس .ارسلت اليهِ الحارس تيري
فتضجر ابرهيم وتكلم بما اسمع جاك فقال اخفض صوتك ياتيمس حيث في الخارج رجل يسمعنا
فاجاب ابرهيم بصوت عال . . نعم في الخارج ابرهيم ماندبز
فصاح الاثنان واخسارتاه
قال ماندبز .في اية ساعة تنتظران وفود المسترود
اجاب شبارد بشراسة لا يعنيك
قال المراد ان اكون هنا وقت حضوره فاترحب بهِ
قال تيمس بصوت منخفض قضي علينا يا جاك فخبط مشروعنا وانقطع الامل من مجيء المسترود
اجاب جاك بنفس الصوت .بل لنا وجه اخر للخلاص وما لك الا ان تساعدني فقط فنجو من هذا العذاب انما قل لي هل من طاقتك ان تقبض على هذا الشقي ابرهيم بحيث لا يستطيع حراكًا اذا توصلنا الى الخروج من هذا المكان!
اجاب تيمس . نعم بشرط ان اكون محلول الوثاق . فقرع ابرهيم ماندبز الحائط وقال ارفعوا اصواتكم ولاتخفوا شيئًا عن صديقكم ماندبز
قال جاك . ما لنا ولك عندك اصحابك فتكلم معهم بما تشاء
اجاب ان اصحابي في الدائرة المجاورة والباب مغلق عليهم!
قال وماذا يعنينا منك ثم همس في اذن تيمس وقال هيّا للعمل واكثر من الحركة والضجيج بحيث لايتنبه الى ما نعمل وعمد الى الحربة فتسلح بها وتوصل بين الصياح والضوضاء والقهقهة

والضحك الى فك القيود بدون ان يشعر به احد . فصاح ابرهيم من الخارج لما هذا السرور والانشراح

قال جاك . علمنا انك وحدك فرغبنا في تسليتك وممازحتك . ثم وجه كلامهُ الى تيمس وقال لهُ اصعد على كتفي ومد هذه الحربة من النافذة وادفع بها سكرة الباب . فاجاب تيمس با لايجاب وفي اقل من لمح البصر اندفع الاثنان الى الدهليز وكان ابرهيم موجه بكل افكاره الى ما داخل الغرفة فلم يشعر الا وضربة فاجئتهُ بغتة فوقع الى الارض فانقض عليهِ تيمس ومسكهُ وهرع جاك بسرعة الى باب الدائرة المجاورة فاقفلهُ بالمفتاح ثم بادر الى باب السجن الخارجي يطلب فتحهُ ايضًا . وشعر كيلت وشاربل من داخل الدائرة بالحركة الحاصلة فاقبلا الى نجدة رفيقيهما وكان الباب مقفلاً عليهما من الخارج . فصاح بهما جاك الم اقل لكما ان السجن المعد للاحتفاظ على جاك شبارد لم يبنَ بعد

فصاح كيلت . . . قف مكانك . . . وهمَّ الى خلع الباب . فجاء شاربل بعاونهُ وهو ينادي دونك وإياهما با ابرهيم

فنادى تيمس . اعني . . اعني . . ياجاك ادركني . فلم يعد في الامكان ان حافظ طويلاً على مركزي . اجاب جاك وكان مشتغلاً في فتح اقفال الباب . اغمد حربتك في عنق خصمك واتبعني فلم يفعل بل اهتم بان يتغلب على خصمهِ بالثبات وتجديد العزيمة وكان جاك قد تمكن من فتح قفل الباب الاخير فصاح برفيقهِ فرحًا . . . اتبعني . . . اتبعني . . صرنا احرار

فقبض ابرهيم مانديز على فخذ تيمس وقال . لا . . لا . ما زلتما اسرانا

فصاح تيمس . انجُ بنفسك ياجاك حيث لا استطيع تخلصًا من هذا الشقي

اجاب معاذ الله ان يلذَّ لي الخلاص بدونك . وعاد ركضًا نحو صديقهِ وقبض على الحربة وضرب بها ابرهيم ضربة شديده سقط منها في الحال الى الارض غائبًا عن رشدهِ واراد ان يكمل عليهِ بضربة ثانية فمنعهُ تيمس وسار الاثنان في طلب الفرار والفرح ملء قلبيهما وما انتهيا الى عتبة الباب الخارجي الا انتصب امامهما جوناتان ويلد وبو بلو

القديسة الطاهرة

القى ذهاب تيمس وجاك على عائلة النجار ود ثبات الحزن والكآبة فاستولى السكون على المنزل ينوب مناب التكلم في ايضاح شعائر الاسف ولما طال امد الانتظار حركت المستر ودعوامل الفكرة فسئم الصبر وهرع الى قبعتهِ يطلب السير بحثًا على الغلامين واذ قرع الباب فصاحت وينغريد والفرح يطفح في فوادها ها هما اتيا . ثم اسرعت الى اسفل الدار تستكشف الخبر وما لبثت ان عادت تعلوها دهشة الهواجس وقالت ان القارع هو السيدة شبارد

فصاحت السيدة ود . . ن

قالت هي ام جاك وقد حملت اليك صحفة مملوة بالبيض والزهور

اجابت بتعجب ممتزج بالاحتقار . لي انا . لا . . قد اخطأت يا بنتي فالهدايا مسوقة لابيك

قالت . لا . بل لك وقد صرحت عن ذلك بما لا يحتمل التاويل ولكنها تطلب مواجهة ابي ايضًا

اجابت بصوت المستهزىء علمنا وفهمنا

قال المسترود وقد اتجه نحو الباب اني ذاهب اليها فهي قادمة لتطمئن عن جاك

اجابت زوجته وقد نفخها الكبرياء . لااظن مطلقًا . فارجوك ان تبقى هنا

قال دعيني على الاقل اهتم في ابعادها عنك

فصاحت وقد لعب بها سم الغضب لما لا تسمع كلامي فاني امرتك بعدم الخروج ياحضرة المستر

قال ولكن يلزمني ان اخرج في طلب تيمس وجاك

اجابت . بل قل في طلب السيدة شبارد ولا تخف واعلم ان تمويهاتك الكاذبة لامحل لرواجها عندي . فبالله كيف تهزأ بي وتحط من شاني . فاجلس واياك ومخالفة امري ثم قالت لويتغريد اذهبي واتني بهذه الامرأة فقد عزمت ان اراها بنفسي

ولما ادرك المسترود ان اطالة المقاومة لاتفيده شيئًا كف عنها ورمى بنفسه على كرسي بجانب امرأته وسارت ويتغريد في قضاء ارادة امها وكانت قد عادت الى اتمام حديثها فقالت وقد وجهت الى زوجها نظرة الفوز الممزوج بالانتقام سارى قريبًا هذه الخائنة وجهًا لوجه فويل لك ولها ان صدق ما قيل لي عنها من انها جميلة . وعند ذلك دخلت السيدة شبارد فنظرت اليها زوجة ود نظرة المنتقد من قمة راسها الى اطراف قدميها علها تجد فيها شيئًا مسيئًا تتخذه حجة لافراغ جعبة غضبها فلم تجد لان ثيابها كانت بسيطة زرية تدل على فقرها ومصابها ووقفتها تترجم عن رزانتها واحتشامها ولكنها كانت جميلة والجمال جريمة لاتغفر في اعين الامرأة الغيورة الحسودة فنهض المسترود وتقدم بضع خطوات لمقابلتها وهو يستعين بالثبات والتجلد على اخفاء هياجه واضطرابه وقال ما الذي قادك الينا ياسيدة شبارد

قالت تكرم عليَّ احد الجيران بمحل في مركبته وحيث مضت مدة ولم يصلني خبر عن ولدي طلبت المجيء لا قبله واقوم بما عليَّ لكم من الشكر الواجب لقاء ما تبذلونه نحوي ونحو ابني من العطاء والسخاء . ثم التفتت نحو السيدة ود وقالت تنازلي ياسيدتي الى قبول هذه الهدية الحقيرة (نعني قليلاً من البيض) وانت ايتها الابنة المحبوبة الصغيرة اقبلي مني هذه الزهور فقد اقتطفتها لك

فصاحت السيدة ود . الحذار ياويتغريد من ان تمسيها بيدك لانها مسممة

فقالت الفتاة وقد رفعت الزهور نحو انفها تستنشق طيب شذاها . كفى ياامي
اجابت بشراسة دعي الزهور في الحال واذهبي الى غرفتك
قالت . اسمحي لي بان ابقى هنا في انتظار اخي
فصاحت . قلت لك اصعدي فاطيعي

فوضعت الزهور على الطاولة بدون ان تجيب بشيء وخرجت غائصة بدموعها . وكانت السيدة شبارد صامتة جامدة وقد نظرت الى النجار كانها تستشيره عما يجب ان تفعله ولكنه كان وقتئذٍ في حاجة الى مشورة زوجتهِ فلم تنل منهُ نصحًا فاقتصرت على الاعتذار عن زيارتها وقالت لربما اكون قد ثقلت عليك بزيارتي

اجابت السيدة ود . تحسنين ايضاح العبارة وتعلمين ان زيارتك ثقيلة ولكني اعجب من قحتك كيف قادتك الى المثول بحضرتي

قالت . اني اسفة حيث لم اصادف لسوء حظي قبولاً في اعينك وانما اومل ياسيدتي ان لااكون قد اسأت اليك عن طيبة خاطر مني . ثم نظرت الى المستر ود تطلب وساطتهُ

فصاحت . ماذا . . . . اتجاسرين وتغازلين زوجي بحضرتي وتظنين اني اصبر على مثل هذه الجناية فانظري اليَّ واجيبي على سوالي واياك والمراوغة

فرفعت الارملة الحزينة نظرها اليها وقالت ماذا
قالت الست معشوقة هذا الرجل اجيبي نعم او لا
اجابت بسكينة وقد علاها الاحمرار لست معشوقة احد ياسيدتي
قالت كذبتِ فاني عالمة باعمالك فلا تنطلي عليَّ اقوالك
فصاح ود يخاطب امرأتهُ كفى ياحبيبتي بحياتك كفى
فقاطعتهُ في كلامهِ وقالت دعني اتكلم وابح لهذه الخائنة بكل ما في قلبي من نحوها
قال . اجلي ذلك على الاقل الى وقت اخر ولا تصرحي بافكارك الان

اجابت بل الان . . الان . . فمن يعلم اي متى يتسهل لي مثل هذه الفرصة المناسبة لاظهار افكاري فان هذه الامراة قد بذلت الى اليوم قصارى الجهد في تجنب مواجهتي ومن يعلم ما يكون منها بعد الان

قال ود . قد منعتها اكثر من مرة عن الحضور لرؤياك مخافة ان ينشأ عن مواجهتها ما يكدرك

قالت الارملة . استحلفك بالله ياسيدتي ان تسمعي لي فاذا كان ولابد من توجيه عداوتك نحو واحد من الناس فليكن ذلك الواحد انا وليس زوجك لان خطيئته الوحيدة هي احسانهُ

وتشفقة على امراة لاتجدر بها الحسنة ولا تستحق الرحمة

اجابتها باحتقار . ماذا

قالت اني مديونة لهُ في كل شيء بالحياة وباكثر منها ايضًا ولولا مساعدته لهلكت نفسًا وجسدًا فقد كان لي ولا بني ابًا حقيقيًا صادقًا محبًا

اجابت . صدقت . . . صدقت . . . هو اب محب صادق لابنك

قالت لا تصدقي ياسيدتي ان الندامة هي ما لايمكن دخولها على قلب انسان فقد احتملت كثيرًا وجنيت كثيرًا وآثامي العديدة موجبة لتخويفي وارهابي فالسلام والراحة لايجدان سبيلاً الى قلبي والدموع الغزيرة لاتمحو تجلي وعاري ومع ذلك فلم اقطع من رحمة الله املاً لان ندامتي صادقه حارة

فهزت السيدة ود براسها استهزاء وقالت . حوادث موثرة

قالت من الصعب ان تفهمي كلامي لانك سعيدة محاطة باهتمام زوج كريم يحبك غنية بمالك عن الناس لم يصبك والحمد لله شيء من التجارب التي القاني بها الشقاء ولم تشاهدي ابنك يتضور جوعًا على ذراعك ولم تطردي مثلي بخشونة من جميع البشر مرذولة مهانة من الاقارب والاباعد فقد احتملت كل ذلك ولكني الان قادرة على الدفاع والمقاومة حيث ملكت صحتي . اه واسفي ان في الوجود مصابين كثيرين وساعات يأس وتهور عديدة واوقات مصاب تعادل فيها الجريمة الفضيلة . . . الا فاعفي ياسيدتي عن كلامي اذا وجدت فيه محل انتقاد حيث لااقصد به التنقيص من قدر جرائمي او المدافعة عنها بشيء بل المراد ان اعلمك وغيرك ممن لم يقسم لهم نصيب من بلايا الدهر ان الجناية بيت الفقر واوكد لك وانا على يقين من قولي بان الامراة التي تزل قدمها لافتقارها الى عزيمة تقوى بها على الثبات في ميادين البلاء هي اهلة لان تندم ندامة حقة ولا يستبعد ان تقابل خطاياها من ربها بالصفح

اجاب المستر ود متاثرًا والدموع ملء عينيه . ان سعادتي قائمة باستماع مثل هذا الحديث منك ياجاكولين فهو ثمرة خير وجزاء مجيد لي عن كلما اجريته نحوكِ من حسن المعاملة

قالت السيدة ود مزدرية . ان كان التظاهر بالندامة كافيًا لتقديس البشر فالسيدة شبارد تدعى منذ الان بالقديسة الطاهرة النقية ولكن عبثًا نسرد الاقوال اذا لم نقترن بالاعمال

قال ود . اصبت ياحبيبتي في ملاحظتك ولكني اشهد امام الله والناس ان السيدة شبارد سلكت حسنًا ومستقيمًا بخوف الله مدة الاثنتي عشرة سنة الاخيرة

اجابت . بالطبع . . . ومعاذ الله ان ارتاب بهذه الشهادة المجردة عن كل غرض وعندي ان السيدة شبارد لاتبخسك حقك ايضًا فهي لاتقول عنك الا كل حسن . . . فبحقكِ صرحي لي

اليس ود في اعينك مثال الامانة الصادقة والمحبة الابوية

قالت بلى . . . بلى

اجابت . كذبت . . كذبت فود ظالم بخيل فاسق دني وساعلمهُ منذ الان بحقيقة حالهِ أفترين ان كان يستطيع دفاعًا ولو تزينت جميع النساء بصفاتي لعادت الرجال الى حدودها وسارت ضمن نقطة واجباتها لكننا لانلبث ان شاء الله ان نقرر واجباتنا وحقوقنا فلا يداس منها شيء ثم التفتت الى السيدة شبارد وقالت . اني لااعينك في جملة من ذكرت من النساء حيث لم اقصد بكلامي الا النساء الشرعيات الفاضلات

قالت السيدة شبارد . ان كان وجودي سببًا لتعكير كاس الصفاء بينك وبين زوجك فالا وفق ان افارق لوندرا وما يجاورها من ان اكون عثرة شرّ في سبيل المحسن الي

اجابت حسنًا تفعلين انما ارجوك ان تستصحبي ابنك معك ايضًا

فصاحت مرتعشة . ابني

قالت . نعم ابنك فلربما يتيسر لك تربيتهُ بما يحسن سلوكهُ فيخجو بيننا من صغير شقي لاياتي عنهُ الا الشر

فوجهت الارملة الى النجار نظرة المستفهم اللجوج وصاحت احقيق ما تقولهُ السيدة ود . . . ولدي جاك شرير . . . افدني ياسيدي فاني واثقة بصدقك

اجاب مترددًا . انهُ لايسير بحسب مشتهاي ولكنهُ نبيه ولا ينقطع الامل من اصلاحهِ . . .

فقاطعتهُ السيدة ود وقالت لابل كل الامل مقطوع منهُ فهو يتنقل من شر الى شر واليوم اصحابهُ قطعة الطرق واللصوص

فصاحت الارملة وقد داخلها الرعب الشديد . اللصوص

قالت . نعم فان رفيقيهِ المخلصين هما جوناتان و بو بلو

اجابت متألمة . . لا . . لا اصدق

قالت ان كنت لا تصدقينني فاسألي المسترود ينبيكِ

فاتجهت الارملة الحزينة نحو المسترود وقالت لهُ قل لي بحقك ياسيدي ان الخبر مختلق مكذوب فيهِ ان شئت ان لاتحرق فوادي

قال . ياحبذا لو يمكني تكذيبهُ

فجمدت لذلك اعينها وخفق قلبها وارتعشت اعضاؤها فسقطت صحفة البيض من يدها وصاحت وقد صفقت بيديها صفقة الياس . ولدي رفيق اللصوص . ولدي في قبضة يد جوناتان . . . لا . . . لا . . . فالخبر مكذوب لايقبل التصديق

اجابتها السيدة ود بشراسة . ولما تستبعدين صحة الخبر الم يكن زوجك لصًا وجوناتان من اعز اصدقائهِ فما وجه الغرابة في تجديد روابط الولاء بين جوناتان وابن صديقهِ

قالت جاكولين . وابن ولدي الان

اجابت خرج بدون استئذان والامل ان يعاملهُ المسترود عند رجوعهِ بما يستحق جزاءً اليمًا

وعند ذلك قرع الباب بشدة فصاح المسترود من هذا اجابت امرأة مرتاعة جوناتان ويلد وهو عائد الينا بفرقة من رجال البوليس واسفي انهُ لا يلبث ان يقبض علينا جميعًا فابن الموسيو كنيبون الان ياتي لحمايتي

قال المسترود . ان صح زعمك وكان القادم جوناتان ويلد فالاصوب ان لا يكون كنيبون حاضرًا وعلى كل فاني لا اجسر على فتح الباب

قالت الارملة وهل حضر جوناتان ويلد الى هنا . اجابت السيدة ود نعم حضر ومعهُ بوبلو . واذا قرعة ثانية عنيفة . . فصاحت ما العمل يا الهي . وبينما كان المسترود مترددًا في الذهاب واذ ظهر رجل في المدخل يخاطب ويتغربد وكانت قد اسرعت من غرفتها . . . الدا . . .

فقال لها الرجل هل هنا منزل المسترود

اجابت . نعم فهل تحمل خبرًا من تيمس درايل

قال الرجل (وهو تيري الذي ارسل بخبر سجن تيمس) . ومن اين علمت ذلك

قالت . اجب ماذا اصابهُ وهل يرجع قريبًا

قال . هو محجور عليهِ في سجن سان جاليس وقد جئت من قبلهِ لاعلم المسترود بخبره

وكان المسترود سامعًا لما دار بينهما من الحديث فخرج مسرعًا وبعد ان وقف من تيري على جميع تفاصيل الحادث دخل الى الغرفة في طلب قبعتهِ وعصاه واخذت السيدة ود تسالهُ ايضاح الخبر فقصهُ عليها وكانت الارملة حاضرة فسقط على راسها بما يحكي الصاعقة القتالة فلم تلفظ كلمة بل سارت من خلف المسترود وتيري يطلبون جميعًا سجن سان جاليس وبعد صعوبات كلية وعناء شديد فتح للمسترود وللارملة باب السجن وادخلها شاربل الى قاعة هناك فسالاه عن جاك وتيمس فرفض ان يجيبهما بشيء وخرج فاقفل الباب واعلن توقيفهما وكان ينبعث من القاعة المذكورة روائح كريهة صادرة عن التبغ والخمر واللحم والمشروبات القوية التي انفقت فيها لحساب الماركيز ما مرَّ حديثهُ معنا وقد كومت في احدى الزوايا مطارق وابواب واجراس وعلى مقربة منها بيارق وقناديل وعصي وضعت عليها بدلات انفار الضابطة . وبينما كان المسترود يقلب النظر في اثاث السجن لاحت من الارملة التفاتة فوجدت رجلاً ممددًا على فراش في الزاوية الثانية وهو مربوط الراس بمنديل مخضب بالدماء وبجانبهِ رجلان يتكلمان

بصوت منخفض ففهمت من كلامهما ان تيمس درايل نقل الى خارج السجن وجاك شبارد لحق ببوبلو الى فندق النقود . وان الرجل المجروح يدعى ابرهيم ماندبز والجارح هو جاك . فعظم الخبر عليها وسارعت الى النجار تخبره بما كان وقد كادت تفقد الصواب . فاكثر المسترود من الصياح والصراخ في طلب الاستغاثة فلم يجبة الا رجوع الصدى وكاد يقضي على الارملة المسكينة بين يديه لو لم يدخل عليهما شار بل ويرفع اليهما خبر اطلاق سبيلها . فعادت السيدة شبارد الى روعها ونفوت لما في نفسها من الجنوح الى خلاص ابنها وانطلقت نحو فندق النقود . اما المسترود فذهب يستدعي معاونة القوة المسلحة قبل مقابلة جوناثان ويلد

الدسكرة

اعار الخوف السيدة شبارد اجنحة فطارت بها نحو فندق النقود وما لبثت ان بلغتهُ واخذت تسال من الناس عن ابنها فعلمت انهُ وصل اليهِ منذ بضع ساعات وقد دخل مع رفاقهِ الى دسكرة مجاورة وكانت الارملة خبيرة بطباع وعوائد رجال تلك الناحية فلم تقدم على الدخول الى قاعة الاجتماع العمومية بل انسلت في ممر مظلم انتهى بها الى غرفة صغيرة يفصلها عن قاعة الاجتماع قاطع من الخشب بنوافذ من الزجاج مغطاة بالستائر فازاحت الستار بيدها قليلاً بحيث تمكن من مشاهدة ما هو حاصل بجوارها فرات رجلاً عريض الاكتاف وهو بابتيست كينيلي زعيم الناحيه منتصباً على كرسي يخطب في القوم (اللصوص) وهم يدخنون ويثملون وقد وجهوا اليهِ بكل سمعهم فقال بصوت مرتفع

اني عندما فلدت منصبي الخطير الحاضر كان في الجهة الثانية من نهر التيمس ثلاثة ملاجئ مفتوحة الابواب لقبول المديونين المضطهدين

تضج الجمع باصوات كثيرة . نعم نعم

قال . ففي ذلك الحين جمعتني الاقدار في ليلة غناء الارشيدوق دالزاس والبرنس دي سافوا والساتراب دي سالسبوري كورت (هي القاب ثلاثة من اشهر زعماء اللصوص) في نفس هذه الدسكرة فصرفناها ليلة قضيت بما يطيب من الافراح والانشراح وبينما كنا نتعاطى اقداح المدام التفت نحوي الارشيدوق وقال كيف تسري احوالكم فقلت على غاية ما نشتهي وانتم قال لسنا على ما يرام قلت وكيف ذلك قال ضاعت حقوقنا وتجردنا عن امتيازاتنا فصحت ان ذلك لا يمكن حدوثهُ قال لا بل امكن وحدث . فداخلني الغضب وقلت ان ما تدعيهِ مستحيل لا ينطبق على القانون (صحيح استحسان) قال ان طابق او لم يطابق فالمعلوم المشهور انهُ حصل ولا نلبث ان نصبح فريسة للظالمين . ثم اتبع هذه العبارة بقولهِ لي وهل تعلم ما ينشا عن ذلك من المضار فان جميع الناس لا تلبث ان تدفع ديونها فتامل واحكم بما تستصير اليهِ الاحوال . فضربت بيدي على الطاولة وقلت يا حبذا

لو نقتصر الاحوال على هذا الحد . و بعد ان تاملت مليًا قلت عندي لهذا الداء دواءٌ فسالني الثلاثة معًا وماهو هذا الدواء قلت هو الايقاع بجميع ضباط بوليس لوندرا وغيرهم من انفار الضابطة الذين يتجاسرون ويدوسون اراضينا . فصاح الثلاثة معًا . فليكن كذلك ورفعوا اقداحهم يشربون بسري و يصوبون ارائي والان قد مضى على هذا الاحتجاج السنون العديدة بدون ان يتحقق شيء من نوايانا ولم يقتل احد من اعدائنا على حين ان رجالنا تساق الى المشانق فيذوقون عذاب الموت امام اعيننا (فصاح الجمع نعم فاين اصحابك الان) فعاد الخطيب الى الكلام فقال . ان من السهل المجاوبة على هذا السوال فقد ساروا الى العدم ولو سعوا في تحقيق نواياهم واوقعوا في رجال البوليس لما شنقوا وعذبوا ونحن ايضًا لوسعينا بثبات على هذه الخطة لما صارت احوالنا الى مصير وخيم فقد اصدر ضدنا امر دني مغاير للنظام العمومي في ايام تملك غيليوم المغتصب الاخير بما سار بنا الى الخراب والدمار ولكنا عدنا فارجعنا حقوقنا وامتيازاتنا باهتمام واقدام اهالي لوندرا المتقدين بالغيرة الوطنية (ضجيج استحسان وضحك) فيا اصحابي اني افتخر بالقول ان هذه الاعمال الجيدة تمت بادارتي واهتمامي واود ان نصل الى اليوم المراد بحيث يصبح العالم باجمعه مديونًا وتهدم السجون ونتمتع بالحرية المطلقة فنعمل ما نريد ونشتهي بدون معارض او مانع وهو زمن لابد من حلوله انما عليكم يا اخواني لبلوغه ان تتعاضدوا وتتعاونوا وتتكاتفوا وتتكلوا على حماية زعيمكم وقد رايت قبل رجوعي الى محلي ان اعرض عليكم كاسًا لابد ان تقابلوه بالاستصواب وهو كاس الطالب الجديد المنخرط في سلك عصبتنا اعني جاك شبارد فقد كان ابوهُ صديقًا مخلصًا لي وسروري لايقدر لما راه في الابن من الطموح الى تتبع خطوات ابيه فلنشرب يا اخوتي بصحة ونجاح جاك شبارد

فلباه الجمع باصوات الاستحسان وشربوا جميعًا بسر الطالب الجديد وكانت السيدة شبارد قد نظرت من خلال النافذة في الحضور فلمحت ابنها محاطًا بامراتين يمازحانه و يلاعبانه وهو نشوان من تعاطي المدام ينهكهُ النعاس الشديد وقد فتح صدره ونثر ثيابهُ فلم تمالك الارملة نفسها عن اظهار شعائر حبها فارسلت صوتًا حزينًا موثرًا . وكان الامراتان المذكورتان مجملتين بصفات الحسن لا تتجاوز اصغرها سنًا الحادية عشرة من العمر بديعة التركيب زرقاء العينين باسمة الثغر بانف صغير واسنان لولوءية وبشرة بيضاء ناعمة يعلوها شعر اشقر مخصب واسمها ادجورت بيس وقد دققنا في شرح اوصافها لما سيكون لها في سياق الحديث من النفوذ على قلب جاك اما الامراة الثانية واسمها بول ماجوت فكانت من النوع الامازوني قوية التركيب غليظة الاعضاء بما يقرب كثيرًا من هيئة الرجال ولكنها متعادلة الوضع جميلة الطلعة بما يوهلها الى استحسان ناظرها وكان بو بلو على مقربة منهم جالسًا على برميل يتتبع باهتمام تقدم جاك في خطة السكر وهو يحث

الامراتين بالنظر على مداومة تقديم الاقداح فلم تقوَ السيدة شبارد على الثبات طويلاً امام هذا المنظر المريع فهرعت الى القاعة وطلبت الى ابنها ان يتبعها

اجاب جاك وقد غربت عيناه . من تكونين ياعزيزتي

قالت . امك فانهض واتبعني

اجاب . امي ثم تاملها وقال لالا . انظري يابيس من تكون هذه الامراة

اجابت بيس . لااعرفها انما لو فرض انها امك فاصرفها الى بيتها

فصاح بو بلو وقد انتبه الى السيدة شبارد اهلاً وسهلاً بكِ فاقربي اليَّ واجلسي بجانبي

فسكبت بول ماجوت قدحًا من المسكر وقدمتهُ الى السيدة شبارد وقالت تفضلي واشربي

فصاحت الارملة قم ياولدي ياجاك . . بربك قم

قال . لا . . لا اذهب لاني والحمد لله مشروح الخاطر هنا والاوفق ان تذهبي بدوني

فنادت بصوت حزين . جاك

اجاب . لالا بل كلفي الخاطر وقولي لي يا خواجه شبارد لاني لااسمح بان يحط من قدري فانادى بجاك كما تناديني

قالت بيس . يرجح في ظني اني مستثناة من هذا المنع ياحبيبي فيمكني ان اناديك بما احب

. قالت بول ماجوت . وانا ايضًا حيث لااشك بانك تحبني كما تحب بيس

اجاب . كلا فان بيس في المحل الاول من قلبي وانت في المحل الثاني من بعدها وكلتاكما مفضلتان على هذه الامراة (يريد امهُ)

فصفق بو بلو فرحًا . وقال احسنت احسنت

فصاحت الارملة . جاك . ياولدي جاك . مزقت فوادي

فقهقه ضحكًا وقال . ان النساء يتظاهرن غالبًا باكثر مما يشعرنَ . اليس كذلك يابيس

اجابت . بلى ولاسيما الامهات منهن

فنظرت الارملة اليها نظرة المتألم المتوجع وصاحت . اه منك يا شقية ما هاج غيظها فنحت نحوها مزبدة متوعدة وقالت اني لااصبر على احتقارك

فصاحت الارملة وقد قبضت على يدي ابنها تشد بهما اليها . هلمَّ ياولدي اتبعني ياولدي

فمسكت بهِ بيس وقالت . لايذهب ابدًا ثم نادت ببول ماجوت ان اسرعي الى مساعدتي فلبثها في الحال بان حملت جاك ورفعتهُ على كتفها وقالت من يستطيع على اخذه مني

اجابت جاك . لااحد فقد اصبحت ولي نفسي فلا احتاج الا مالاً ونساء . . . نساء ومالاً . واراد ان يتم حديثهُ ولكنهُ فقد ميزانيتهُ فهوى عن اكتاف الامراة وسقط الى الارض لايعي لشدة

سكره . فاندفعت امة عليه ولكنها منعت بقساوة عن الاقتراب منهُ فاكثرت من الصياح والعويل بدون جدوى لان بو بلوكان قد امر باخراجها من القاعة عنوة

السرقة في هيكل ويليسدين

فهامت الارملة على وجهها تضرب من جهة الى اخرى فيما حول فندق النقود ولا تستطيع اليهِ دخولاً وزاد اضطرابها لما بلغها من ان جوناتان ويلد زار الدسكرة واختلى بابنها فيها فتغلبت عليها الافكار اشكالاً واعتمدت على الذهاب الى المستر ود تستشيرهُ في الامر وتستمد مساعدتهُ ولكنها فطنت الى ما لقيتهُ في بيتهِ من سوء المعاملة فعدلت عن عزمها الى غيره بما لم تجدها نفعاً حيث كانت ممنوعة من الدخول الى فندق النقود ودامت على غير هدًى الى صباح اليوم الثاني وكان يوم الاحد فشعرت بالتعب والضعف والتزمت ان تلتجىء الى منزل تستريح فيهِ فاتخذت البر راي طريقاً تقربة للمسافة وكان الوقت قبل بزوغ الفجر وجدّت في السير الى ان خارت قوتها وانحطت همتها فرمت بنفسها على الارض واتخذت الحشيش فراشاً فنامت نوماً عميقاً طويلاً ولدى انتباهها من رقادها تجددت عزيمتها لصفاء السماء وطيب الهواء فان الشمس كانت ترسل اشعتها الحارة الى الارض فتنهض الهمم المتقاعسة والفضاء معطراً بروائح الاعشاب والزهور والطيور تردد نغماتها بكل لحن مطرب غريب فقابلت بين ما يجلي عليها من مناظر كالات الطبيعة وبين ما رأتهُ في فندق النقود من المشاهد المريعة بما اوهمها انها خارجة من حلم مخيف فبعثت النظر يخترق الاشجار الغضة فلمحت من خلالها قبة كنيسة ويليسدين حيث صرفت ثمه اياماً عديدة سعيدة فاتجهت الى منزلها وكان عند مدخل القرية وبعد ان سدت فيهِ رمقها بشيء من الطعام واصلحت اختلال ثيابها سارت الى الهيكل لتقوم بالفرض الواجب عليها نحو الله في يوم الرب . وكانت الكنيسة مزدحمة بالناس فاخترقت السيدة شبارد الصفوف بقدم ثابت سريع وهي تتجنب النظر الى الغير وجلست على مقعد بعيدٍ منزوٍ واذا الموسيو كنيبون على مقربة منها يشير اليها رمزاً وغمزاً وكان قد اتبع منذ امدٍ خطة القحة فلا يصادفها الا ويبادئها باشارات الغرام وعبارات الحب فثقلت عليها اشاراتهُ بما اثر فيها كثيراً ولكن قلبها كان مشتغلاً عنهُ ببلاء اكبر ومصاب اعظم

وما ابتدأت الصلاة الربانية الا دخل شاب في زهرة العمر وانسل بخفة حتى استقرّ خلف الموسيو كنيبون وكان واقفاً ليظهر للناس اعتدال قامتهِ وجمال طلعتهِ فتاملت السيدة شبارد الشاب الجديد فاذا هو ابنها جاك ولكنها بقيت مترددة في امره الى ان لمحت جوناتان ويلد منتصباً بقرب عمود هنالك وقد وجه اليها نظراً شرساً فشعرت كما لو انها سحرت واطرقت براسها الى الارض كانها تطلب فراراً من خطر قريب الا انها عادت فاجابت تطلبات قلبها ورفعت اعينها لتشاهد ابنها وكان الكاهن وقتئذٍ يلفظ الوصايا الالهية وفي جملتها (لا تشتهِ مقتنى غيرك) فنظرت

جوناتان ويلد شاخصاً اليها ولسان حاله يقول لها ان ابنك جاك خالف هذه الوصية الالهية تحت اجنحة هذا الهيكل المقدس فهو لي وتحت سلطاني . فلم تستطع السيدة شبارد الثبات امام هذه الضربة الجديدة الثقيلة فسقطت على وجهها الى الارض وغابت عن الوجود

مسكن جوناتان ويلد

في الساعة الواحدة من الليلة التابعة لوفاة السيدة ترافور ظهر في ناحية سجن نيغكات فارس يمتطي جواداً اجوحاً ومن خلفه خادم يتبعه فكبح به الجواد بغتة فهوى الفارس من على ظهره الى الارض وفي الحال هرع رجل من الجهة الثانية من الشارع فانهضه وقال اومل ان لا تكون قد اصبت بجرح ياحضرة السير روفلاند

اجاب . لا والحمد لله ياجوناتان . ثم التفت الى الخادم وقال سر بالجواد الى البيت فما عاد لي حاجة بك

قال جوناتان وكان الخادم قد بعد عنهما . حاذر لنفسك فقد سقطت امام باب السجن المعد للمحكوم عليهم بالاعدام وهي علامة شؤم لاارضاها لك

اجاب روفلاند متهكماً محتقراً . ما عهدتك ياصاحبي من اهل الخرافات والاعتقادات الباطلة

قال . ان الاعمال لايقوى بجانبها المكابر على الانكار

اجاب . ما لنا ولهذه التعللات الفارغة فقل لي الان اين ابن شقيقتي

قال على بعد خطوتين من هنا . ثم قص عليه خبر فراره مع جاك شبارد وكيف صادف مجيئه عند ما كانا يحاولان الخروج من الباب الخارجي . الى ان قال . ان هذه الحادثة قد عادت عليَّ بالخسران حيث اجلت عن جرح اشهر معاونيَّ وهو ابرهيم ماندبز فقد انقطع عن العمل بسبب جراحه وربما يلازم الفراش مدة ثمانية ايام او اكثر ولكني استعضت عنه بخلف ماهر وهو جاك شبارد . . .

فقاطعه السير روفلاند بقوله لا يعنينا ذلك

قال نعم لا يعنيك ولكنه يعنيني كثيراً فاني حلفت يميناً على اعدام جاك شبارد كما حلفت انت على قتل تيمس درايل وساقوم بكلامي . واذ ذاك سمع صوت يقول نعم نقوم بكلامك اذا لم نجد من ساعدي مانعاً ثم تبع ذلك اطلاق البارود وشعر جوناتان بمرور رصاصة بجانبه فصاح عرفتك « ياتيري » فانك لا تنجو من يدي وان تمكنت من الفرار اليوم فلا نقوى عليه غداً ولا بد من ان اقودك ذليلاً الى المشنقة . ثم خاطب السير روفلاند قائلاً ارايت كيف ان الشيطان يقيني من غدر اعدائي

اجاب روفلاند فلنسرع بالدخول الى بيتك لاني متشوق الى رؤية سجينك (تيمس)

قال ان السجين ليس في بيتي

اجاب . فاين هو اذًا

قال في محل يدعى ميزون نوار وهو عبارة عن حانة تحت الارض يتردد اليها لاحو ورجال مركبي الصغير الذي اخبرتك عنهُ وقد عهدت بحراسة ابن اختك الى كيلت ارنولد وفان كاليبر وك ولا تلبث ان تشاهده بعينك فهيا الان معي الى بيتي لنبحث سوية فيما بيننا الحساب ولي اوامر اريد ان اصدرها الى اربابها فاتبعني

وكان مسكن جوناتان ويلد وكيل البوليس السري منتصعًا معتمًا يفصلهُ عن الطريق حوش مصان بشبكات حديدية غليظة وهو كثيف الظلام فلا يختلف نهاره عن ليله في شيء بما يوهم الداخل اليهِ انهُ في سجن مريع وكان جوناتان يبذل قصارى الجهد في ترويج مظاهر بيتهِ المخيفة فهو محصن المنافذ والابواب مثمر الغرف بما يشبه اقفاص السجون والبواب بلباس سجان يحمل في زناره كثيرًا من المفاتيح

وكان داخل البيت كخارجه بجدران عارية بيضاء وارض غارقة بالرطوبة وافرشة ومنافذ بدون ستائر وغرف خالية من المقاعد والموائد ما عدا غرفة الاستقبال وسلالم كبيرة من الحجر تنهي الى حيث لا يعلم ومماشي طويلة تلقي في قلب الناظر رعبًا مجهول الاسباب وقد تكاثرت الروايات والاخبار عن هذا المسكن فذهب قوم الى ان الطبقة السفلى منهُ ماهولة بمزيفي النقود وقال اخرون انهُ لا يخلو من معابر ممتدة تحت الارض الى سجن نيفكات بما يسهل لجوناتان الاكتشاف على اسرار عظيمة تستنير بها الحاكم في المواد الجزائية الى غير ذلك من الاشاعات التي كان جوناتان ويلد يساعد ويعاون على انتشارها

فتقدم جوناتان ورفيقهُ الى باب المنزل يقرعه قرعًا معلومًا من البواب ففتح لهُ في الحال وما تسلق السير روفلاند درجتين من السلم الا انقض عليهِ كلبان عظيما الجثة وهما ينجان بتحمس فلازم الدفاع وكاد يمزق بانيابهما قطعًا لو لم يبادرهما صاحب المنزل بالضرب وبردهما عنهُ ثم انب البواب على اطلاقهما بدون اذنهِ وامرهُ بان يحمل الضوء امام ضيفهِ الى غرفة الاستقبال فمشى البواب يتبعهُ السير روفلاند في ممشى مظلم انتهى بهما الى الغرفة المذكورة فوطئها واخذ يتامل بها باهتمام على حين كان جوناتان يودي التعليمات المقتضية الى خادمهِ بصوت منخفض فتخيل لهُ انهُ حل الى معرض الاثار القديمة لما شاهد في جدرانها من الخزائن الزجاجية والرفارف المحملة بالغرائب فخطى نحوها يتحقق كنهها واذا قطع من الاسلحة مخضبة بالدماء وقد كتب على اوراق بجانب كل قطعة منها حوادث القتل التي ارتكبت بها فمن ذلك سكين استعان بها ابن على قتل ابيهِ ودبوس من الحديد قتلت بهِ امراة من يد رجلها وفاس انفذ بهِ قضاء عظيم وغيرها من الات القتل والعذاب وكلها مثمرة مرتبة بعناية خصوصية فحول بوجههِ عنها اشمئزازًا الى نحو جوناتان ويلد

وقد خفق قلبهُ وارتعدت فرائصهُ حيث فكر بالخطر وعلم انهُ سلم نفسهُ باختياره الى سلطان رجل غادر

وكان جوناتان ويلد في ذلك الحين جادًا بسرعة نحو الشهرة العظيمة الفظيعة التي بلغتها واملنا ان لا يبلغها بعد الان احد غيره رحمة بعباد الله وتنكيسًا لاعلام الظلم ورفعة لشان العدل وتخفيفًا لويلات الانسانية وللاحتفاظ على ما اعطي من قوة السلطان والنفوذ كان في حاجة الى اجتهاد ثابت وعمل دائم وجسارة مقترنة بالشجاعة وسرعة تصور وتوقد ذكاء وهي صفات استجمعها بكليتها وتفنن بها فبلغ منها المقام الاسمى فهو ممن لا تحولهُ المصاعب والاخطار عن عزمهِ وتنفذ ايديهِ بدون جزع ما يرسم في لوح تصوره لا يرتجي في جنب ذلك صوابًا ولا يخشى عقابًا فيساعد اللصوص على جناياتهم ويشاركهم في كسبهم ويرسل منهم الى المشنقة كل من خالف ارادتهُ فقسم لوندرا وضواحيها الى احياء ووزع عليها عصابات اللصوص اجواقًا واقام على كل جوق منهم زعيمًا يفعل امره وينفذ غايتهُ وكان يعهد بالماموريات المهمة الى اناس من الجانين الذين اطلق سبيلهم ولهُ عليهم ملء السلطة وتوصل اخيرًا الى ما لم يسمع بهِ من قبل ذلك الحين وهو الاتجار في دماء البشر بان هيأ شهود زور يستخدمهم في قضاء شهواتهِ الدنية فيقوى بهم امام الحاكم على اتهام الابرياء الذين يرغب في التخلص منهم فتصدر عليهم احكام الموت جزاء ثقيلاً ظالمًا

وشاهد جوناتان ويلد لوائح الجزع على وجه السير روفلاند فاقترب منهُ وقال متبسمًا ان كنت قد استحسنت غرفتي فقد استحسنها من قبلك كثيرون في جملتهم اناس زينت باثارهم ثم اشار الى راس ميت على الرف وقال اه . . اه . . من هذه الجمجمة فهي جمجمة توما شبارد ابو جاك شارد ولا بد من وضع جمجمة الابن يومًا بقرب جمجمة ابيهِ

قال روفلاند فلنهتم بعملنا

اجاب امرك

فرمى روفلاند بجزدان من الورق على الطاولة وقال هاك المبلغ الذي طلبتهُ فاحسبهُ فاخرج جوناتان من الجزدان اوراق البنك وعدها ثم سكت برهة وقال اخطأت يا حضرة السير فالمبلغ زائد مائة ليرا

قال احفظها لك

اجاب هي عندي تحت امرك فلنذهب لمقابلة ابن اختك

قال السير روفلاند لي كلمة ارفعها اليك قبل ذهابنا

اجاب قل

قال اريد ان اقف على بعض تفصيلات في شان زوج اختي المعروف بدرايل

اجاب لبيك

قال روفلاند انما بدون عوض جديد

اجاب لايمكنني ولم تسبق لي عادة بذلك ولكني وعدتك بالتساهل في القيمة ولا أنكث بوعدي ثم قص الشمعة ودقق نظرًا في الجهات الاربع وقال انا وحدنا هنا ياحضرة السير فيمكننا ان نتبادل سرًا بسر

قال ما فهمت شيئًا

اجاب لابخل عليك بالايضاح . فانك مغموس في دسائس الحزب اليعقوبي . . . .

فصاح روفلاند وامصيبتاه

قال وتراسل رؤساء الحزب . . . . .

اجاب روفلاند باي حق ياجوناثان تلقي عليّ مثل هذا التهم الثقيلة

قال خذ لقلبك صبرًا فلا يفوتك شيء من الحقيقة فانك اذا رفعت اليّ قائمة باسماء رفقائك في الحزب مع ذكر البراهين الدامغة لاثبات خيانتهم ضمنت لك الامن على حياتك وما لك واطلعتك على درجة واسم زوج اختك اليفه الحقيقي وزدتك عليها افادة مهمة تتعلق باختك قسطنطينة التي فقدت منذ سنين عديدة

فصاح . . اختي قسطنطينة . . تكلم . . ماذا تعلم عنها

قال اذًا قبلت اقتراحاتي

اجاب محتقرًا وهل تظنني مثلك لصًا شقيًا خائنًا

قال لا وانما ظننتك رجلاً ينتفع بالظروف المناسبة لصوالحه فاخطأت في ظني وكنت غير مصيب فعفوًا ياسيدي انما اعلم بانه لابد من يوم ولا اظنه بعيدًا تحتاج به هذا السر وتنفق في سبيله الاموال الكثيرة

فتقدم روفلاند نحو الباب وقال هل انت مستعد للذهاب اجاب نعم وتبعه وهو يقول في نفسه ان الحراس المكلفون بتوقيفك مستعدون ايضًا لانفاذ ارادتي فيك وبارح الاثنان المنزل

مغارة الليل

وصل جوناثان ويلد والسير روفلاند بعد سير سكوت سريع دام بضع دقائق الى شارع ضيق ممتد على طول نهر التيمس وكانت شوارع لوندرا في ذلك الحين لاتنار الا فيما قل وندر بما يجعل المارة مشاقًا كثيرة للاهتداء ولكن جوناثان ويلد كان خبيرًا بجميع طرقات ومعابر وخنادق المدينة وعيناه القادحتان تخترقان احجبة الظلام الكثيف بما ينير امامه طريق مسيره فلا يضل ولا يعثر وكان روفلاند مترددًا في مسيره وقد ضلت قدمه فلاحظ جوناثان منه ذلك ومسك بزراعه يقوده الى مدخل ضيق معوج صعب المسلك انتهى بهما الى سلم خطر زلق يصعب

نزولهُ في ضوء النهار فضلاً عن ظلام الليل فانحدرا به بتأنٍ الى ان بلغا باباً صغيراً فتحاه بسكوت وانسلا الى داخلهِ ثم اقفلاه من خلفهما بتحرس فاذاهما في دهليز يشبه لداخل المراكب الصغيرة بسقف واطٍ يكاد يلطم برؤوس الوقوف تحملهُ مزارق من الخشب وفي احدى زواياه نار مشتعلة احاط بها قوم يصطلون واكثرهم من لصوص الشطوط ومهنتهم محصورة بسلب البضائع من مراكب النهر وفي جملتهم اناس من المساعدين على الغواية بحيث يشترون المسلوب ويودعونهُ عندهم ونساء من العالقيات يتقسمن ويشربن وقد ازدان محفلهن بامراة في الخامسة والثلاثين من العمر بهية الطلعة تدعى بالسيدة سيرلنك تأهلت باربعة رجال ففقدت ثلاثة منهم شنقاً والرابع حكم عليه بالاعدام مرتين ولكنهُ نجا بمساعدة جوناتان ويلد الذي سعي في تعيينهِ بواباً لسجن نيفكات لاغراض لاتخفى على الناقد البصير

وكانت عند دخول الرجلين جالسة بجانب رفاقها فنهضت في الحال لاستقبالها واخذت بيديهما الى الدائرة المجاورة حيث كان كيلت ارنولد وفان كاليبروك في انتظارهما فوقفا اجلالاً لهما وخرجت الامرأة الى عملها ،

فقدم جوناتان ويلد السير روفلاند الى فان كاليبروك ربان المركب وقال ان حضرتهُ جاء بنفسهِ يوصيك بابن شقيقتهِ

فانحنى الربان امام السير روفلاند وقال يمكنك ان تتكل عليَّ ياسيدي

قال روفلاند واين الغلام

فاشار الربان الى الارض وقال هنا فاتنا بهِ ياكيلت وللحال فتح كيلت باباً لحفرة في الارض ونادى اي : . اي . . انت . . انت . . . تعال فانك مطلوب ولما لم يجب احد مد يده واخرج تيمس من مخبئهِ الجهنمي مغلول الايدي مصفر الوجه

وصاح بهِ لما لم تجب وتخرج عندما دعوتك ياغمر

اجاب بثبات لاني عالم بما تضمرونهُ لي

قال ماذا نضمر لك

اجاب تضمرون قتلي لاطاعة اوامر خالي القاسية ثم رفع نظره فاذا السير روفلاند امامهُ

فصاح بالله اعلمني ماذا حصل لامي

اجاب جوناتان بخشونة ماتت

قال ماتت . . لا . . لا . . فالخبر ليس باكيد وانت تقول ذلك لتخيفني وتنقض من شجاعتي ثم اندفع نحو السير روفلاند وصاح قل لي ياسيدي ان هذا الرجل كاذب . . بربك قل لي ان امي حية وافعل بعد ذلك ما تشاء بي

اجاب روفلاند وقد داخلهُ الملع ان امك قضيت ياولدي

فارتمى تيمس على اقدامهِ والدموع ملءُ عينيهِ وصاح . . ووالدتاه . . وحر مصيبتاه . . . اه يا الهي . . . احتجبت فما عدت اراها وابتعدت فما عدت اسمع صوتها . . فاسرعوا اليَّ واهرقوا دمائي . . عجلوا بارسالي الى امي

قال جوناتان العجلة من الشيطان والتاني من الرحمان

فصاح روفلاند كفى كفى فما عاد لي اقتدار على عمل الشر . . فليطلق سبيلهُ

فدفع جوناتان بالغلام نحو كيلت وقال سدوا فمهُ وقودوه الى المركب فان السير روفلاند لا يلبث ان يشكرني على هذا العصيان

قال تيمس لا حاجة الى سد فمي فاني اعدكم بالسكوت فلا انطق بشيء عن غير ارادتكم فلم يسمع لهُ كيلت بل بادر الى شده بقطعه من الحديد وساقهُ كخروف بري الى خارج الغرفة والسير روفلاند غارق في عرقهِ البارد لا يبدي اشارة ولا يلفظ كلمة

فخاطب جوناتان و يلد فان كاليبروك بقولهِ هل مركبك مهيأٌ للسفر

اجاب نعم ولا انتظر الا اوامركم

فدفع اليهِ رزمة من الورق مغلفة ومختومة وقال هاك اوامري التي يقتضي ان تجري بموجبها فافتحها عندما تصبح في عرض البحر

اجاب فهمت . .

قال جوناتان بما يامر حضرة السير روفلاند هل بانتظارنا هنا او بمرافقتنا الى المركب

اجاب لا بل بمرافقتكم وكان قد سكن جاشهُ فعاد الى سابق عزمهِ الشرير

قال فسر اذًا لان الوقت ثمين ثم اتجه نحو الباب والاثنان يتبعانهِ الى ان بلغوا سطح الارض وساروا من هناك الى رصيف النهر حيث وجدوا ثمه كيلت ارنولد في انتظارهم وقد طرح الغلام في قاع القارب فسعى اليهِ جوناتان و بعد ان تبادل واياه الكلام انطلق كيلت نحو الحانة وانحدر جوناتان ورفاقهُ الى القارب فاقلع بهم نحو المركب المطلوب

وكان القمر قد ظهر في الافق يطارد جيوش الظلام بما بدد شمل جموعها وشق حجاب سوادها فتجلى عليهم جسر النهر وقد اشرفوا عليهِ من بعيد فهمس جوناتان في اذن فان كاليبروك وكان ماسكًا للدفة بان يعبر بالقارب من تحت القنطرة ففعل و بوصولهم اليها اعترت روفلاند رجفة عصابية

فقال لهُ جوناتان وهو يغم في كلماتهِ هل تذكر لما حصل منذ اثنتي عشرة سنة في هذا المكان

فصاح اذكر والذكرى تقتلني ياجوناتان فعجلوا في التجذيف وتبع ذلك سكوت تام فلم يفه

احد بكلمة الي ان لاصق القارب المركب فصعد فان كاليبروك اليها بحبل دلي اليهِ من اعلاها ثم ارسلت الحبال الى تيمس فربط بها ورفع اليهِ ايضاً وقبل بلوغ سطح المركب رمق خالهُ حنقاً وقال ستجمعني واياك الايام

قال جوناتان انما ليس في هذا العالم بل في العالم الاتي ان شاء الله ثم اشار الى فان كاليبروك ان ارفع المرسى ولا يبرح عن بالك ان تستشير اورقلك

اجاب الربان وقد ساق امامهُ تيمس واختفى واياه عن العيان . . امرك ياسيدي

وبعد هنيهة اندفع القارب عائداً من حيث اتى ولدى مقابلتهِ للشط سارع جوناتان بالنزول واتجه نحو جماعة في جملتهم كيلت ارنولد يمسك جواداً وبجانبهِ عربة يجرها راسان من الخيل فتبعهُ روفلاند وقال الحمد لله على فك قيود اسري

اجاب جوناتان ان قيودك لم تفك بعد حيث ما زلت اسيري

فاستل روفلاند للحال حسامهُ وتاخر خطوتين الى الوراء وصاح كيف

قال اني اوقفك بتهمة ارتكابك لخيانة عظيمة ثم حول باليد الواحدة فرده نحو راس روفلاند وقدم لهُ بالثانية رقعة وقال هاك الامر

فصاح وهو يعض اصبعهُ تشفياً يالك من خائن دني

فنادى جوناتان بالحراس ان اقبضوا على هذا الرجل وسوقوه الى حضرة ويلبول اولاً ثم الى سجن نيڤكات فانقضوا عليهِ كالبواشق وحملوه الى العربة بدون ان يمكنوه من الكلام ثم امر كيلت ارنولد بان يحمل الى سجن سان جيليس اوامره بالافراج عن المسترود وامتطى جواده وانطلق نحو فندق النقود يتفقد احوال جاك شبارد

فرار جاك شبارد من سجن ويليسدين

ان الصوت الذي ارسلتهُ السيدة شبارد في كنيسة قرية ويليسدين عاد على ابنها بالنتائج الوخيمة لان جوناتان ويلد انتفع بما نشأ عنهُ من الغوغاء والضوضاء ونجا بنفسهِ من الهيكل اما ابنها جاك فقبض عليهِ بقرب الباب وكان كنيبون قد شعر بحركة يد خفيفة في ثيابهِ فتفقد جيبهُ ولما لم يجد محفظة الاوراق وهي تحتوي على تحارير ومكاتبات خطيرة تتعلق بالدسائس اليعقوبية ايقن باختلاسها ونظر الى ما وراءهُ علهُ يجد المختلس واذا جاك شبارد مقبوض عليهِ فعلم انهُ السارق وتاثر قلبهُ بالغم والكدر لما رأى من صراخ امهِ وتاثيرات المشهد فتقدم نحو ضابط حضر لفحص المسالة واسمهُ «جون ريب» فرفع اليهِ شكواه وطلب منهُ ان يذهب بالسارق الى المقبرة المجاورة للكنيسة هرباً من تجمع الناس فصادف طلبهُ قبولاً وسير بجاك الى حيث فتش من فوق الى اسفل بدون ان يظهر اثر لشيء مما ادعي عليهِ بهِ فوعده كنيبون باخلاء سبيلهِ وبجائزة حسنة اذا رد عليهِ

المفقود او اقر عن شريكهِ في الجناية فلم يزده ذلك الا اصرارًا على الانكار والتبرء وانتهى بالاحتجاج ضد كل من ينسب اليهِ مثل هذه الجريمة

ولما عجز كنيبون من الوصول الى النتيجة عمد الى اهل القرية يكاشفهم في الخبر فانبأهُ احدهم انهُ شاهد رجلاً غريبًا مسرعًا في المسير نحو لوندرا مجردًا عن مظاهر الحشمة والاستقامة فاعتمد الموسيو كنيبون على ملاحقتهِ فعهد بجاك شبارد الى الضابط وامتطى جواده وجد في طلبهِ

وفي اثنا ذلك قرر الضابط بعد مذاكرة قصيرة مع رجال حكومة القرية وجوب الحجر على جاك شبارد في سجن و يليسدن فجرّ اليهِ صاغرًا وفي طريقهِ تجلى عليهِ من مظهر امهِ ما ازعج نفسهُ وانفطر لهُ قلبهُ حيث كانت مطروحة تحت شجرة صفراء متالمة والنساء من حولها يعتنين بها فتمزق لرؤياها فؤاده وزجره ضميره فاسرع في خطواتهِ تخلصًا من اكدار هذا المشهد المحزن الى ان بلغ السجن وهو بناية صغيرة مستديرة لايزيد ارتفاعها على ثمانية اقدام بسطح مقبب يدخل اليها بباب متين يولف اغلاه من قضبان حديدية بحيث يشاهد السجين من خارجه فاقفل على جاك شبارد وترك وحده فجلس على الارض و بقي مدة في بحر من التفكر لان تخلي جوناتان و يلد عنهُ بعد ان اغراه على ارتكاب الجناية وتذكار مشهد امهِ كانا قد دكا دعائم اقدامهِ فوقع في الياس وتراكمت عليهِ التصورات المزعجة بما اثار خاطره فتمدد على مراح السجن وقد اضناه التعب فغرق في لجة من النوم العميق

ولدى انتباهه وجد ان النهار كان قد مضى اكثره ولم يزره احد وقد فعل بهِ الجوع فاطلق نظره يقلبهُ في زوايا السجن واذا رغيف من الخبز الاسود بجانبهِ ابريق ماء فزحف اليهما و بعد ان اكل وشرب شعر بتجدد قوتهِ فعاودتهُ الشجاعة والاقدام والنشاط واعتمد على النجاة فرارًا فاخذ يفكر في ايجاد السبيل الموصل الى الغاية وكان الباب مكينًا بما لايقوى على خلعهِ والحائط ثخينًا بما لا يستطيع ثقبهُ فحصر امالهُ في السقف ورأى ان من السهل عليهِ اختراقهُ اذا تمكن من بلوغهِ فبدأ يهيء المعدات ولمح شوكة قديمة مغطاة بالصداء فالتقطها واخفاها واذا باب سجنهِ فتح ودخل الضابط يحمل اليهِ مونة العشاء فوضعها بجانبهِ وانصرف فتبعهُ جاك يتوسل اليهِ ان ياتيهِ بقليل من المسكر فلم يجب سوالهُ بل خرج واقفل عليهِ الباب بعنف وسمع بعض الحضور توسلات جاك فعمد الى تلبيتهِ بان اتاه بانبوبة طويلة مملوءة بالمسكر ودفعها اليهِ من خلال قضبان الباب الحديدية فتناولها وشرب ما فيها ثم شكر للمحسن اليهِ جميلهُ وعاد فانطرح على ارض السجن ينتظر قدوم الليل للمباشرة بالعمل على ان كمية المسكر التي ازدردها خانت امالهُ والقتهُ في نوم طويل فلم ينتبه الا والغزالـــة مرسلة اشعة انوارها الى البسيطة فلام نفسهُ كثيرًا على كسلهِ وهاج غيظهُ فوثب كظبي فاجئهُ المطارد وتسلق عوارض الباب الى ان بلغ السقف فاسند رجلهُ الى خرجة

الحائط واستعان بشوكته على فتح خرق واسع فيه كشف عن الاخشاب فكسر بعضها وتمسك باليد الواحدة في الجسر على حين كان يرفع بالثانية القرميد وما مرت دقائق قليلة الا ظهر في السقف نافذة وافية بمرادهِ بحيث يستطيع ان يمر بجسمهِ منها فهم الى الخروج واذا صوت وقع حوافر ينذر بقدوم خيال ثم وفد خيال اخر ووقف الاثنان تجاه السجن فانكمشت نفس جاك واطرق براسهِ الى اسفل وهو يحسب انهما من ضباط العدلية ولكنهُ ما لبث ان سمع صوتهما وقد قال احدهما الى الاخر اسرع يا بو بلو واقتلع الباب قبل ان تدركنا اهالي القرية

فعلم انهما صديقاه واستحال كدره في الحال الى سرور فخرج الى ما فوق السطح وصاح لا حاجة الى تعبكما فقد كسرت قيد اسرى بيدي

قال بو بلو من هذا

اجاب . جاك

فصاح جوناتان عوفيت وبقيت يا زينة الشبان

قال بو بلو وربي ان هذا الاقدام لما لم ترَ بمثله عيني

قال جوناتان وكيف العمل لانزالك يا جاك

اجاب العمل عملي ووثب من على السطح الى اسفل فجاء منتصباً امام جوناتان

وقال اذا اريد الحجر على جاك شبارد فليختار لهُ من السجون اقواها وامتنها

قال صدقت فستكون بلاء منزلاً على سجاني مملكة بريطانيا العظمى . فهيا المسير

قال بو بلو اعطني يدك يا جاك واركب خلفي فانطلق بك الى لوندرا الان «ما يد جورت» يبس وبول ماجوت» اصبحنا لا تصبران على فراقك اما كنيبون فقد انيط امره بجوناتان وباد ينوي اعلم منا بما يسر خاطره .

فتبسم جوناتان وقال نعم فهو الان رفيق السير روفلاند يساعره في تجنيه واني منشرح الصدر رسلك يا جاك لان محفظة الورق التي اختلستها لي من هذا القبطان هي حاوية لجميع الاوراق والمراسلات الخطيرة فاركب الان خلف بو بلو ودونكما والطريق

قال جاك اريد ان اشاهد امي قبل ان ابارح هذه القرية

فصاحَ جوناتان ما هذا الجنون المحفوف بالمخاطر

اجاب عزمت على مشاهدة امي ولا بد من مشاهدتها فتقدماني الى التسكرة وسأوافيكما اليها في هذا المساء

قال جوناتان ان كان ولا بد من ارتكاب هذا الجنون فساسير برفقتك ولا افارقك مطلقاً ثم ترجل عن جوادهِ وسلم عنانهُ الى بو بلو وامره بان يتقدمهما بتمهل وتبع جاك في طريق ضيق

الى منزل السيدة شبارد وعندما اصبحا على مقربة منهُ

قال جاك وهو يشير الى مسكن صغير تحيط بهِ حديقة صغيرة مزروعة بالورد والقرنفل هاك منزل امي فانتظرني هنا ياجوناتان وعما قليل ساعود اليك اجاب سرفاني بانتظارك

الخير والشر

وبينما كان جاك شبارد يتقدم في الحديقة بقدم ثابت داهمتهُ الافكار تزعجهُ وتصعب عليهِ مواجهة امه لما يترتب عليها من اثارة الاحزان والكروب فوقف صامتًا مترددًا بين مداومة الطريق او العود على الاعقاب وارسل نظره نحو القرية متفكرًا واذا جوناتان ويلد مستظل بسنديانة عظيمة ينظر متبسماً اليهِ ففهم من ذلك انهُ يهزأُ بهِ ويضحك على تردده بما اعاد اليهِ شجاعتهُ واقدامهُ فتقدم بجسارة ودخل المنزل وكان السكوت مخيماً في داخليتهِ فشعر بانقباض في صدره لم يقوَ بجانبيهِ على تخطى عتبة الغرفة التي تقطنها والدتهُ فانتصب عند الباب مرتجفًا ونادى . اماه . واذا صوت مثقل بالدموع يقول من هنا

قال جاك . انا . ابنك ثم انسل الى داخل الغرفة فرفعت طرف الغطاء وصاحت جاك . . في يقظة انا او منام

قال لا ياامي بل في يقظة وقد جئت لاطمئنك عن نفسي واودعك

قالت والى اين تريد الذهاب ياجاك

اجاب لا اعلم . . ولكن بقائي في هذه القرية خطر عظيم على حياتي

قالت صدقت فالاوفق ان تبتعد عنها انما بحقك قل لي كيف تسهل لك الفرار . اجلس بجانبي على فراشي وضع يدك بيدي وقص عليّ واقعة الحال

فجلس جاك على طرف الفراش وعانق امهُ بحنوٍ خالطهُ البكاء فشدت الام بايدٍ ملتهبة بنار التلهف على يد ولدها وقالت آه . ياولدي اني كنت بالامس مريضة وكدت اشرف على الموت ولكن لاباس فقط عدني بالامتناع منذ الان عن هذه الحيوة الدنيئة الشقية وبتجنب معاشرة الاشرار المحيطين بك فاصفح لك واباركك . . اه ياولدي . . ياولدي العزيز . . اصغ الى توسلات امك ولا تميتها باوجاعها

اجاب مضى الوقت ولم يبقَ في الوسع ان اتخلص منهم

قالت لا . . لاتقل هكذا ياولدي فالوقت لم يمضِ عليك بعد بل ما زال في استطاعتك ان نعيش مستقيماً وتكون ابنًا صالحًا فاهرب ياحبيبي من جوناتان ويلد حيث اقسم على اعذامك واسفي انك لا تعلم دسائسهُ ومكائده فاهرب منهُ ياجاك وعد الى المسترود فيحسن اليك لانهُ كريم النفس شفوق القلب

اجاب لايمكني ان ارجع الى ود

قالت ولماذا ياولدي

فصاح جوناتان و يلد وقد دخل بغتة الى الغرفة . ان ابنك لايستطيع العود الى سيده لانه سرقة فنهضت جالسة على منكبيها مرتاعة مصفرة وصاحت واعينها محدقة بولدها اصحيح ذلك ياجاك

اجاب جوناتان نعم سرقة فانه منذ ليلتين نزل مع عدد من اللصوص على منزل النجارود فعرف ابنك من بين رفاقه ثم القى الى السيدة شبارد برقعة مطبوعة وقال طالعي هذه الرقعة فتعلمين تفاصيل الحادث وترين كيف ان الحكومة تعد من يقبض على جاك شبارد بجائزة عظيمة

فغطت الارملة وجهها بيديها الاثنين وصاحت . . الهي . . الهي

قال جوناتان هيا فقد آن وقت الرحيل

فصاحت الارملة لا ياولدي . . ياجاك . . لاتفعل واياك ومرافقة هذا الرجل الشرير

قال جوناتان اذا عصاني القيته في السجن

قالت خير لك ياجاك ان تذهب الى السجن حيث اوافيك واعزيك من ان تتبع هذا الخائن فيزج بك الى الهاوية

قال جوناتان ما بالك لا تطيعني

فصاحت الارملة اسمع لي ياجاك فان هذا الجاني يسوقك الى خرابك وقد حلف يمينًا على اعدامك كما اعدم من قبلك والدك . . اني اقول الحق واستشهد الله العلي على صحة كلامي

فضحك جوناتان وقال ان شنق ابنك لا يكلفني الا كلمة واحدة ومع ذلك فاني لا اعارضه في رايه فهو حر في ارادته يفعل ما يشتهي

قالت الارملة الحمد لله حيث سمعت اقراره فاختر ياجاك بين الخير والشر او بالحري بيني و بين هذا الرجل العاتي وصن بامتناعك عنه حياتك وحياتي

قال جوناتان اصابت امك فاختر بين اخف الشرين فخرج للحال جاك مطرقًا بدون ان يفه بكلمة فصاحت امه ودمعة اليأس تخنقها . ذهب . . ذهب

قال جوناتان نعم ذهب وما عدتِ ترينه الى الابد ثم انطلق في اثاره

الزمن الثالث

سنة ١٧٣٤

غارات جاك شبارد

في اواسط شهر ايار من سنة ١٧٣٤ اي بعد مرور تسع سنوات على ماسبق معنا من الحوادث كان يمشي في شارع ويكستريت شاب جميل الخلق والخلقة وهو يتامل باهتمام فيما يحدق بهِ من المنازل والجدران بما يظهر للناظر اليهِ انهُ في شغل شاغل يطلب حقيقة ولا يهتدي اليها ولم يكن لهُ من العمر ما يزيد عن عشرين سنة بقامة معتدلة متناسقة بهية الطلعة تجمع بين لين الانعطاف وقوة التركيب واعين زرق لامعة وهيئة جليلة تنشف عن طبع كريم صادق وقد ارخى على اكتافهِ شعرهُ الاشقر الحريري وتردى بلباس فرنسوي وجزمة طويلة مخرجة بالشرائط وليس في ثيابهِ ما يستدل منهُ على درجتهِ ولكن مظهر هيئتهِ يترجم عن رفعة شانهِ وكانت الناس مزدحمة من حولهِ والنساء تتلفتن اكثر من مرة لرؤياه وهو مشغل بافكاره عنهن فوقف بغتة تجاه منزل قديم رفعت على بابهِ أرمة تمثل ملاكًا كتبت من تحتهِ هذه العبارة وهي «وليم كنيبون تاجر الجوخ» فكان لمنظرها فيهِ تاثير مزعج نفوي على اخفائهِ ودخل المنزل يستمد من صاحبهِ بعض معلومات كان في احتياج اليها

فتقدم الموسيو كنيبون بوجه طلق نحو زائره وكان لابسًا بحسب الزي الاخير فمن شعر مستعار مدلى على ظهره ومنتشر على اكتافهِ ومن ربطة بيضاء حزمت بها رقبتهُ بما ضيق عليهِ التنفس ومن سترة قصيرة بازرار ذهبية ومن حزاء احمر وقد حصرت قامتهُ ضمن ثياب ضيقة ملونة وتقلد سيفًا بغمد فضي وتابط بقبعة مخرجة محيا ضيفهُ وساله بلطف عن حاجتهِ

اجاب الشاب اريد التكلم واخشى ان يكون في جوابك خبر سوء لي فبالله قل لي عما اذا كان صاحب هذا المنزل القديم اعني بهِ المسترود النجار في قيد الحيوة

فبادره بالجواب وقال ان صاحب هذا المنزل وهو صديقي العزيز المسترود يتمتع بحيوة هنية وصحة جيدة يندر وجودها في رجل مثلهُ تجاوز الستين من العمر

فتهلل الشاب فرحًا وقال ظننت بحلول مصاب عليهِ لخلو منزلهِ منهُ

اجاب لا بل حل عليهِ كل الخير وقد نجح نجاحًا عظيماً فاتسعت تجارتهُ وامطرت عليهِ السماء ثروة واشترى اسهماً في شركة البحر الجنوبي فعادت عليهِ بالارباح الباهظة ولم يكن حظي كحظهِ حيث فقدت ثروتي بتمامها واخرتني المضاربات التجارية فما عدت املك شيئًا والان المسترود في غنى ومزيد ومنذ ثلاث سنوات بارح هذا المنزل فاستاجرتهُ منهُ او بالحري وهبني اجوره ولولا

عناية هذا الصديق الصادق لما علمت كيف كان مصيري من الشقاء فالمستر ود ياسيدي طيب القلب كريم الاصل وهو اسعد البشر . . لو . . . .

فبهت الشاب لهذا التردد وصاح لو . . ماذا

قال لو كانت امرأته مجملة بصفاته

اجاب الشاب ولكني سمعت بانها كانت منذ القديم موضوعاً لحبك

قال . تلك ايام مضت وانقضت ولا سيما بعد ان احسن اليَّ زوجها بما جعلني مديوناً لهُ بالجميل

قال الشاب وهل تزوجت ابنتها ويتغريد ود

اجاب .لا ياسيدي أن السيدة ويتغريد لا تحب الزواج ولا تريد ان تفاتح بهِ حيث كانت في طفوليتها تحفظ لغلام ربي في بيتهم واسمهُ تيمس درايل حبًّا عظيماً وقد فقد الغلام المذكور وجميع الظواهر تدل على موتهِ منذ تسع سنوات وهي متصلبة في رأيها لا ترتضي عنهُ بديلاً امينة على عهوده حريصة على ودادهِ

اجاب الشاب بصوت يرتعش اضطراباً ان في ذلك لكل العجب

قال نعم فان من الصعب وجود امرأة ثابتة الى هذا الحد ولكن ما قلتهُ لك عن ويتغريد حقيق فقد رفضت ايدي كثيرة معتبرة

اجاب الشاب تكلمت عن غلام ربي في بيت المستر ود ولم تذكر لنا شيئًا عن رفيقهِ فهل لك ان تاتينا بالصحيح من اخباره

فصاح كنيبون متعجبًا تعني جاك شبارد

قال نعم اياه اعني

اجاب يستدل من هيئتك وثيابك انك عشت غريبًا عن هذه الديار ولولا ذلك لما وجهت اليَّ مثل هذا السوال فجاك الذي تسأل عنهُ هو اليوم نكبة انكلترا باسرها فلا حديث عندنا الا احاديثهُ فالنساء اضاعت لاجلهِ النوم والرجال مخافة كالو باء فهو اشهر لص ظهر في بريطانيا العظمى وغاراتهُ معلومة من الجميع وظل حماية جوناتان ويلد وارف عليهِ

قال الشاب وهل ما زال الشقي جوناتان ويلد مفتش البوليس السري في دست سلطتهِ

اجاب نعم بل زادت سلطتهُ الى ما لا يتصورهُ الوهم فهو يتلاعب بالناس والحكومة ولا يجسر احد على مقاومتهِ فمنذ بضع سنوات اي سنة ١٧١٥ في بدء المؤامرات اليعقوبية كان من جنوني ان تهورت في دسائس هذا الحزب فنصب لي جوناتان فخًا دنيًا قادني بهِ الى سجن نيقكات ومن العجائب خروجي منهُ سالمًا وقد شكوتهُ الى الحاكم بدعوى اغرائهِ جاك شبارد على اختلاسي وقدمت

البراهين القوية على صحة كلامي فذهبت شكواي صرخة في وادٍ ولم يسمع لي احد وكان جوناتان المذكور بالاتفاق مع السير روفلاند قد انتشل تيمس درايل وهو الغلام الذي تبناه المسترود وسلمهُ الى ربان مركبه وامره ان يلقي بهِ الى البحر فشكاه المسترود الى الحكومة وتوصل الى اثبات هذه الحقائق بالدلايل الواضحة ولكنهُ لم يستفد شيئًا لان العدل في ايامنا فاقد القوة ويقال ان جوناتان مديون بهذه الرعاية الى حماية ويلبول ناظر الضابطة لانهُ باحتياج الى خدامتهِ وقد اوقف بعد ذلك السير روفلاند ايضًا بتهمة ارتكابهِ لخيانة عظمى مدعيًا انهُ من روساء الحزب اليعقوبي ولكنهُ اخلى اخيرًا سبيلهُ بمبلغ عظيم من المال

قال الشاب هل لك ان تزيدنا ايضاحًا عن احوال السير روفلاند

اجاب ان غاية ما اعلمهُ عنهُ هو انهُ انسحب بعد انفشال حزبهِ الى املاكهِ في استونهال بقرب منشستر ومنذ ذلك الحين لم يسمع عنهُ خبر فهو ملازم للعزلة راضٍ بالانفراد فتامل الشاب قليلاً ثم عاد فقال هل لك ان تتكرم عليَّ قبل انصرافي بعنوان محل المسترود

اجاب لبيك فالمسترود يقطن مسكنًا جميلاً في البرية يدعى «دولبس هيل» على مقربة من قرية ويلبسدين واذا طلبتهُ اليوم تجدهُ في بيتهِ حيث لا يرى في لوندرا الا قليلاً وقد حضر امس لزيارة السيدة شبارد المسكينة في «بيدلام» مستشفى المجانين

فصاح الشاب تعني السيدة شبارد والدة جاك . . . . فهل هي مجنونة

اجاب بحزن نعم ياسيدي فان تصرفات ابنها القتها في هذه الحالة الكئيبة فكادت تموت لدى علمها بسرقة جاك لسيده ود وياحبذا لو ماتت وقتئذٍ ولم تذق مرارة العذاب فهي لا تتكلم في جنونها الا عن زوجها وابنها وجوناتان ويلد فانها تنسب اليهِ جميع مصائبها وتقول انهُ يبوع الامها واوجاعها ولطالما تشفقت عليها من صميم الفؤاد اما المسترود فلا يقتصر على التشفق بل يحسن اليها بما تصل اليهِ اليد وقد قال لي اكثر من مرة انهُ لولا امرانهُ لاتى بها الى بيتهِ فمثل هذا الرجل يدعى بالمحسن ويحمد على اعمالهِ

فبقي الشاب صامتًا ومسح بمنديلهِ دمعة تترقرق على خده ثم استأذن بالانصراف فاوقفهُ الموسيو كنيبون وقال هل يسمح لي سيدي بمعرفة اسمهِ

وقبل ان تمكن الفرصة الشاب من الجواب على هذا السوال فتح الباب ودخلت امراة تمتاز عن غيرها بجمال طلعتها وعظمة تركيب اعضائها فدنت بدلال من كنيبون ثم اشارت بالتحية الى الشاب الغريب وقد نظرت اليهِ نظرًا معنويًا يحتمل التعليل

فخجل لذلك الموسيو كنيبون وقال الا ترينني في شغل شاغل مع الخواجه ياعزيزتي ماجوت

قالت ومن يكون هذا الخواجه وما اسمهُ

اجاب لااعرفهُ فهو غريب عن انكلترا

فتاملت بول ماجوت الشاب بعين الرضا . وقالت يا لله ما اجملهُ وما الطفهُ

فاحمر الموسيو كيبون حياء وصاح ما هذه القحة يابول وكيف تجسرين على ايراد مثل هذه الالفاظ بحضوري

قالت ان ارتباطي معك لايفيد امتناعي عن النظر الى الغير ولاسيما مثل هذا الشاب الجميل

قال ما دام هذا امكانك من الادب فخير لك ان نتفارق فاخرجي من منزلي

اجابت احفظ اوامرك لنفسك فلا تصدرها الا الى من يطيعك ولا تطمع مني بانقياد اعمى كانقياد السيدة ود

فصاح كيبون اخرجي حالاً والا عاملتك بما تستحقين

فقهقهت ضحكًا وقالت تمم بكلامك ان كنت رجلاً

فاستشاط غضبًا وقبض على يدها يريد اخراجها عنوة فذهبت اجتهاداتهُ عبثًا فعادت عليهِ بالخزى اذ دفعتهُ بقوة فسقط مدحورًا الى الوراء ورطم بشدة المائدة فتبسمت وصاحت هاك امثولة جديدة فاحفظها ولا تعود فترفع عليَّ يدًا حيث كان الاولى بك ان تذكر يومًا خلصتك بهِ من ايدي اربعة من انفار الضابطة يوسعونك ضربًا وكل منهم قادر على سوقك ذليلاً الى سجنك مما كان سببًا في ارتباطي معك

فنهض كيبون وقال بربك عودي الى عقلك

قالت لا . لا . . اني تعبة بمرافقتك وقد عولت منذ الان على الرجوع الى مصاحبة حبيبي جاك شبارد فهو خير لي منك . واذا تنازل هذا الشاب الغريب الى قبول مصادقتي خرجت برفقتهِ

قال اذهبي الى حيث تختارين انما لااظن الخواجه يرضى بمصاحبتك وقد شاهد من اعمالك ما يستدل منهُ على صفاتك

فرمقت الشاب تسحره بالحاظها وقالت لاتصدقهُ يا سيدي فهو كاذب يريد لي شرًا وستجد مني امرأة مطيعة تدفع عنك غارة الاعداء عند الحاجة ولا تخالفك في شيء وسل عني جاك شبارد فينبئك صدقًا

فاعتذر لها الشاب عن رفضهِ لطلبها وشكر للموسيو كيبون معروفهُ وجميلهُ وخرج فاتخذ لهُ جوادًا وانطلق الى حيث يقطن المسترود و بينما كان مجدًا في طريقهِ متحيرًا في افكاره واذا خيالان مرَّا بجانبهِ ووقفا سوية على بعد بعض خطوات منهُ وكان الواحد منهما قوي البنية شديد السمرة قبيح الهيئة والثاني شابًا في الواحدة والعشرين من العمر مرتديًا بثوب خيال من الجوخ الاحمر بصدرا ازرق مزركش بشرائط عريضة من الذهب وصدرية من الحرير الاخضر مطرزة بالفضة

وقبعة يعلوها ريش مائلة الى اذنهِ وهو صغير القامة رقيقها حسن التركيب قصير الشعر ووجهة المصفر يزيد في رونق وبهاء عينيه الكبيرتين اللامعتين وفي الحال عرف الشابان بعضهما



جاك شبارد

وعمد الشاب الجديد الى مقاتلة الاخر ولكنهُ عدل عن عزمهِ بغتةً فاشار اليهِ بان يتبعه وانقلب راجعاً مع رفيقهِ وقد ساقا جواديهما مسرعاً بما يحكي سرعة البرق ولم يدفع الشاب الغريب من خلفهما

يتبع اثارها وكان جواده دون جواديهما في سرعة العدو فقصر عن لحاقهما و بقي متابعاً لها بطره الى ان احتجبا عنهُ على مسافة قريبة من قرية و بلسيدين ولدى وصوله اليها سال جماعة من الفلاحين عن منزل المسترود فاشار احدهم الى رابية عالية تحدق بها الاحراش من كل الجوانب على بعد ميل من القرية وقال هاك منزل المسترود بحجبهُ عنا الحرش العظيم الذي تراه امامك

فشكر الشاب الفلاح وجد في طريقهِ واذا فلاح اخر يقول لهُ بحقك مهلاً واخبرني هل سمعت في زمانك شيئاً عن صانع المسترود الشهير

فسألهُ الشاب واي صانع تريد

قال اريد جاك شارد الذي ملأ صيتهُ الافاق فان امهُ جاورتنا في هذه القرية زمناً مديداً ولكن اعمال ابنها القتها في الجنون فنقلت الى المستشفى

قال فلاح ثانٍ . لم يقسم لي الحظ بمشاهدة جاك شارد في حياتي ولكني سمعت عنهُ كثيراً ووصف بحضوري عدة مرار فرسمت صورتهُ في ذهني ومن المؤكد الثابت انهُ هو عين الشاب الذي نظرتهُ الان يترجل عن جوادهِ في فندق سيكلوش

قال ثالث ان كان قولك صحيحاً هيا نقبض عليهِ ونقتسم فيما بيننا الجائزة الثمينة التي اعلنت الحكومة اداءها الى من يوقعهُ

قال اخر . ما كل ما يتمنى المرء يدركهُ فجاك شارد شجاع باسل لا يستخف بهِ ولا يقدم على خطر يقاومهِ الا الجاهل الاحمق فهو مدجج بالسلاح الى اسنانهِ ويصحبهُ في العالم لص مخيف لا يختلف في شيء عن الشيطان اما لدى طريقة خير ينال بها المأمول . . . . . وكان الشاب قد تقدم في سيرهِ فلم يسمع تتمة الحديث بل اكتفى منهُ بالقليل ومر بطريقهِ بقرب فندق سيكلوش فنظر جوادين مسرجين يقودهما غلام صغير ولمح الحيا ليس الذين صادفهما على الطريق . تمشيان في ساحة الفندق الداخلية فلم يوافهما الى محل وجودهما بل اقتصر على كتابة تذكرة ارسلها اليهما وقد ضمنها الكلمات الاتية . عرفيما من اهالي القرية فالحذار لا تمسكا . ثم ساق جوادهُ نحو الرابية فعلاها في بضع دقائق وكشف لهُ المنزل فقصده وكان الوقت مساء والمسترود المذكور جالساً على مصطبة في مدخل الممر الموصل الى المسكن وقد تغيرت هيئتهُ بكرور الزمان فانحنى ظهره وتجعد وجههُ وضعف نظره ولكنهُ كان جيد الصحة طلق الوجه فرحه وشعر بتقدم خيال منهُ فنهض واقفاً وللحال بادره الشاب بالكلام وقال اذا لم يخطي نظري اكون الان بحضرة صاحب المنزل متشرفاً بتحيتهِ

اجاب اصبت يا سيدي فانا اوفان ود صاحب المنزل ومستعد لاتمام ارادتك

قال الظاهر انك لم تعرفني بعد

اجاب . لا . لان نظري ضعف كثيرًا عن السابق فاصبح لا يعينني على تحقيق الاشباه لاول نظرة وفضلاً عن ذلك فالوقت ظلام

فترجل الشاب عن جوادهِ وقال لا تلبث ان تعرفني فاني حامل لك رسالة من صديق قديم

قال مرحبًا بك ايًا كنت ثم نادى خادمًا له يدعى جيمس وقال له سر بهذا الجواد الى الاصطبل واحسن رعايتهُ وتقدم بضيفهِ نحو المنزل فدخل بهِ حديقة تظللها الاشجار والزهور وتسلق واياه سلمًا عريضًا متسعًا انتهى بهما الى قاعة المحادثة حيث وجدا فيها السيدة ود وبجانبها فتاة بديعة الجمال فقدمها ود الى ضيفهِ الجديد وقال هاك امراتي وابنتي

فتأملت السيدة ود في هيئة الشاب وخطراتهِ وكانت لا تزال تحفظ للظرفاء من الشبان انعطافًا خصوصيًا فبالغت في اكرامهِ واحترامهِ اما الابنة فلم تخرج عن خطة الاعتدال في سلامها ثم جلس الجميع فقال المستر ود ان حضرة الخواجه يحمل الينا رسالة من صديق قديم

فسألت السيدة ود . . وممن

قال الشاب من صديق لربما يكون قد نسي منكم لتقادم عهد الفراق بينكم اما هو فلا ينسى الى الابد احسانكم ومكارمكم

ولدى سماع ويتغريد لصوتهِ علاها الاصفرار فارتخت من يدها منديلاً كانت تطرزه ونظرت اليهِ جامدة فقدم لها ذخيرة وقال اسمحي لي بان ارد اليكِ تذكارًا اخذ منك وكان تعذية كبرى لآخذه في شدايده . . . فهل تذكرينهُ

فصاحت الفتاة واراباه

قال ود متعجبًا ماذا الذي اراه

فارتمى الشاب عليهِ يقبل يده ويبللها بدموعهِ وقال قد تغيرت كثيرًا يا ابي فلم تعد تعرفني فخنقت انجار الدموع وصاح . . انت ولدي انت تيمس درايل

فصاحت السيدة ود . تيمس درايل انت

اجابت الفتاة وقد القت بنفسها على اخيها تضمهُ اليها بذراعيها نعم هو . . نعم هو . . اخي . . اخي

فصاح المستر ود تعال اليَّ يا ولدي . . يا حبيبي تيمس لاعانقك

قالت السيدة ود لا بل اليَّ اولاً . . الى احضاني يا تيمس . . الى احضاني

ويصعب علينا هنا استيفاء الشرح عما ابدت السيدة ود من الملاطفة لتيمس درايل وما وجهتهُ اليهِ من السؤالات التي لا تعد وما ظهر على ويتغريد من مظاهر الانسلاب باخيها وداخل قلب ود من الفرح المزيد برويا ابنهِ فبدا يقفز كالاطفال فيما حول الغرفة مكررًا قولهُ ولدي . . ولدي ثم مد الطعام من كل شكل فاخر ودارت قناني النبيذ الجيد وكانت القلوب طافحة

بالافراح بما لا تسعمعهٔ طعاماً وتيمس درايل جالساً بقرب ويتغريد وقد وضع يده بيدها واخذ يقص عليهم سياق خبره . ونحن نورده للقراء ملخصاً بما صورتهٔ

زج فان كالبيروك بتيمس درايل من على ظهر المركب طبقاً لاوامر جوناتان ويلد الى قاع البحر فكاد يختنق بالمياه لولم يداركهٔ صياد فرنسوي فينتشلهٔ من عباب الامواج ويضعهٔ في قاربهٔ الصغير ويتجه بهِ الى اوستاند وهناك اجهد النفس عبثاً في طلب مراسلة اصحابهِ في انكلترا واحتمل المصائب والمشاق الكثيرة ثم قيد بظروف غير عادية الى باريس وقدم الى الكردينال ل ديبواس فاتخذه كاتماً لسره ودام سنيناً عديدة في هذه الخطة الى ان نظره فيليب دورليان فادخلهٔ في سلك الضباط وبقي في هذا السلك مستظلاً بحمايتهِ الى ان مات فاستعفى من خدامتهِ وعاد الى انكلترا

وكانت ويتغريد تسمع الخبر . وقد سالت من اعينها دموع الفرح والحب تترجم عن شعائر الوداد الصادق ثم فاضت بعد ذلك المكالمة في شان رفيق تيمس درايل في طفوليتهِ وصبوتهِ وهو جاك شبارد فلم يسع المستر ود اخفاء اسفهِ وكدره لمصاب الام الناشيء عن سوء اعمال الابن

فقالت السيدة ود ان ما تراه من مصابها كان منتظر الحلول منذ زمن قديم فلم اعجب منهٔ وانما العجب ان يهمل ابنها بدون ان يشنق الى هذا اليوم وعندي ان امهٔ مصابة بما تستحق ولا وجه للتشفق عليها

فصاحت الصبية ما هذا الحقد يا امي

اجابت اني ابغض السيدة شبارد بغضاً شديداً وما زلت للان اقول ولا اخشى في كلمة الحق لومة لائم بانها مستحقة لما نابها من المصاب

قال المستر ود . بالله لا تكوني صخرية الفواد بل اشفقي واصفحي

اجابت ان فشارك لا ينتهي طول العمر فقد صفحت كثيراً وتشفقت كثيراً وما برحت للان الوم نفسي لتقاعدي عن شنق جاك شبارد بعد سرقتهِ لنافي ويكستر بت ولربما تدعو هذا التهامل بالاحسان والشفقة والصحيح انهٔ ضعف مقرون بالجبن فانظر يا حضرة المستر ماذا كان جزاؤنا عن الصفح واي لص نجينا من المشنقة لخراب العباد

قالت الصبية الامل بالله يا امي ان يعود جاك عن شروره ويندم عن هفواتهِ

اجابت . انهٔ لا يندم الا في تيربين (محل المشنقة) وخذي كلامي نبوة صادقة لا تلبث ان تحقق بالعمل

واراد تيمس درايل عدة مرار ان ياتي على ذكر لقياه بجاك في الطريق ولكنهٔ احجم عن الكلام بما راه من حدة السيدة شبارد وطلب المستر ود الى تيمس ان لا يبرم عملاً قبل ان يطلع على افكاره ويستمد بمشوراتهِ مما اجل ايضاحه الى اليوم التالي لان وقت النوم كان قد ازف فتبادلوا تحيات

الوداع وقبل الافتراق اقبلت السيدة ودنحو تيمس تقبلة وهي تقول الى الغد . . الى الغد يا ولدي فلدي اشياء كثيرة اريد ان اقصها عليك ولكن وا اسفاه ان الغد كان بعيداً عنها فقد كتب لها ان لا تراه

ثم صعد المسترود بتيمس الى غرفته يدلة عليها وانصرف وبقي الشاب وحده متأملاً فشعر من قلبه بخفقان السرور لدى مشاهدته لصورته معلقة على الجدار وهي منسوخة عن الرسم الذي خطته ويتغريد بيدها منذ تسع سنوات بماجدد في فؤاده الذكرى فظهرت دموع الفرح في عينيه وعند ما اسند راسة الى وسادته تذكر مقابلتة لجاك شبارد فزجره ضميره لتقاعده عن تنبيه المسترود الى ذلك وتحذرًا من مكيدة يضمرها لة الغيب واتسع عليه مجال القلق الى حد ان نهض من رقاده واعتمد على مداركة ما فات من قصوره وبينما كان مهتمًا بفتح الباب اثقلت عليه شكوكة وقال في نفسه ان جاك لا يقدم على مثل هذه الجناية فيعاود سرقة سيده المحسن الى حياته فرجع الى فراشه مطمئنًا واكتفى بان وضع سلاحه تحت وسادته تهيأً لما ربما يطرأ من الحوادث ونام مرتاح البال ساكن الخاطر

ليلة مخيفة

كانت تحسبات ومخاوف تيمس درايل صحيحة الاساس والخطر الذي توهمة قريبًا منة بل وعلى الابواب فان جاك شبارد لدى تلاوته للتذكرة المرسلة اليه من تيمس درايل اندفع مع رفيقه الى خارج القرية وتوغل واياه في الحرش المحدق بمنزل المسترود حيث وجدا من ظلمة الليل الحالك معينًا لها على انفاذ مقاصدها الشريرة فانتظرا الى ان تقدم الليل وارخى سدوله الكثيف وانحدرا الى المنزل وبوصولها الى حائط الجنينة وقف جاك شارد بغتة وقال يخاطب رفيقة بصوت منخفض لا اقوى على ارتكاب هذه الجناية يا بوبلو فاني في حاجة الى القلب فلنرجع على الاعقاب

اجاب بوبلو وماذا يقول عنا جوناتان ويلد يا حضرة القبطان اذا عدنا اليه صفر اليدين وانت تعلم حرصة على انفاذ هذه المهمة وكيف تكون محا لفتنا لارادته خطرًا علينا

قال جاك ماذا يضرني ان تكدر جوناتان ويلد او رضي فان جميع رفاقي يخافون هذا الرجل اما انا فلا اخافة مطلقًا فهو لا يستطيع مخاصمتي وويل بل الف ويل لة اذا تجاسر يومًا على اهاجة غضبي والان اردد لك القول بان ضميري لا يطاوعني على انفاذ هذه الخطة

اجاب افعل ما تراه حسنًا يا حضرة القبطان فاني طوع امرك ولكني عالم بما ستقوله «ادجورث بيس» عنك مما لا ارضاه لك اذا رجعت من هذه الرحلة فارغ اليد

قال وماذا تقول

اجاب . تقول انا جزعنا فاحجمنا عن العمل خوفًا . . ولكن ما لنا ولها فلتقل ما شاءت فان

كلامها لا يهمنا . فاثرت هذه الملاحظة تاثيرًا عظيمًا في جاك شبارد فقال لا بل يهمني كثيرًا . .
فهيا الى النهاية

قال . صدقت يا حضرة القبطان فقد وعدت جوناتان ويلد والحرمطا لب بوعدة

اجاب . نعم وعدته وساقوم بوعدي فان جاك شبارد وان كان لصًّا لا يرجع بكلامه

قال نطقت بالحق والناس مجمعة على صدقك

اجاب جاك بصوت الآمر انما لي كلمة اقولها لك قبل العمل وهي اياك والحدة ففي الدار انسان لا اسمح بتكدير ولو مهما حصل

قال تريد ابنة المسترود

اجاب . نعم هي

قال وما رايك في من ينتشلها لك يا حضرة القبطان

اجاب . لا . . لا . . لا اريد ذلك وانما ان شئت ان نقدم للمسترود خدمة نشكر عليها فانتشل امرأته

قال . معاذ الله ولكن الويل لها اذا صادفتها في طريقي

اجاب . هل نسيت اوامري فقد قلت لك وما زلت اردد القول اياك والحدة ثم ترجلا عن جواديهما وربطاهما في شجرة وتقدما نحو المنزل وكان الظلام حالكًا بما لا يمكن من التمييز بين الاشباه وبعد مسير قليل نظرا ضوءًا من خلال النوافذ فتسلقا حائط الجنينة وتقدما الى اسفل المسكن حيث اخذ جاك شبارد من رفيقه الالات اللازمة وبدا يعالج نافذة ففتحت واندفع الاثنان منها الى الداخل فاشعل بو بلو قنديلة وعمدا الى مكاشفة الغرف فوجدا الباب الخارجي مقفلاً فاقتلعا قفلهُ وجردا ارجلهما من الاحذية وتسلقا السلم حفاة فانطلق جاك الى باب غرفة تيمس درايل يستجس اخباره ولما تاكد نومهُ اقفل عليهِ الباب من الخارج واتجه نحو غرفة المسترود وكان بابها مقفلاً من الداخل والمفتاح منسيًا فيهِ فثقب في احد الواحهِ خرقًا استخلص منهُ المفتاح ثم فتح الباب وستر وجههُ بكريشة سوداء وانسل الى الغرفة وهو يحمل في اليد الواحدة قنديلاً وفي الثانية فردًا فوجد الزوجين نائمين في فراشهما وقد علت اصوات شخيرهما وللحال سلم القنديل الى بو بلو واخذ يعالج باب الخزانة فصادف حظ غيره من الابواب وبينما كان يملا جيوبهُ بالموجود من الذهب والفضة والجوهرات كان بو بلو يجمع اواني البيت الفضية فوضعا المسلوب في كيس كبير وخرجا يطلبان السلم واذ سمعت صيحة في المنزل واندفعت السيدة ود في اثر السارق وكان بو بلو مؤخرًا بحملهِ عن رفيقهِ فاطفأ جاك القنديل وامرهُ بان يسرع ويتبعهُ ولكن السيدة ود كانت قد ادركتهُ فتمسكت بالكيس وصاحت النجدة . . النجدة . . ولم يهن على

السارق التخلي عن المسلوب فاستل سكينة وصاح بها اتركيني والاقتلتك فجددت السيدة ود الصياح . . اللصوص . . اللصوص . . القتلة . . القتلة . . القتلة

فصاح جاك دعها يا بو بلو وهيا للفرار ولكن الامر جاء متاخرًا الان بو بلو كان قد سبق فاغمد سكينة في مقتلها

وكان اهالي المنزل قد انتبهوا على صوت الصياح وفي جملتهم تيمس درايل فتقلد سلاحه وهرع الى الباب فوجده مقفلاً وبعد تعب مزيد تمكن من خلعهِ واذا الخدم قد اقبلت والمشاعل في ايديها فكشف ضوءها عن السيدة ود ممدة على الارض وهي مخضبة بدمائها وبقربها ويتغريد بين ذراعي امرأتين مغشيًا عليها والمسترود منتصبًا وقد جمد انسان عينيهِ من الخوف واسدل يديهِ الى الارض لا يستطيع حراكًا

جاك شبارد وجوناتان ويلد

بعد مرور ساعة من الزمان على الفاجعة المخيفة التي سبق ايرادها زار جاك شبارد وبو بلو جوناتان ويلد في منزلهِ وكان الوقت اواخر الليل فوجداه في قاعة الاستقبال مكبًا على ضبط حساباتهِ ومطالعة سجلاتهِ ولدى دخولهما عليهِ القى بقلمهِ الى الارض وتقدم نحو جاك متبسمًا وقال جئت على حين كنت افتكر بك يا جاك . . فماذا جد علينا . . هل ذهبت الى دوليس هيل . وهل نجح مسعاك

فجلس جاك حزينًا على كرسي وقال لا . لم انجح

فصاح جوناتان وكيف ذلك . . ان مما لا يحتمل التصديق ان يسمع عن جاك شبارد مثل هذا الفشل

قال لا بل مرادي ان اعلمك بان نجاحي زاد في المعنى حتى نقص

اجاب اني لا افهم الغازًا فاوضح عباراتك

فاشار الى كيس مملوء بالذهب وضعهُ على المائدة وقال ان هذا الكيس يتكلم عني فاسألهُ ينبيك بما كلفنا من الدماء

اجاب جوناتان بسكون . . ماذا تعني بكلامك . فهل ذبحت المسترود

قال لا . . ولو ارتكبت مثل هذه الجريمة لما وجدتني في بيتك ولكن الدماء التي سفكت هي دماء امرأتهِ

قال بو بلو اني اجبرت على قتلها حيث بادئتني بالشر فالتزمت ان ادافع عن نفسي

اجاب جاك بخشونة كيف كان الحال فقد قطعت يا بو بلو منذ الان كل علاقة بيننا لانك خنتني وعصيت اوامري فنغصت باعتدائك عيشي

قال .لا . .لا اظنك تفعل ذلك يا حضرة القبطان فانت احلم من ان تخلى عن مربيك لاشكاته امراة تعمدت فضيحتنا واذيتنا

اجاب جاك كل شيء حسم بيننا وفي هذه الليلة افارقك يا بو بلو الى الابد

فصاح ولكني لا اتركك ابداً فاني احبك كولدي وساتبعك الى حيث تذهب ككلب ولا يمكنك ان تطردني . . لا . . لا . . مطلقًا

قال جوناتان اني اوافق جاك على استقباحه عملك يابو بلو ولكني لا اعدم سبيلاً للاصلاح بينكما اما الان فالانسب لكما ان تختفيا عن العيان وهاكما منزلي اقدمه لكما ملجاء امينًا

قال جاك لاحاجة لي بعد في منزلك فاني تعبت من اثقال هذه العيشة الشنيعة المحفوفة بالمخاطر وقد اعتمدت ان امتنع عن عمل الشر واسافر الى بلاد اجنبية

قال بو بلو وانا لا اتاخر عن ان الحق بك ياحضرة القبطان

قال جوناتان يقتضي ان تعلما بانكما لا تستطيعان مبارحة انكلترا بدون اذني

اجاب جاك كيف . . هل في نيتك ان تعارض في سفري

قال قلت وما زلت اكرر القول بانكما لا تبارحان انكلترا بدون اذني ومن الان احذر عليكما الامتناع عن مهنتكما او السفر الى بلاد اجنبية فانكما ترغبان في ان تعيشا باستقامة لا اسمح لكما بها فانتما عبداي ومن واجبات العبد اطاعة مولاه

فصاح جاك عبداك

قال جوناتان نعم وسابعث بك الى المشنقة لاول اشارة يستدل منها على عصيانك

فنهض جاك واقفًا وهو يزبد غيظًا كالنمر المجروح وصاح اسمع لي ياجوناتان فقد آن اوان اطلاعك على الحقائق فتعلم مع من تتكلم فاني منذ الان اخلع نيرك الثقيل واكسر سلاسل قيودك التي كبلتني بها ولا اعرف لك حقًا عليّ والويل لك اذا حاولت مضرتي لانك تحت سلطاني وجاك شبارد يزعزع اركان جوناتان ويلد

فصاح بو بلو احسنت احسنت وتبسم جوناتان بما يشف عن احتقاره فعاد جاك الى اتمام حديثه وقال انما بشرط واحد ياجوناتان يضمن عدم انفصام عرى ارتباطنا

اجاب متهكمًا صرح بشرطك ان حسن لديك ياحضرة القبطان

قال ان الشاب الذي عهدت بوفيما سلف الى فان كاليرو كاي تيمس درايل عاد الى لوندرا

فصاح جوناتان كذب . . كذب . . لان تيمس درايل مات

قال جاك لا بل ما زال حيًا وقد نظرته بعيني وانا عالم بانك قادر على تقريره في حقوقه فاذا فعلت ذلك نذرت لك الطاعة الى الابد فاجب الان هل تتمم رغائبي

اجاب جوناتان حقيق ما تقولهُ . . . .

فقاطع جاك حديثهُ وصاح بهِ اجب نعم او لا . . نعم او لا

اجاب جوناتان بصوت مخيف انك لا محالة فاقد للشعور فقد استخففت بي وسوف تشعر بثقل ساعدي فاني حلفت يمينًا باماتتك شنقًا وما امهلتك الى الان الا اعتبارًا لخداماتك التي قدمتها لي ولا بد من انفاذ اليمين وتاخير العمل لم يكن الا على سبيل التأجيل

قال جاك على سبيل التاجيل

اجاب نعم ولكنك جئت الى منزلي بجانبي وسامهلك الى ان تخرج منهُ حرا وازيدك على ذلك ساعة ايضًا ارسل في نهايتها رسلي من خلفك يجدون في اثارك

قال جاك انك لا تستطيع معارضتي في سفري فاحفظ امهالك لنفسك وثق باني لا اختفي من وجه رجالك

اجاب جوناتان وهو ينظر الى ساعتهِ اني امنحك ساعة . . ساعة واحدة . . فكن على بصيرة

قال تجدني بعد ساعة في دسكرة النقود

فسحب بوبلو فردهُ وقال . هل تريد يا حضرة القبطان ان احسم بينكما هذا المشكل اجابهُ لا تتعب ضميرك في ذلك فهو لا يجسر على انفاذ تهديداتهِ وخرج من القاعة فعمد بوبلو الى لحاقهِ فنادى جوناتان بهِ انصح لك ان لا تقاوم سلطتي

قال سافعل كما يفعل سيدي القبطان

وبعد هذه المواجهة بقليل وصل جاك الى دسكرة النقود وكانت ارجوت بيس بانتظاره فمدت لهُ الطعام وبعد ان اكلا سوية دخلت عليهما فرقة من الضابطة يتقدمها كيلت ارنولد وابرهيم ماندبز فسلم لهما جاك عن طيبة خاطر بدون ان يبدي ادنى مقاومة ولجأ بوبلو الى سلاحه يريد الدفاع عن سيده ولكنهُ امتنع عن العمل باشارة وجهت اليهِ منهُ فركض مسرعًا الى خارج الدسكرة وكان جاك قد اقترن من ادجورت بيس فقبض عليهما معهُ وسيق الاثنان الى سجن كلير كانويل الجديد

فرار جاك من سجن كلير كانويل

راى سجان السجن الجديد لما يعهده في جاك شبارد من القوة والعتو ان يحجر عليهِ في غرفة صغيرة تسمى لمزيد حصانتها بغرفة نيفكات ويكبلهُ بالسلاسل الحديدية الثقيلة وكانت الغرفة المذكورة لا تزيد عن عشرة اقدام في الطول وخمسة في العرض وارتفاعها اثنى عشر قدمًا وعلى مقربة من السقف نوافذ مصانة بقواطع من خشب السنديان وقضبان ضخمة من الحديد ولزيادة التحرس ربط السجين بسلسلة حديدية لا يتجاوز طولها حدود سجنهِ ووضعت معهُ ادجورت بيس امرأتهُ

تقاسيهُ في العناء والشقاء وكانت سمات التجلد وعدم الاهتمام المقرونة بمظاهر اللطف تلوح على وجهه بما اكسبهُ رضاء حراسهِ عنهُ فكانوا لا يمنعون عنهُ شيئًا ما تحبهُ نفسهُ وانتشر خبر ايقافهِ في المدينة فكان لهُ تاثير عظيم في القلوب لما هو مشهور عنهُ من انواع الارتكابات وفي جملتها مقتل السيدة ود ونشرت الاعلانات في طلب رفيقهِ في الجناية بوبلو تدفع جزاءً عظيمًا لمن يوقفهُ او يودي عنهُ افادة تاول الى ايقافهِ

و بعد مرور ثلاثة ايام على جاك شبارد في سجنهِ حضر شيخ وقور متفرجًا يستدعي مواجهتهُ وكان وقتئذٍ محرمًا على الناس الدخول اليهِ لما كان يصرح بهِ في كل أونة من اعتماده على الفرار ولكن وقارة الشيخ شفعت بهِ فادخل عليهِ مصحوبًا بالسجان فتبادل وجاك الكلام يعزيه على حالتهِ ويصبره على بلائهِ ثم التفت الى ادجورث بيس يخاطبها بالفاظ ابوية وينصح لها الصبر والتاني وفي اثناء ذلك بدا من حركات جاك ما حول اليهِ انتباه السجان فانتفع الشيخ بتغافلهِ عنهُ ورمى الى ادجورث بيس بلفافة صغيرة اخفتها في حضنها ثم ودعها وانصرف وكان الرجل المذكور بوبلو وقد جاء متخفيًا بزيّ شيخ ليتمكن من مواجهة جاك ولما خلا المكان بالسجينين ضحك جاك شبارد ضحكًا شديدًا وقال ان بوبلو صديق صادق لا تنكر محبتهُ لي ثم سال امراتهُ عما اذا كان قد اتى لها بالالات المطلوبة فاعطتهُ اللفافة وقالت هاك ما جاء بهِ

فنظر اليها واذا هي تحتوي على مقص ومبرد ومنشار فصاح احسنت يا بوبلو احسنت حيث اصبح في وسعي الان ان ابرهن وانت لجوناثان ويلد باني لست ممن يصبر طويلاً على مضض البلوى فوا حرمة شرفي لابد من ان ازوره في بيتهِ قبل صباح غد واحاسبهُ على اعمالهِ فان السجن لمن كان مثلي قادرًا على الفرار في كل حين بيت سرور تنجلي بهِ الهموم وبعد ذلك دخل السجان وباشر على غير عادتهِ البحث المدقق في خفايا الغرفة ولما لم يجد شيئًا خرج مطمئن البال وكان جاك قد شعر بخطواتهِ فاخفى الالات ولكنهُ عاد فاظهرها بعد انصرافهِ وبدا في المهمة فاستعان بالمبرد على التخلص من قيوده ثم صعد بمعاضدة امراتهِ الى احدى النوافذ التي مر عليها الكلام وكان الفرار منها صعبًا فزادتهُ الصعوبة جراءة واقدامًا فاعمل المبرد في قضيبين من الحديد واقتلعهما ولم تكن تلك نهاية المصاعب بل جدَّ عليهِ منها ما ليس بالقليل حيث كان المراد كسر عارضة من الخشب سدت بها النافذة وهي بسمك تسعة اصابع تقريبًا فتسلح جاك بالثبات وفي اقل من ساعة تمكن من ثقب خروق عديدة متقاربة من بعضها في احد اطراف العارضة المذكورة ثم فعل مثل ذلك في الطرف الثاني بما اعانه على اقتلاعها من الجدار وكان العمل الاخير متعبًا فاستكن برهة في طلب الراحة ثم عاد فجدل من ثياب امراتهِ حبلاً واحكم ربطهُ في احد قضبان النافذة وبعد عناء كثير تمكن من رفعها وهي ممنعًا عليهِ اخراجها منها ولكنهُ تغلب اخيرًا على الموانع الكثيرة ونجح

في مسعاه فلف الحبل على جسم امرأتهِ وتمسك باليد الواحدة بقضيب النافذة وارسل بالثانية الحبل بما فيهِ الى اسفل فوصلت الى الارض سالمة وتبعها جاك وثبًا فصادف حظها من السلامة وإنما حال دون النجاة مانع اخر لم يكن اخف خطرًا ولا اقل صعوبة مما تقدمهُ وهو تخطي جدار يحيط بالسجن احاطة السوار بالمعصم ويبلغ ارتفاعهُ عشرين قدمًا فراى جاك في جنب هذه الصعوبة الجديدة ان يقتحم خطة اليأس فانسل بتمهل نحو الباب وادخل مقصةً فيهِ يستخدمهُ كسلم تسلق بهِ الجدار بعد معاناة الاخطار وعندما بلغ اعلاه ادلى الى امرأتهِ الحبل وانتشلها ثم حول بها الى الجهة الثانية من الحائط فبلغت الارض صحيحة وانحدر بدوره في اثرها

تخفي جاك شبارد

كانت تمتد خلف جدار السجن برية فسيحة متسعة الجوانب في وسطها كهف يقطنهُ ناسك فحمل جاك امرأته الى ذلك الكهف لما نابها من انتهاك القوى ولما لم تستطع مسيرًا عهد بها الى عناية الناسك وانطلق نحو منزل جوناثان انجازًا لما وعد في سجنهِ من وجوب زيارتهِ لا يبالي بما يتهدده هناك من الاخطار

ودقت الساعة الثانية بعد نصف الليل وهو متخفٍ بالظلام الحالك يجد في طريقهِ واذا صوت ينذر بمسير افراس وراءه فاختفى وراء شجرة ينتظر الفرج فمر خيال بردا متسع يتبعهُ خيال اخر عثر جواده بجانبهِ فسقط بهِ الى الارض فلم يشعر بهِ الاول بل دام متابعًا سيره وقبل ان يتمكن الخيال الساقط من النهوض هجم جاك على جواده وانتشل من سرجه فردين . ثم انقض على الرجل وقبض على عنقهِ فحاول ان يجرد سيفهُ دفاعًا عن نفسهِ ولما لم يصادف نجاحًا صاح منسخطًا لاعنًا فعرف جاك من لهجتهِ انهُ كيلت ارنولد فوجه فرده نحو مقتلهِ وصاح بهِ هل تعرف من يقبض عليك يا شقي

اجاب كيلت مرتاعًا . . القبطان شبارد

قال . نعم هو . . وخير لك ان ترى في طريقك شيطانًا من ان تراني

اجاب . اشفق عليَّ يا حضرة القبطان فانك احلم من ان تنتفع بحالتي الحاضرة

قال لا تخف على حياتك

فارسل يده الى ما تحتهُ يحاول بها القبض على سيفهِ وقال اني عالم يا حضرة القبطان بانك لا تفعل معي سوءًا فانك اشجع من ان تقاتل رجلاً مجردًا عن سلاحهِ

فلاحظ جاك خيانتهُ وصاح بهِ اجمد يا خائن فان حركة ثانية من مثل هذه تتكفل باخماد انفاسك ثم استخلص السيف من وسطهِ وتقلد بهِ وعاد فقال والآن اجب وإنما الحذار من ان تكذب ما اسم الخيال الذي تقدمك

اجاب .السير روفلاند يا سيدي
فصاح جاك متعجباً السير روفلاند . .والى ابن تسير به في هذا الليل
قال .ان قصة الخبر طويلة وانا في ضيقة لا استطيع معها تنفساً فان شئت اعني على النهوض فلا احرمك منها نصيباً .فانهضهُ وقال تكلم الان فلم يجب وبقي متردداً بما اغاظ جاك فقال متهدداً اذا لم تطع الامر تلجئني الى التهور معك بما لا يسرك صنيعهُ
اجاب كيلت .لا تفعل فاني ذهبت من قبل سيدي جوناتان ويلد في رسالة الى السير روفلاند في مانشستر
قال وهل تتعلق رسالتك بتيمس درايل
اجاب كيلت. نعم . . ومن اين علمت ذلك
قال لا يعنيك انما اخبرني هل اعلمت السير روفلاند نعود تيمس درايل الى انكلترا
اجاب نعم وفي الحال اسرع بالمجيء معي الى لوندرا
قال كفى فتكرم عليَّ الان بثوبك لاني ودعت ثيابي في السجن الجديد
اجاب ما لنا ولهذا المزاح ياحضرة القبطان فاني لا اظنك تقدم على سلب من كان مثلي وكيلاً لجوناتان ويلد
قال لا بل بالعكس سأسلب جوناتان ويلد نفسهُ اذا وجدتهُ في طريقي فاطع امري في الحال
اجاب هاك الرداء فخذه
قال ادركني بالصدرية ايضاً
فاعطاها لهُ وقال الظاهر ان قصدك ان تميتني برداً يا حضرة القبطان
قال عجل بالجزمة
فصاح لا . . لا يمكنني ان اجود بجزمتي لاني في حاجة اليها لسوق الجواد
قال كن مطمئن البال في هذا الصدد لانك ستعود ماشياً على الاقدام فاسرع وساعدني في ادخالها الى رجليَّ
فانحنى كيلت انقياداً للامر ولكنهُ انغرَّ بمركزه الجديد فقبض على جاك من فخذيه وقام به يريد القاءه الى الارض فبادره جاك بضربة شديدة اغابتهُ عن صوابهِ وجرهُ الى حافة الطريق ثم تردى بثيابهِ ولبس شعره وقبعتهُ وامتطى جواده وانطلق في طلب السير روفلاند فوجده على مسافة غير بعيدة منهُ وكان قد استعاق رفيقهُ فرجع يتفقده ولدى رؤياه جاك ظنهُ كيلت ارنولد فقال مستفهماً ما الذي اعاقك عني . وكان جاك بارعاً في تقليد اصوات واشارات الغير فاجابهُ بمثل بصوتهِ كيلت ارنولد بما لا يفرق عنهُ شيئاً كابي الجواد وتعبت كثيراً حتى تيسر لي انهاضهُ قال

روفلاند يخيل لي اني سمعت اصواتاً في هذا الخلاء . اجاب نعم وقد تخيل لي نفس تخيلك والاصوب عندي ان نسرع في المسير بحيث نبتعد قريباً عن هذا المكان الخطر فهو مقام السالبين وقاطعي الطرق فلم يجب روفلاند بشيء و بقي مداوماً سيره وجاك شبارد يتبعهُ الى ان وصلا الى مسكن جوناتان وكان جاك خبيراً باحوالهِ وعوائده فترجل عن جواده وفتح الباب بمفتاح وجده في جيب كيلت ارنولد مع اوراق كثيرة ثم امر السواس ان يهتم بالخيل فتقدم نحو روفلاند يتزله عن جواده قائلاً هل توفقت في سفرتك يا كيلت

اجاب جاك على كل لم نضيع الوقت سدى والان هل جوناتان في المنزل قال نعم تجده في قاعة الاستقبال مع بو بلو . قال وماذا جاء بو بلو ليفعل هنا . اجاب ليسعى لدى مولاي في الصفح عن جاك شبارد ولا اظنهُ ينجح في مسعاه لان جوناتان حلف يميناً على شنقهِ قال جاك سوف نرى ثم مشى امام السير روفلاند يحمل بيدهِ قنديلاً كان معلقاً في الحوش وقال من هنا ياحضرة السير وصعد السلم وروفلاند في اثره الى ان بلغ قاعة الاستقبال فوضع القنديل على دكة هناك وفتح الباب وقال بصوت كيلت ارنولد حضر السير روفلاند فانتصب للحال جوناتان واقفاً على الاقدام وحيى ضيفهُ بتأدب مصنع و بالغ في اكرامهِ بما لم يصادف عليهِ جواباً فان السير روفلاند اقتصر على هز يد صاحبهِ وارتمى على مقعد وفي هيئتهِ ما يشف عن تعب مزيد

فقال جوناتان ما ظننتك تحضر الان ياحضرة السير فاسمح لي بان اصرف هذا الرجل (يريد بو بلو) و بعد ذاك لا يعيقني عن خدامتك شيء ثم وجه نظره نحو بو بلو وقال عبثاً تلح في طلب محو اسم جاك من سفر الهالكين فما كتب قد كتب واشار باصبعهِ الى الباب وقال هاك طريقك

اجاب بو بلو متاثراً حزيناً لي كلمة واحدة ارفعها اليك ياسيدي وهي ان تتنازل وتقبلني فدية عن جاك شبارد فتهرق دمائي بدلاً من دمائهِ

قال جوناتان وهل تفعل ذلك بعزم ثابت وقلب لا يتزعزع

اجاب نعم ياسيدي . . دمائي ولا دماءه فتاثر لذلك شبارد وملح من حب بو بلو واخلاصهِ

قال بو بلو هل ارتضيت بهذه المبادلة ياسيدي اجاب جوناتان لا . . . مطلقاً . . ولم اصغ الى كلامك في بادىء الامر الا لامتحن مقدار حبك وارتباطك بجاك شبارد . قال احبهُ . . احبهُ واجود بالغالي والرخيص في سبيل افتدائهِ فهو زهرة اللصوص ولا ابخل عليهِ بحياتي ثم توجه حزيناً نحو الباب وقبل ان يتخطى العتبة همس جاك في اذنهِ بصوتهِ العادي وقال انتظرني في المشى يابو بلو فصاح مرتاعاً يالله من ارى . قال جوناتان بخشونة ماذا دهاك فبهت بو بلو برهة ثم قال لا شيء . . لا شيء . . ياسيدي . . فعاد جاك الى مكالمتهِ بصوت منخفض . فقال اختبىء خارجاً وعندما اناديك اسرع اليَّ فاشار اليهِ بالخضوع وخرج فتبعهُ جاك يتظاهر

باقفال الباب ثم رجع الى القاعة وكان قد دار بين جوناتان والسير روفلاند الحديث الآتي على مسمع منهُ

قال جوناتان خلا لنا الجو ياحضرة السير فأمر بما تشاء فقد مضى على مواجهتنا الاخيرة زمن مديد لاينقص عن تسع سنوات وقد تغيرت عليَّ كثيرًا

وكانت السنون قد اثقلت على كاهل السير روفلاند فاحدودبت قامتهُ وجورت اعينهُ ووخط الشيب ذقنهُ فظهر شيخًا مسنًا ولكنهُ كان لايزال عاتيًا قاسيًا ولم تفقد اعينهُ شيئًا من حدة الشبوبية فاجاب بخشونة اني لم اتِ اليك لاستشيرك عن صحتي

قال اصبت فلنغير الحديث . . فاني موقن بانك تعجبت كثيرًا لدى علمك برجوع ابن اختك الى بريطانيا

فنظر اليهِ نظرة المتهكم وقال اظن ان تعجبك من ذلك يعادل تعجبي

قال فهمت مرادك ياحضرة السير ولكن اكد بان هذا الرجوع كاد يخيل لي انا في يوم النشور لاني كنت موقنًا بموت ابن اختك ولم يداخلني ريب في صحة يقيني .

قال وهل نظرتهُ

اجاب نظرتهُ فهو يقطن دوليس هيل بقرب قرية ويلسيدبن عند النجار ود الذي تبناه فيما سلف من الزمان

قال وما هي مقاصدك الجديدة بخصوصهِ

اجاب ان اعاملهُ كما عاملت من قبلي والده

فصاح روفلاند مرتجفًا اذًا تعمدت قتلهُ

قال نعم اذا ساعدتني على عزمي لااتاخر عن اعدامهِ لاني راغب في ان اتخلص منهُ ولكن الكلام وحده لا يكفي لنوال الغاية

اجاب روفلاند لا . لا ارتضي بهلاكه فيكفيني الى الان ما اهرقت من الدماء

قال . انك بامتناعك عن قتل ابن اختك تعرض بنفسك الى الجزا الشاق

اجاب روفلاند افر من وجه اعدائي الى بلاد اجنبية فاوفر على ذاتي اتعابًا كثيرة

قال وهل تزعم باني لااعارض في سفرك . . لا . . وحرمة شرفي . . فاني مغموس واياك في هذه الجناية ولا اسمح بمبارحتك لانكلترا قبل نهايتها

فجرد روفلاند سيفهُ وتقدم مزبدًا نحو جوناتان وصاح ويل لك فهل تجسر على تقييد حرية ارادتي

قال نعم في مثل هذه الاحوال ياحضرة السير لانك في قبضة يدي وساخدمك حيث لا بد

من قتل تيمس درايل وضمانة مستقبلنا متوقفة على هلاكهِ

فرفع السير روفلاند يده يسند اليها جبهتهُ وقد سال منها عرق بارد غزير وصاح ما هذا الظلم فاني لا اسمع الا كلمة دماء . . دماء . . . واذا ما نعت في ارتكاب الشر اخشى من ان يهان شرف اسمي وتداس جثتي باقدام القتلة

اجاب جوناتان وهل نشك في ذلك ومع ذلك فاني لا اكلفك لاعدام ابن اختك الى عمل مادي بل اكتفي منك بالايقاع على اتفاقية لا تخسرك باكثر ما خسرتك الاتفاقية التي عقدتها معي لاطلاق سراحك من السجن .

قال روفلاند تريد ان ادفع لك ثلث مالي لقاء اتعابك . اجاب نعم وهو ثمن قليل تشتري بهِ حياتك فافكر ياحضرة السير في دقائق المسالة واعلم بان نجاة تيمس درايل من ايدينا تعود عليك بخسارة المال والحيوة معًا . قال روفلاند صدقت . صدقت قال جوناتان فهل قبلت بمطاليبي اذًا

فصاح بقلب منفطر خذ مالي وحياتي ايضًا ان شئت لاني تعب من هذهِ العيشة الشقية

قال جوناتان لا . . لاحاجة لي في كل ذلك ولا اريد اكثر من ثلث مالك ثم اخرج ورقة من جيبهِ وخط عليها اسطرًا وقدمها الى السير روفلاند وقال هاك شروطي فاوقع عليها فاطاع الامر واوقع على الورقة وهو باهت ساهٍ كمن اصيب بدهشة فوضع جوناتان الورقة في جزدانهِ وقال لديَّ سر مهم اريد ان اطلعك عليهِ ايضًا ياحضرة السير

قال بمَ يتعلق هذا السر الجديد اجاب بالسيدة شبارد وكان جاك واقفًا في كل هذه المدة لا يلفظ كلمة فلم يتمالك نفسهُ لدى ذكر اسم امهِ عن التكلم فصاح وقد سهى عن بالهِ حالة مركزه الخطر السيدة شبارد فالتفت اليهِ جوناتان مرتابًا وقال . ماذا . اجاب بصوت كيلت ارنولد عفوًا ياسيدي فقد توهمت ان القبطان جاك امامي لدى ذكر اسم امهِ قال الحذار من ان تعود الى مثل ذلك بعد الان حيث اريد ان تكون خدمي باعين واذان وايدٍ وانما بلا السنة

فصاح روفلاند وقد فرغت منهُ جعبة الصبر صرح بسرك ياجوناتان

قال كان لك فيما سلف من الايام اختان اسم الواحدة اليفه والثانية قسطنطينة

اجاب بحزن نعم ولكنهما ماتتا

قال لا بل ما زالت اختك قسطنطينة حية

فصاح السير روفلاند . . قسطنطينة في قيد الحيوة . . كذب . . كذب

قال اني قادر على اثبات كلامي

اجاب واين هي الان

قال في بيدلام مستشفى المجانين

فصاح السير روفلاند وارباه انك تعني السيدة شبارد واية علاقة بينها و بين اختي

قال ان السيدة شبارد هي نفس اختك قسطنطينة فارسل جاك لذلك عن غير اشاه منه صوتًا مريعًا فانتهره جوناتان وقال احذر لنفسك يا كيلت

قال روفلاند ماذا تقول . السيدة شبارد امرأة الجاني المشنوق وام اللص الشقي هي اخت شرعية للسير روفلاند وابنه للسير ماتوكيت لا . . لالا . . ان ذلك مما لا يقبل الامكان

قال جوناتان بل هكذا كان فان اختك قسطنطينة نشلتها امراة نورية وهي في الخامسة من العمر تقريبًا و بعد ان تقلبت عليها الحوادث ذهبت الى لوندرا حيث وقعت ثم في فقر مدقع ورضيت بالاقتران من صانع نجار يدعى توماشارد وكانت ذات جمال باهر يسحر العقول ويستميل القلوب فجذبني كرهًا الى حبها و بقيت مدة اعاني الام هواها

فوضع جاك شبارد يده على حسامهِ تحسبًا واعار جوناتان مزيد الانتباه ليقف على تمام الخبر

فقال روفلاند وهل عندك برهان على اثبات صحة هذا المدعى

فاخرج جوناتان في الحال من جزدانهِ ورقة وقدمها الى السير روفلاند وقال هاك وصية الامراة النورية التي استشلت اختك المذكورة وقد كتبتها في صباح يوم وفاتها وهي مذيلة بامضاء الاب «بيرنيه» وكان حاضرًا ساعة موتها في نيفكات ثم وضع الورقة مع غيرها من الاوراق على المائدة فغافلة جاك وتناولها من امامهِ واعانته ظلمة الليل على اخفائها في جيبهِ

وكان جوناتان مشغلاً في الحديث فقال ولا يخفاك ياحضرة السير ان اموال عائلتكم تكون بمقتضى وصية ابيك الى اختك قسطنطينة واولادها من بعد اليفه اذا ثبت وفاة الاخيرة بدون عقب يخلفها

قال السير روفلاند فهمت

قال جاك في نفسهِ وانا ايضًا علمت

قال جوناتان فبعد اعدام تيمس درايل تحول جميع ثروة عائلتكم الى اختك قسطنطينة او بالحري الى السيدة شبارد ومن بعدها الى ابنها جاك اذا رافقهُ الحظ ونجا من المشنقة

فصاح السير روفلاند والان

اجاب والان السيدة شبارد هي كما قلت لك في بيدلام مجنونة ولا اظنها تشفى من مرضها اما ابنها جاك فمحجور عليهِ في السجن الجديد ولا يخرج منهُ الا يوم يساق الى مشنقة تيربن

قال جاك شبارد في نفسهِ ياتيك بالاخبار من لم تسائلهُ

قال جوناتان و بعد ان نقرر مقتل تيمس درايل اسير لمواجهة السيدة شبارد في بيدلام واكد

بان مشاهدتها لي كافية وحدها لاماتتها والتقصير من اجلها

فصرجاك على اسنانهِ وقال في نفسهِ ويل لك من شيطان رجيم

قال جوناتان إنما لايخفي على مولاي السير ان كل هذه الموانع هي ثانوية بالنظر الى العايق المهم الحاضر وهو تيس درابل فمن الواجب ان نهتم باعدامهِ قبل الجميع وقد قلت لك انهُ يقطن دوليس هيل وبما انهُ على غير تحسب للخطر السهل ايقاعه في الهاوية

وعند ذلك سمع صوت وقع اقدام في السلم فهيأً جاك فرده واذا ابراهيم ماندبز اندفع بغتة الى القاعة مذعوراً وصاح . . هرب . . هرب فانتصب جوناتان واقفاً وقال من تعني . . جاك شبارد . . اجاب نعم هو ياسيدى . . فاني قادم من السجن فازبد جوناتان غيظاً وضرب برجلهِ الى الارض وبيده الى المائدة وصاح هل لم يسر احد في اثره

قال بلى ياسيدي سار كثيرون ولم يعثر بهِ احد الى الان فاطلق جوناتان لغيظهِ العنان وبينما كان يزد حنقاً كالاسد المصاب دخل كيلت مغطى بالدماء ومعرّى من اكثر ثيابهِ فصاح جوناتان والعجب يقيمهُ ويقعده كيلت ارنولد

فتقدم كيلت المذكور نحوه حزيناً وقال عراني جاك شبارد واثخنني جراحاً ولولا رحمة الله لافقدني حياتي فصاح جوناتان . . جاك شبارد هو الجاني . . . قال نعم وقد جئت اليك اطلب منهُ انتقاماً اجاب لاتخف فسيوخذ باعمالهِ وحانت التفاتة من كيلت الى جاك فصاح مرتعباً جاك شبارد هنا ياسيدي وللحال رفع جاك عن راسهِ القبعة والشعر وتقدم بثبات نحو جوناتان وجماعتهِ وقد نظروا اليهِ باهتين من جسارتهِ وصاح نعم انا هو جاك شبارد ثم مد يده الى السير روفلاند وقال اسمح ياحضرة السير الى ابن اختك بان يحييك . فصاح روفلاند ابعد عني بعيداً ياشقي فاني ارفض معرفتك وكلما سمعتهُ كذب مختلق

اجاب جاك لا تلبث الايام ان تظهر الحقيقة الراهنة اما اعلم ايضاً باني ارفض معرفة من كان دنياً جانياً كحضرة السير

فنظر جوناتان الى جاك نظرة التعجب المقترن بتحبيذ الاعمال وصاح لله درك فانت والحق يقال مجمل بشجاعة واهلية نادرتي المثال ولو لم أكن جوناتان ويلد لوددت بان اكون جاك شبارد وثق باني متكدر لما حتمت بهِ من وجوب اعدامك ولكن ما العمل فقد رهنت كلامي ولم يعد في الوسع الرجوع عنهُ لاني مستعبد لاقوالي فسلم نفسك لانك اسيري . فتبسم جاك وصاح خسئت من جبان جاهل قال جوناتان انك تجبرني بعصيانك على العمل تحقيقاً لكلامي . . فوحرمة شرفي انك لاتخرج من هنا وبي رمق يعين على الحيوة

فصاح جاك اليَّ يابو بلو وللحال اجاب صوت عظيم في المنزل لبيك ياحضرة القبطان

واندفع بوبلو الى القاعة فالقى بضربتين متتابعتين خادمي جوناتان الى الارض فقال جاك لجوناتان العجلة من الشيطان ثمَّ انحنى امام السير روفلاند وقال استودعك الله ايها الخال الموقر فصاح جوناتان وقد ضاقت بهِ الدنيا بما رحبت اقفلوا الابواب الخارجية واطلقوا سراح الكلاب فلم يجبهُ الا رجع الصدى فصفق صفقة المأيوس واقبل على الجرس يقرعه علامة للشدة وما رفع يده للعمل الا اطلق جاك عليهِ الفرد فاخترقت الرصاصة كمهُ من جهة الى اخرى بما اوقفهُ عن عزمهِ فعاد نحو جاك والفرد بيده واطلق عليهِ النار فاخطاه



جوناتان ويلد

فصاح بوبلو الفرار . . الفرار يا حضرة القبطان ولا تخف فاني اقاتل دفاعًا عن موخرتك اجابهُ جاك اتبعني فما زال الوقت يساعد على فرارنا سوية لان المفتاح في جهة الباب الخارجية فلحق بهِ بوبلو ولما صار الاثنان خارجًا اقفل جاك الباب على اخصامهِ ولكن جوناتان كان قد اطلق النار قبل ذلك دفعتين فاصابت الرصاصة الاولى قبعة بوبلو اما الثانية فاخترقت ذراعه

فصاح جوناتان وقد اقفل عليهِ الباب من الخارج حبط المسعى ونجت الاعداء ثم بادر الى اللولب في الحائط فضغط عليهِ وللحال فتح فيهِ باب كشف عن سلم ضيق انحدر الى اسفلهِ وبعد هنيهة ظهر في دار المنزل باحثًا فلم يستفد شيئًا لان جاك ورفيقهُ كانا قد نجيا بنفسيهما فعمد الى ملاحقتهما ولوبا لنظر وفتح باب الطريق فاذا البواب مطروح على عتبتهِ صريعًا بضربة استفقده بها الفاران وكانا قد ركبا الجوادين الذين عهد بهما جاك الى البواب المذكور واختفيا عن العيان فعاد جوناتان خاسرًا مجروحًا وهو يردد قولهُ فازت الاعداء اليوم ولكني لا البث ان اخذ بالثار غدًا

طلبا زواج

القت فاجعة دوليس هيل عائلة النجار الكريمة في حزن شديد فكان المستر ود لا يجد سبيلاً للتعزية على فقد امراتهِ مأيوسًا بفراقها لا يذكر لما كانت عليهِ من انها نار متقدة السعير عاملة على التدمير ففي مساء يوم من اسبوع وفاتها حضر الموسيو كيبون لزيارة العائلة المذكورة وكان تيمس درايل قد ذهب بالمستر ود الى البرية يسليهِ عن مصابهِ بما يشاهد فيها من مناظر البهاء فخلت قاعة الاستقبال بالموسيو كيبون والسيدة ويتغريد فبدأ كيبون في الحديث وقال

هل تسمح السيدة ويتغريد الى اعز اصدقاء المرحومة والدتها بان يوجه اليها خطابًا مهماً

اجابت فليتكلم الموسيو كيبون بما يشاء . قال وهل تعدينني بصراحة الجواب . اجابت لا يداخلك شك في حرية ضميري . قال الا فاخبريني اذًا هل ما زلتِ شديدة الحرص على محبة القبطان تيمس درايل . فعبق وجه الصبية بالاحمرار ولكنها قبضت على عنان اضطرابها ووجهت نظرًا يتضمن تعنيفًا وتوبيخًا شديدين وقالت اني احب تيمس درايل كاخي . قال فحبكما اذًا لا يتجاوز الحب الاخوي يا ويتغريد فلازمت الصبية الصمت ولكن هيئة وجهها كانت تنوب مناب اللسان في ايضاح وجوب الاضراب عن هذا التطفل فقال كيبون لو علمت بما اعلقهُ على هذا الجواب من الاهمية لما بخلتِ بهِ فبالله ماذا يكون منك اذا مد لك تيمس درايل يدًا وطلب الاقتران منك اجابت ان مثل هذه السؤالات الغريبة لا تقابل بغير السكوت ولكني لا ابخل عليك بالجواب طمعًا بالتوصل الى حسم هذا الحديث المكدر لشعائري فاعلم باني ارفض طلبهُ . قال ولماذا . اجابت بخشونة لا اريد ان اجيب على هذا السؤال وانا حرة في حفظ افكاري لنفسي . قال استحلفك بوالدتك ان تكرمي بالجواب . لماذا ترفضين طلب تيمس درايل فلم تقوَ الصبية على السكوت وقد استحلفها باعز عزيز عندها فاجابت لاني لست من درجتهِ ومقامهِ فهو من عائلة شريفة لا تليق بها من كانت مثلي ابنة لنجار . فقرب كيبون مقعدهُ منها وقال لله درك فانت منبع الحكمة والرزانة لان تباين الدرجات بين الزوجين كثيرًا ما يكون مصدرًا لتمرمر عيشهما وتكدير صفو هنائهما

وتيمس درايل لا يشك بكونهِ شريف النسب عالي الحسب وعليهِ فما عدت اتردد في التقدم لاتمام وعد صدر مني لامك قبل وفاتها

اجابت وعد صدر منك لامي

قال نعم وهي التي حلفتني على انجازه

اجابت . وما هو

قال وعدتها بان اقدم لك قلبي ويدي ثم ارتمى على قدميها جاثيًا . فنهضت الفتاة مذعورة وصاحت كنيبون . قال اني محب عاشق لك فلا ترفضي حبي

اجابت كفى يا خواجه فاذهب واتركني

قال لا . . لا . . لا اتركك ما لم احصل على رضاك واذا رفضت طلبي اموت على اقدامك

فصاحت قلت لك كفى فاخرج من بيتي والا فتجبرني على الاستغاثة وعند ذلك فتح الباب وانسل تيمس درايل الى القاعة وكان كنيبون محولاً بظهرهِ نحو الباب فلم يشعر بدخولهِ وصاح بصوت العاشق المتألم اني لا محالة مائت على اقدامك اذا لم تشفقي عليّ وترحميني . . . . فقال تيمس اريد ان اضع حدًا لجسارتك وقحتك يا خواجه فانتصب للحال كنيبون على قدميهِ وتهيأ للعراك وقال اني لم اوجه الى السيدة ويتغريد الا طلبًا بسيطًا وعدت بهِ والدتها وهو ان تقبلني زوجًا لها فصاح تيمس محتقرًا اذهب من حضرتي ياشقي واياك والعود الى هذا الرياء

قال اني لا اذهب ما لم تطردني السيدة ويتغريد بنفسها ولولا وجودها لما صبرت على اهانتك . فاقبلت الفتاة نحوه تلتمس ذهابه حسمًا للمشاجرة . فاجابها ان رغائبك عندي بحكم الاوامر القاطعة ثم التفت نحو تيمس وقال ستصلك اخباري ان شاء الله . اجاب اني مستعد لقبولها في كل حين فنظر اليهِ شذرًا وانحنى امام السيدة ويتغريد مسلمًا وخرج

فقال تيمس يخاطب الفتاة وقد انفرد بها . ماهذا الذي رايتهُ يا ويتغريد فانحدرت الدموع من اعين الصبية وقالت بحقك لا تسألني عن ذلك

اجاب بجنوان هذا الشقي كنيبون قد مكنني من فرصة طالما صبوت اليها وترقبت وقوعها فاسمعي لي

اجابت . قل

قال يظهر لي انك تشكين في حبي وتزعمين ان الثروة والسعادة تقويان على اضعاف ميلي لك فاصغي لي اذًا وتاكدي منذ الان اي قبل ان ابدي عملاً لتقرير حقوقي والحصول على القابي بان قلبي لك كيف كان مركزي ومقامي فهل تقبلينهُ يا ويتغريد

اجابت . عزيزي تيمس

قال صرحي هل تحبينني

فاسندت راسها على كتفهِ وقالت نعم احبك . . احبك . . وحبي لك قديم العهد ثابت البنيان

تنبيه جاك شبارد لتيمس درايل

بينما كان تيمس درايل والمسترود وابنتهُ ويتغريد مجتمعين في مساء اليوم التالي في قاعة الاجتماع وقد فتح المسترود التوراة يقرأ فيها تعزية لهُ على مصابهِ ودار بين العاشقين حديث لذيذ من مثل ما تبادلاهُ بالامس واذ دخل خادم مسن يحمل الى تيمس درايل خبر شاب في الباب يطلب مواجهتهُ . فقال تيمس وهل صرح لك باسمهِ

اجاب لا يا مولاي ولكني اعلم عنهُ . . . .

وقبل ان ياتي على اتمام عبارتهِ فتح باب القاعة بعنف ودخل اليها شاب بلباس ثمين متقن مرتدٍ بثوب خيال من الجوخ الاحمر مزركش بالذهب وعلى جنبهِ سكين معلق بزنار عريض من الجلد وفي رجلهِ جزمة طويلة فتقدم الى منتصف القاعة وفي يدهِ قبعتهُ ووجه نظره الى تيمس درايل فنشأ عن مشهده اضطراب عظيم في العائلة الصغيرة المجتمعة فارسلت السيدة ويتغريد صوتًا مريعًا وانتصب تيمس درايل واقفًا وقد قبض على سيفهِ تحسبًا وصاح المستر ود وقد علاه اصفرار الخوف . ومسكتهُ الرعشة جاك شبارد . فبقي الشاب صامتًا متكتفًا ينظر الى تيمس درايل كانهُ ينتظر منهُ كلامًا وبعد سكوت قصير قال تيمس ان قحتك يا جاك هي فوق كل تصور فقد كان الاولى بك ان لا تعود فتدوس هذا المنزل الذي لطختهُ بدماء اصحابهِ . اجاب ان المقصود من حضوري هو رويا ك ولكني ظننتك لا تاتي اليَّ اذا دعوتك فجئت اليك اريد مكالمتك

قال تيمس اني اجهل الى الان الاسباب التي حملتك على مواجهتي وغاية ما اعلمهُ انك لا تخرج من هذا البيت الا لتدفع الى ايدي الحكومة فتنال جزاء ما جنت يداك

فصاح جاك متبسماً محتقرًا ومن ذا الذي يمنعني عن الخروج و بغير ارادتي ولكنهُ عاد فقال اني ما جئت اليك لاازعك يا تيمس بل لاخدمك واخلص حياتك فاذا شئت ان تقابلني على هذا الجميل بمثل هذه الاساءة فانا طوع يديك واكد باني لا ادافع عن نفسي تخلصًا منك ولكيما تكون على ثقة من كلامي اريد ان اقفل بيدي هذا الباب بحيث لا استطيع بعده فرارًا ثم اقفلهُ وقدم المفتاح الى الحضور وقال هل ارتضيتم من عملي

فصاح ود لا وربي اني لا ارتضي الا يوم اراك مشنوقًا في تيربن

قال جاك لربما لا يكون امد انتظارك طويلاً يا حضرة المستر

اجاب ود فليستجب منك الرب فادوس بقدمي راس الافعى التي لدغتني

قال جاك اني بريءٌ من دم امراتك والموت اقرب لديَّ من ارتكاب مثل هذه الجناية

المخيفة . اجاب لا تغشني باكاذيبك ايها اللص الجاني فاذا لم تكن القاتل فانت شريكة . قال ان ضميري لا يثقل عليَّ بشيء من هذه التهمة ومع ذلك فاني ما جئت الان لابرر نفسي بل لاخلص حياة تيمس درايل من الخطر

قال تيمس واي خطر يتهدد حياتي هل في عزم رفقاؤك اللصوص ان يعتدوا على ايامي

اجاب . لا بل خالنا السير روفلاند هو الذي يتهدد حياتك واياملك

فصاح تيمس ما هذا الفشار وكيف يكون روفلاند خالك يا شقي

قال اني لم اتكلم الا بالحق فانت ابن خالة اللص الشقي جاك شبارد

فضحك تيمس وقال ان من السهل الادعا بما هو اعظم من ذلك ايضاً

اجاب ولكن من السهل لديَّ ايضاً اثبات مدعاي ثم دفع الى تيمس درايل الرقعة التي انتشلها من جوناتان ويلد وقال اقرأ هذه فقراها تيمس بسرعة ودفعها الى المستر ود ولدى مشاهدتها صاح فليتمجد اسم الرب ان هذه الرقعة هي شرعية لا ريب فيها لاني اعرف هذا الامضاء

قال تيمس وهل انت على ثقة من صحتها

اجاب نعم . هي صحيحة صادقة وقد تحقق لديَّ الان ما طالما نبهني اليه ضميري من ان السيدة شبارد شريفة الاجداد

قالت ويتغريد وقد كانت افكاري على الدوام لا تختلف بشيء عن افكارك في هذا المعنى يا ابي فتنهد المستر ود ومسح دمعة وصاح مسكينة انت ايتها الارملة الكريمة ثم التفت بجاك وقال جاك . . جاك . . انك مخطي وخطيتك جسيمة . اجاب والقلق ظاهر في وجهه نعم . . نعم . . اني لا انكر ثقل خطيتي

قالت ويتغريد الا فاندم اذاً حيث ما زال لك وقت يعينك على الندامة وساصلي الى الله عسى يغفر خطيتك

اجاب ماذا تجديني صلاتك يا ويتغريد ولولاك لما سرت الى هذا المصير الوخيم

فصاحت لولاي

قال نعم حيث كنت احبك وانما لا ترتاعي لذلك لان حبي لك زال مع الايام نعم كنت احبك يا ويتغريد واحتقارك لهذا الحب هو الذي اضاعني ولكن ما لنا وللافكار تكاد تلقيني في وهدة الجنون . فقد انذرتك يا تيمس بالخطر المحدق بحياتك فلا تستخف بانذاري لان السير روفلاند علم بعودك الى انكلترا وقد نظرته بالامس عند جوناتان ويلد بعد فراري من السجن يتخابر واياه في شانك فاعتمد الاثنان على اعدامك وفي هذه الليلة ينفذان مقاصدها الشريرة

فصاحت الصبية واباه ورفع المستر ود يديه نحو السماء صامتاً كانه يستنجد بربه لدفع هذه

البلية الجديدة

قال جاك ولا اظنكم تشكون بخلو غرضي وسلامة طويتي في هذه المسألة حيث لا يخفاكم انه بعد تيمس درايل و والدتي يتحول ارث العائلة بكليته لي فانا الوريث الوحيد الشرعي بعدهما لعائلة السير مونتاكيت

اجاب تيمس انا لا نشك بخلو غرضك اذا ثبت لدينا ما تدعيه فقال ها ك التعليمات المعطاة في صددك من جوناتان ويلد الى كيلت ارنولد ثم اخرج من جيبه جزدان الورق الذي وجدهُ في ثوب ارنولد المذكور ودفع منهُ رقعة الى تيمس وقال ان هذا التحرير يفيدك بان اعداك يتأمرون الان على اعدامك فقرأ تيمس الرقعة وقال هل تعلم اية خطة اتخذوها لمهاجمتي يا جاك اجاب لا اعلم ولكني انصح لك ان تبقى على الدوام متحذرًا لنفسك فلربما يكونون على مقربة من المنزل ولا ريب ان جوناتان ويلد يكون في مقدمتهم

فصاح المسترود مرتجفًا جوناتان ويلد . . وا اسفي قضي علينا وسنذبح جميعًا

قال جاك .وقد نظرت في الجنينة قبل دخولي رجلاً ارتبت في خطواته ولا يستبعد ان يكون من المتأمرين . فصاح تيمس وابن تركته . قال قف مكانك ودعني اكشف الخبر وحدي ثم تقدم نحو النافذة ففتحها وصاح بصوت تيمس درايل . من هنا . فلم يكن جوابهُ الا اطلاق النار فمرت الرصاصة بقرب جاك بدون ان تؤذيه واصابت السقف فعاد بسكون نحو تيمس وقال لم يخطئني فكري فان جوناتان ويلد والسير رولاند في الجنينة وقد شاهدتهما بمرأى العين فصاح تيمس هل من الممكن ان أأتمن جانبك يا جاك . اجاب على الحيوة والموت . فاستل سيفهُ وقال اتبعني اذًا ثم وثب من النافذة فوثب جاك ايضًا وركضت ويتغريد تريد ان تلحق بهما وهي تصيح تيمس ... تيمس . . قتل تيمس ادركونا . . ادركونا . . يا للنجدة يا للمعونة فاحتضنها ود بذراعيه وسار بها نحو القاعة وهو يصيح ابنتي ابنتي . . حبيبتي وفي الحال سمع اطلاق الرصاص ورنين السيوف ثم ضعف الصوت واختفى وكان المسترود قد جمع في اثناء ذلك خدمهُ واندفع واياهم الى الجنينة فوجد تيمس درايل طريحًا على الارض مخضبًا بدمائه اما جاك شبارد فلم يظهر لهُ اثر

بيدلام

ما بلغ تيمس درايل وجاك شبارد ارض الجنينة الا عاجلهما جوناتان ويلد والسير رولاند واتباعهما بالهجوم فلقى جاك جوناتان بثبات وعزيمة كادا يخولاه نصرًا لو لم تذل قدمهُ على حين كان يرفع يده ليوقع بخصمه بضربة خنجر وللحال تحول النصر الى فشل وكاد يقضى على حيوته من يد عدوه لو لم يبادر الى نجدته بو بلو والسيف مسلول في يده وقد وجهه نحو مقتل جوناتان يريد اعدامهُ لخلاص رفيقه بما اجلى عن نجاة جاك فنهض من وهلة اليأس منتصبًا واذا بو بلو مطروح

على الارض بدون حركة والدماء تندفق من جبهته فظنهُ مائتاً وتحول الى حيث سمع انيناً فوجد تيمس درايل مخضباً بدمائه ايضاً . فقال هل جرحت ياتيمس . اجاب نعم انما الامل ان لا يكون جرحي خطراً اما انت . . فالهرب . . الهرب . . . عجل بالفرار . فصاح جاك ابن القتلة اجاب ادبروا لما زعموا من ان المهمة التي جاؤوا في انفاذها قد أكملت قال اريد ان احملك الى المنزل اجاب لا . . لا . . ان رمت مرضاتي فما لك الا ان تفر وتنجوا بنفسك . . اسرع ياجاك بالهرب قال لا يمكني ياتيمس ان اتخلف عنك في مثل هذه الحال . اجاب اذهب اذهب بربك اذهب فانقاد جاك اليهِ وذهب عن غير ارادته الى حيث امتطى جواده واسرع في السير نحو فندق النقود فوصل اليه بعد ساعة من الزمان وقد انهكهُ التعب بما لا يستطيع معهُ وقوفاً

وكانت الشرور قد تفاقمت في فندق النقود بما دعا الى صدور امر من الملك جورج الاول يتضمن تجريد ذلك الملجإ الخطر من جميع امتيازاتهِ وكان زعيمهُ بابتيست كينليبي قد اتخذ لهُ دسكرة على شط التيمس يتعاطى فيها بيع المدام ولم يكن لهُ وقتئذٍ على رفاقهِ من السلطة الا ظلها فكانوا يقدمون على الجنايات العظيمة ورجال الضابطة تطاردهم من كل صوب وهم يفرون امامها كالبهائم الهائمة ولدى وصول جاك الى الدسكرة المذكورة ترجل عن جواده فتناول قدحاً من المدام وانطرح بثيابهِ على مقعد طويل وذهب في غيبوبة النوم العميق وفي صباح اليوم الثاني انتبه من رقاده فراى بجانبهِ بو بلو مجرداً سيفهُ وفي يديهِ فردان محشوان بالرصاص وهو بحكم الحارس متهيءٌ للدفاع عند الحاجة عن رفيقهِ النائم من عدو مفاجيءٍ وقد عصبت جبهتهُ بخرقة ملطخة بالدماء فقال لا ترتاب ياحضرة القبطان فان كل شيء والحمد لله على قدم التوفيق اجاب جاك وكم الساعة الان قال الظهر ولم انبهك لما شاهدت على وجهك من اثار التعب وكان جاك قد استفاق من غيبوبة النوم وتذكر حوادث الليل الماضي فقال وكيف تيسرت لك النجاة يابو بلو اجاب هاك تفاصيل الخبر فاني بقيت على ما يظهر غائباً عن الوعي مدة ولدى انتباهي وجدت ذاتي سابحاً بدمائي السائلة من جرح بليغ في راسي ولم يرني احد فتوصلت بعد التعب الى جوادي وانطلقت نحو هذه الدسكرة لعلمي بانها لا تخلو منك اذا كنت حياً فلقيتك فيها نائماً واقمت كما ترى على حراستك مخافة عليك من غدر جوناتان ويلد فأمر الان بما تريد

قال اريد ان اذهب الى بيدلام مستشفى المجانين لاشاهد امي الحزينة اجاب بو بلو الاولى بك ان تهتم بنفسك قبل امك ياحضرة القبطان لان هذه الزيارة خطرة على حياتك

قال لا بد منها كيف كانت لان جوناتان ويلد اضمر لامي شراً واريد ان ابادر الى رؤياها في الحال وساحاول ايضاً اخراجها من هذا المستشفى الجهنمي . اجاب ستحاول مستحيلاً ولا ريب انك ستصادف ثم مصاباً قال لا تخف عليَّ فقد اعتمدت على الذهاب ولا بد منهُ وما كان جاك

شبارد ليلفظ كلامًا ويرجع عنهُ اجاب بوبلو وهل تصحبني معك قال لا بل انتظرني هنا اجاب ان امد انتظاري سيكون طويلاً لاني لا اظنك ترجع يا حضرة القبطان فدفع جاك اليهِ كيسًا من الدراهم وقال سوف نرى وإذا لم اعد فاحمل هذا الكيس الى ادجورت بيس في كهف ماري لينوار ثم جد نحو محل قصده بجنان ثابت لا تروعه النوائب وكان مستشفي بيد لام القديم وقد عفت آثاره لانهُ عبارة عن بناية عظيمة شائقة اقيمت سنة ١٦٩٥ على مثال التويلري المعد لسكنى ملوك فرنسا ويقال ان لويس الخامس عشر استاء من ذلك بما حسبهُ اهانة موجهة اليهِ فانشأ بدوره بناية على مثال سين جيمس مقر ملوك انكلترا واعدها لاقبح المنكرات وقد انفق على بناية بيدلام المذكورة ما ينيف عن سبعة عشر الف ليرا استرلينية وهي تمتد على نحو خمساية واربعين قدمًا ويعلو اجنحتها الاربعة قبب صغيرة في وسطها كرة كبيرة ذهبية ويدخل اليها بممر عريض مرمل ينتهي الى جنينة مظللة بالاشجار الكثيرة المغضة ومصانة من جميع جهاتها بحائط من الحجر ويخرقها طريق متسع يقود الى ابواب حديدية وضع عليها تمثالان عظيمان يمثل الواحد منهما الجنون الفاضح والثاني الجنون الميلانخولي

وهي مقسومة من الداخل الى دائرتين منفصلتين عن بعضهما بشبكة حديدية فالدائرة الواحدة منها للنساء والثانية للرجال وفي نصف الدائرة العلوية قاعة كبيرة مختصة بناظر المستشفى وغيره من كبار المامورين ومما نصرح بهِ مع مزيد الاسف ان ذلك الملجاء الممثل لحالة المصاب البشري كان مفتوح الابواب على الدوام لدخول جماعة المتفرجين اجواقًا متخذين اشام بلايا الانسان مشهد سرور لاعينهم

فقطع جاك بسرعة الرواق المودي الى دائرة النساء واستعان بالدرهم على معرفة غرفة امهِ فانسل اليها ومع علمهِ بما ينتظره هنالك من المشاهد المريعة المؤلمة شعر لدى دخولهِ باحتياجهِ الى القوة للثبات فان امهُ المسكينة كانت متربصة في قرنة على فراش من التبن مغطاة الاكتاف بخرقة بالية وليس لها من الكساء غير ثوب ممزق وهي مهذولة الجسم عارية الفخذين والذراعين محلوقة الراس مربوطة الى الحائط بسلسلة حديدية تنتهي في زنار من الحديد ملفوف على وسطها بما يمكنها من التمشي في سجنها الى الحد لا تتعداه ولدى مشاهدة ابنها احدقت بهِ نظرًا لامعًا حادًا بما يفوق حد الاعتدال واستنار وجهها العبوس بالتبسم وقالت بصوت مضطرب انت ملاك مرسل من السماء اجاب لا بل شيطان رجيم حيث كنت سببًا في كل هذا البلاء فقالت لا . . لا . . انت ملاك وابني كان يشبهك ولكنهُ مات منذ زمن . . منذ زمن طويل . فصاح جاك ليتني مت حقيقة ولم اكحل اعيني بهذا المشهد المريع قالت ان فان كاليبروك تنبأ لي بان ابني يموت شنقًا ولكن هل لك علم بما كان مني وقتئذٍ ثم ارسلت ضحكة شديدة مخيفة جمد لها دم جاك في عروقهِ وعادت فقالت

خنقتهُ . . هنا . . على صدري لاخلصهُ من العار والان انا معتوهة . . مجنونة فصاح جاك اه يا الهي

فسكتت السيدة شبارد برهة ثم تكلمت اخيراً فقالت اسمع لي هذا الحلم الذي شاهدتهُ في الليل الماضي . فاني وجدت في تيربين وكانت الناس تحدق بالمشنقة من كل الجوانب ثم ظهر في ساحة الاعدام رجل . . وكان الرجل ولدي . . ولدي جاك . . وقد جيء بهِ ليشنق امام اعيني ومن خلفهِ جوناتان ويلد يدل الجلاد عليهِ باصبع يقطر دماً . . ولكن اه لو تعلم ماذا حصل فان الجلاد قبض في الحال على جوناتان ويلد وشنقهُ بدلاً من جاك فعلت من بين الجمع اصوات الفرح العميم فما قولك بفرحي

فصاح جاك وهو في سكرة اليأس امي . . امي . . لماذا تتجاهلين عني ولا تعرفينني اجابت ماذا الذي اسمعهُ فاني اسمع صوتاً قريباً من صوت ولدي قال لا بل صوت ولدك . . ولدك جاك فرفعت نظرها الى ما فوق راسها وقالت نعم ان السماء مفتوحة الابواب وهو قادم . . قادم اليَّ قال عي لنفسك فانا ابنك امامك قالت لا . . لا . . انت خياله فصاح جاك انا ابنك . . ابنك المنكود الطالع السيء البخت قالت دعني امسك بيدي فاصدقك وخطت نحو ولدها وكان جاك قد اضاع قوتهُ فلم يستطع حراكاً وبقي جامداً امكانهُ يوجه الى امهِ نظراً مائيوساً ولما بلغت السيدة شبارد منتهى ما تصل اليهِ سلسلتها مدت اليهِ ذراعيها المهزولين وصاحت تعال اليَّ . . تعال اليَّ . . فجثا جاك على ركبتيهِ بجانبها فلمستهُ وقالت لا . . انت لست بولدي ذاك مات وقد واريتهُ التراب في مقبرة ويلسيدين فصاح جاك اه يا الهي . يا الهي فهي لا تعرفني ثم ضمها بين ذراعيهِ يقبلها وقال امي . . عزيزتي . . حققي فيَّ نظرك فنفرت مرتاعة من بين ذراعي ولدها وصاحت مرتجفة الى الوراء . الى الوراء . . لا تمسني بيدك دعني براحة وسكون . . ما عدت اتكلم عن جاك ولا عن جوناتان لا . . لا . . تومل مني ان انبش قبريهما باظافري . . . لا تجردني من ثيابي . . . دع لي غطائي . . برد . . ما هذا الليل المخيف . . كفى تصب ماء على راسي . . كفى . . كفى . . فان اعمالك تزيد في اوجاعي ففرع جاك سن الندم . وصاح يا للبلاء فركضت مذعورة الى قرنة سجنها وقالت لا تضربني بربك لا توجعني دعني في سلام واخذت ترفع بيديها التبن وتضعهُ على راسها كانها تختفي من وجه اعدائها

فقال جاك في نفسهِ اذا بقيت طويلاً هنا جننت من فظاعة المشهد وكانت الارملة قد اختبأت لخوفها في التبن فرفعت راسها بعد هنيهة بتحرس من وراء خبائها وقالت هل ذهبنَّ اجاب جاك عمن تسالين قالت عن حارساتي اجاب وهل يسئن معاملتك فوضعت اصبعها على فمها تريد اسكاتهِ وقالت اصمت . . اصمت واقترب الى لاطلعك على كل شيء فتقدم نحوها قالت اقترب ايضاً . . اقترب ايضاً فان مرادي ان اخبرك بما يفعلنهُ معي فاسمع واقفل الباب

ثم جردت راسها من الغطاء وقالت انظر فقد كان لي شعر طويل جميل فقصصتهُ لي وتركتني بدون شعر كما ترى . . . ولكن اخبرني لما جئت الى هذا المكان قال لاراكِ يا امي قالت لما تناديني بهذا الاسم ولما تدعوني بامك اجاب لانك ام حقيقية لي فاحدقت نظرها بجاك وصاحت ماذا . . انت ولدي قال نعم انا ولدك وقد جئتك حزينًا نادمًا ثم رفع راسهُ نحو السماء وقال اشكرك يارب لانها عرفتني اخيرًا فانقضت الارملة على ولدها تضمهُ الى صدرها وتقبلهُ بتشوق والدموع طافحة في عينيها وهي تصيح ولدي جاك . . حبيبي جاك عدني بانك لا تتركني بعد الان اجاب بصوت متقطع بالتنهدات مطلقًا . . ابدًا وما اتى على لفظ هاتين الكلمتين الا فتح الباب وانحدر اثنان الى الغرفة وكان احدهما جوناتان ويلد والثاني كيلت ارنولد فانتصب جاك بالحال مرتاعًا فقال لهُ جوناتان جئنا في الوقت المناسب فسلم نفسك لانك اسيري جاب انكما لا تستطيعان امساكي حيًا وتهيأ للدفاع فاحاطتهُ امهُ بذراعيها تظللهُ بهما وقالت الان اصبحت في مأمن من غدر اخصامك فاستغنم جوناتان ورفيقهِ فرصة تقيد جاك عن العمل باحاطة امهِ بهِ وانقضا عليهِ فجرداه من سلاحه وقيداه بالسلاسل وانحنى جوناتان امام الارملة يشكر لها خدامتها بان سهلت لهما القبض على ولدها بدون حاجة الى مزيد عناء . وفهمت السيدة شبارد المراد من كلام جوناتان فاندفعت عليهِ هائجة مزبدة وارسلت اظافرها الطويلة الى خديهِ تفتح فيهما مسالكًا فصاح جوناتان ارجعي الى الوراء . . الى الوراء ايتها الشقية . . ثم اغلق يده وضربها بها بمنتهى قوتهِ على راسها فسقطت الى الارض صريعة لا تعي على شيء فصاح جاك ان هذه الضربة ستكلفك فقد حياتك ياخائن فنظر جوناتان الى فريستهِ متبسماً وقال هيا الى نيفكات

سجن نيفكات القديم

في بدء الجيل الثاني عشر زيد على ابواب لوندرا الاربعة المحاطة بالقلاع والتحصينات باب خامس سمي بنيفكات اي الباب الجديد وهو ملاصق لبناية رحبة استعملت سجنًا للوندرا مدة ثلاثمائة سنة تهدمت في منتهاها فجدد بناءها منفذ وصية السير ريشارد واتنكتن حاكم لوندرا الشهير وكان الباب المذكور عظيماً عميمًا فاطلق اسمهُ على جميع البنايات التي انشئت بعدئذٍ في الاراضي التابعة لهُ وقد شيده هنري السادس تقدمة لاهالي لوندرا على خداماتهم الصادقة ومنذ ذلك الحين اصبح بابًا عامًا للمدينة ولكنهُ ذهب سنة ١٦٦٦ فريسة للنار مع ما يجاوره واقيم على خراباتهِ سجن جديد بجدران شاهقة ثخينة ونوافذ ضيقة علوية من مثل نوافذ الاسوار وقنطرة عظيمة بباب حديدي ينقبض لهُ صدر الناظر وكان مكتوبًا على الباب فيما فوق راس الحراس الكلمات الاتية وهي «ادخل صاغرًا كلص»

وكانت العربات تمر الى داخل السجن بباب مشبع عريض مقبي يجاوره مدخل ضيق للرجالة

والباب الاول كبيرًا متسعًا بما يقرب شبهًا من قوس النصر ويزدان من الخارج بثلاثة صفوف من الاعمدة يتخللها تماثيل في جملتها تمثال الحرية وعلى اقدامه هر وقد نصب رمزًا عن الموسس السابق وهو السير ريشارد وإتنكتن

وكان على يمين المدخل شبكة حديدية تشرف على المسجونين من المديونين وهم مصفر والوجوه بما يرتاع له الفؤاد اشمئزازًا وقد فشا فيهم مرض وبائي يعرف عندهم بحمى السجون وفعل فيهم فعلاً ذريعًا فكانت تخرج المركبات في اثناء الليل مشحونة بجثث الموتى الى حيث تواري التراب بدون احتفال ديني بما الجأ الحكومة اخيرًا الى انشاء الة لتطهير الهواء وضعت على اعالي بناية نيفكات وجاءت بالنتيجة الحسنى حيث وقت السجن من مخالب هذا الوباء ويقسم سجن نيفكات الى ثلاث دوائر عظيمة فالواحدة للتجار والثانية للعموم والثالثة للشرفاء وتختص الدائرة الاولى وهي في الجهة الجنوبية من السجن مع محلات اخرى مشيدة فيما فوق قبة المدخل بمن يدفع من المسجونين بدعاوى الدين الرسم المضروب اما الدائرة العمومية وتولف القسم الاكبر فمشتركة بين المديونين والجانين بدون فاصل بينهم بما ينشأ عنهُ في الغالب الاخلال في اداب العدد الكثير منهم ومما يزيد الدائرة المذكورة قبحًا في اعين سجنائها قيامها على سرادق تحت الارض تنبعث منها روائح كريهة وكانت الدائرة الثالثة ممتازة عن سواها ومعدة للمسجونين من امراء الحكومة وغيرهم ممن يدفع للسجان ضريبة ظالمة غير عادية تختلف من خمسماية الى الفين ليرا انكليزية بحسب درجة وثروة الطالب ولم تكن هذه المظالم لتقتصر على الاغنياء من المسجونين فقط بل تتعدى الى غيرهم من الفقراء ايضًا فكل سجين لا يدفع للسجان الخراج الذي يضربهُ عليهِ يلقى في سجن المحكوم عليهم بالمواد الجنائية العظيمة مع اللصوص والقتلة عرضة لتعدياتهم يسومونهُ سوء العذاب باعمالهم

ولما كانت نظامات السجن فيما مضى لا تحرم على السجناء شرب المسكرات القوية فتح في نيفكات حانتان الواحدة بقرب دائرة الحراس والثانية في قاعة الطعام من الدائرة العمومية وكلتاهما تبيعان من السجناء انواع المسكرات الدنية المضرة بموازين كاذبة واثمان باهظة وكانت الاقذار والاوساخ المفسدة للهواء منتشرة في جميع محلات السجن ولا سيما محل مناولة الطعام فهو بحكم مغارة مستنقعة مسقوفة بقبة متسعة واطئة بحيث لا يتجاوز اعلاها ارض الشارع العام وتخيم فيها ظلمة كثيفة دائمة لا يقوى على محوها ما يضاء فيها من الاخشاب وفي احدى جهاتها صف من البراميل يقابلها في الجهة الثانية موائد تحيط بها مقاعد تزدحم عليها السجناء ذكورًا واناثًا من جانين ومديونين فيأكلون ويشربون ويلعبون ويدخنون بما يبذلون من الدراهم ويعلو هذه القاعة غرفة رحبة يصعد اليها من الحانة بسلم عريض من الحجر في منتهاها شعرية من الحديد يكلم السجناء من خلالها من يأتي لزيارتهم من الاصحاب والاقارب الذين لا يرغبون في مخالطتهم حيث لا يمنع من الدخول الى

داخل السجن من يدفع للسجان قيمة من الدراهم وكانت السرقة سارية في نيفكات على قدم النشاط فمن سجان يسرق سجين ومن سجين يسرق مثلهُ وهلم جرًّا

وبجانب مدخل السجن قاعتان فسيحتان تعرف الواحدة بقاعة الحجر وهي مختصة بالمديونين من التجار والثانية بقاعة الصوان وهي التي تفك فيها قيود المحكوم عليهم بالموت قبل الذهاب الى ساحة القضا وتروض بها جماعة السجناء فتزدحم فيها اجواقًا عراة بما يشبه الغرقا الخارجين من لجج الماء وفي احدى زواياها غرفة للقيود حوت من جميع انواع السلاسل الحديدية وقد عهد بحراستها الى ثلاثة من السجناء منوط بهم ملاحظة الداخلين والخارجين وفك القيود واقفالها وتوزيع الطعام والمحافظة على النظام وهم مأذونون بان يتسلحوا بالاسواط والعصي مما ينشأ عنهُ في الغالب مشاجرات عديدة تتقدر بعدد الساعات فيستعين الحراس المذكورون على طلب النجدة باجراس يقرعونها فيسارع السجانون الى معاونتهم . وفي شمالي القاعة ممر ضيق يقود الى مطبخ صغير لا يستطيع اشجع الناس ان يدخلهُ بدون ان يداخلهُ الجزع الشديد وهو بمواقد عظيمة تعلوها دسوت مملوَّة بالزيت والقطران تدهن بها اجسام المحكوم عليهم بالقتل بجناية الخيانة قبل انفاذ القضاء عليهم ومن فوق هذا المكان المخيف قاعة للمسجونات المديونات من النساء ومن تحتهِ قبو ينزل منهُ الى حبس سري مظلم مربع لا ترى فيهِ اشعة النهار ويسمى بجورة الحجر وهو مبني بكليتهِ من الحجر لا اثر فيهِ لمقعد او فراش ويحجر فيهِ على الذين لا يملكون شيئًا يدفعونهُ للسجان استجلابًا لرضائهِ وتحاذي هذه الجورة القاعة السفلى وقد قال بعض الكتبة في شانها ان من الصعب تحديد كنهها بما يفهمهُ المطالع الا بافتراض كونها تبعد ٩٠ درجة عن القطب الجنوبي لان ايامها على الدوام ليل حالك ولكنها تفضل بما لا يذكر على جورة الحجر ويسجن فيها المحكوم عليهم بالجزاء النقدي

وكان يعلو قاعة الصوان قاعة فسيحة تعرف بسجن المديونين وقد فتح فيها بحجة ادخال النور والهواء منافذ متسعة بدون زجاج او خشب بقي المسجونين شر التعرض للامطار والرياح

ولم نذكر الى الان شيئًا عن الدائرة المختصة بالنساء فهي تقسم الى قاعتين وتعرف الواحدة منهما بقاعة الدلول ولا يعرف لهذا الاسم سبب او منشأ ويصلها بالمدخل الذي مر عليهِ الكلام معبر مظلم مخيف ولها نافذة صغيرة محصنة بالقضبان الحديدية تاتي على الطريق العام فتطلب المسجونات من خلالها صدقة المارة اما القاعة الثانية فتسمى بقاعة السيدات وهي في الطبقة العلياء من السجن بدون افرشة فتنام فيها المسجونات المنكودات الطالع على الارض العارية والقاعتان المذكورتان قذرتان بما لا يعبر عنهُ القلم اما لهجة المسجونات فمجردة عن كل احتشام وادب وقد قال احد مورخي نيفكات في كلامهِ عن النساء المحجور عليهن فيهِ اني لاحظت بمزيد الاسف انهن يتكلمن بما يخجل لسماعه ادبيا الرجال فضلاً عن فضلائهم

وللمحكوم عليهم بالمواد الجنائية في نيفكات قاعتان الواحدة للذكور والثانية للاناث فالاولى منهما على مقربة من دائرة الحراس تتصل بها بممر معتم وهي متسعة بما يبلغ عشرين قدمًا طولا واثنى عشر عرضًا بسقف من الحجر المعقود مغطاة الجدران بما علق عليها من السلاسل والقيود ولها نافذة صغيرة بشعرية من الحديد ترسل الى الداخل نورًا مصفرًا ضعيفًا ويعلو على بابها حجرتان ضيقتان تسمى الواحدة بالقصر والثانية بالغرفة الحمراء ويحسن بنا قبل ان ناتي على تمام الكلام عن بناية نيفكات ان نذكر شيئًا عن غرفتين يحجر فيهما على من يسيء التصرف بما يدعو الى التشكي من اعماله وتعرف الاولى بالمعصرة وهي عبارة عن مكان صغير ضيق في وسطه آلة عظيمة من الخشب يعصر بها كل من يطلب اقراره ويصر على الانكار بما يجلو في الغالب عن وفاة المعصور ولم تلغَ الات العذاب من مثل هذه من بريطانيا الا في اواخر ايام الملك جورج الثالث اما الغرفة الثانية فتسمى بالمعقل ويعقل فيها الوقحا من المسجونين بسلاسل من الحديد وكانت الكنيسة في الجهة الجنوبية الشرقية من السجن وهي متصلة بجميع الغرف والدوائر بحيث يسار اليها من كل مكان

وقد ذهب الكتاب المتاخرون مذاهبًا عديدة لجهة تاثيرات السجون في حيوة الانسان وقرر اكثرهم بان القيام مدة في مثل هذه المحلات يورث المقيم ميلاً الى السرقة فيخرج منها لصًا وهو حكم تنطق صحته على سيء سجن نيفكات القديم

وقد هدم السجن المذكور سنة ١٧٧٠ واعيد بناؤه على هيئة جديدة فاكمل سنة ١٨٨٠ بالرغم عن اجتهادات الشعب الذي صرف همه الى احراقه بالنار في اثناء الحرب الاهلية وهو الان بناية عظيمة مرعية فيها الوسائط الصحية والادبية معًا مجردة عن المظالم القديمة وقد تغيرت فيه حالة المسجونين تمامًا وادخلت عليه التحسينات والاصلاحات بما لا يدع سبيلاً للشكوى

فرار جاك شبارد من سجن الجانين

في صباح ١٢ اب من سنة ١٧٢٤ نشر على العموم الحكم الصادر باعدام جاك شبارد بما حرك من الناس الاهتمام فجأوا جماهير الى سجن نيفكات للتفرج ولم يعدم اصحاب المحكوم عليه من نجاته املاً لعلمهم ان كثيرين من اصحاب الكلمة والنفوذ تقدموا يطلبون له عفواً من اولياء الامر فكان السجن عبارة عن مرسح ازدحمت فيه الاقدام وكثير من المتفرجين دفعوا رسماً باهظًا ودخلوا الى قاعة الحجر وعند المساء انصرف الجمع ولم يبقَ في السجن الا اثنان وهما الموسيو شوتبولت بواب سجن كليركانويل والموسيو كريفن بواب سجن وستمنستر وكان جاك يعرفهما من يوم حجر عليه عندهما فترحب بهما ودعاهما مع الموسيو اريتون سجان نيفكات ومعاونيه الاثنين اوستين ولانجلاي الى شرب كاسه وكان على مقربة منهم رجل يدعى مارفيل من العمالقة قبيح الخلقة يدخن نغا ليون اسود معوج مهنته لا تختلف في الفظاعة عن هيئة وجهه حيث كان منوطًا به انفاذ احكام

القتل والتعذيب وبجانبهِ امرأة طويلة الهامة تستلفت الانظار بمزيد سمنها وهي السيدة سيرلنك التي اشرنا اليها فيما مضى وكانت قد ترملت من زوجها الرابع وتوصلت بدهائها الى سلب فؤاد مارفيل الحجري فتعشقها ورغب في الاقتران منها وكان هو المنفذ لقضاء الاعدام على ازواجها الاربعة بما جعل لهُ حق التقدم على غيره في الاقتران منها وهي محافظة معهُ على التردد بما لا يصرم لهُ املاً ويكون باعثًا على زيادة ولهه وتضرم نار وجده ومن خلف السيدة سيرلنك عبدها كاليبان بقامة معوجة وانف منتفخ واذان تشبه لاذان الوحوش وراس كبير وجسم طويل وارجل قصيرة واعمالهُ محصورة في اقفال الابواب وخدمة الحراس

وقد المعنا في الفصل السابق الى مكان الحراس ولا نرى بدًّا من العود الى سرد الايضاحات الكافية في شانهِ فهو دائرة يصعد اليها من الطريق بسلم من الحجر ينتهي عند باب من الحديد المصبوب محصن بالاقفال العظيمة ومن بعده باب اخر صغير لا ينقص عن الاول في المتانة والتحصن مشبك مدى صف من الحراب الحديدية وكان الفرار من البابين المذكورين متعزرًا وهما مفتوحان في اثناء النهار فلا يقفل الباب الصغير الا عند الساعة السادسة اما بقية منافذ واقفال السجن فتقفل جميعًا في الساعة التاسعة وعلى مسافة غير بعيدة من المدخل حاجز من اخشاب السنديان القوية مكلب بالحديد يحول بين الناظر وبين معبر مظلم يقود الى داخل سجن الجانين ومن خلف الحاجز نافذة تعلو خمسة اقدام عن الارض محصنة بقضبان حديدية يكلم منها المسجنا من ياتي لزيارتهم ويتنع عن دفع الضريبة المعينة للدخول عليهم وبجانبها زاوية يخفيها عن العيان بروز الحائط الملاصق لها وهي تولف مدخلاً للسجن المذكور وفي منتهى هذه الدائرة تخشيبة تنظر منها جميع المحلات التي مر الكلام عنها ما عدا الزوابة المدراة بالحائط والحراس مع ضيوفهم جلوس عليها يتناولون اقداح المدام التي دعاهم اليها جاك شبارد

فصب سجان ويستمنستر كاسًا وقال اني اقسم بشرفي باني لم ارَ في سجني شجاعًا باسلاً مثل جاك شبارد . اجاب اريتون صدقت فان جاك هو الان زهرة نيفكات وقد تلي عليهِ الحكم الصادر باعدامهِ فلم يرهب لهُ بل بقي ثابتًا مسرورًا كعادتهِ واوكد لكم ولربما لا تصدقونني باني متكدر لما سيكون من اعدامهِ فقد تأتى لنا عنهُ النفع الكثير فاكتسبنا بهِ في هذا النهار مبلغ ستين ليرا استرلينية دفعت لهُ منها قيمة خمس ليرات فوزعها على الفقرا من المسجونين وهم يشربون الان بصحتهِ في الحانة

فرفع سجان كليركانويل كاسة وقال ان جاك شبارد كريم القلب واني اشرب بسر اطلاق سراحه القريب . اجاب مارفيل ان عنيت بكلامك اطلاق سراحه الاخير في تيربين فاني اشترك معك قلبًا وعملاً في هذه الكاس . قالت السيدة سيرلنك اومل بان لا يشاهد جاك بعينيهِ على الاطلاق هذا المحل المشوم ولو كنت من اصحاب الكلمة والنفوذ لما سمحت بان يشنق مثل هذا الباسل

لان قتله احتقار مشين وجميع نساء نيفكات يذهبن مذهبي فلا يصادقن على شنق مثل هذا الشاب الجميل ثم التفتت نحو مارفيل عاشقها وصاحت عليك بان تقطع كل امل من الاقتران مني اذا لاسمح الله شنق القبطان جاك شبارد فعمد العاشق الى الجواب ولكن اريتون سجان نيفكات قاطع حديثه وقال بصوت عال املئوا اقداحكم ايها الاسياد واسمعوا لي خبرًا اقصه عليكم في شان جاك شبارد وهو وعد صدر منه الى الموسيو كنيبون الذي سبق له ان تعرف بحبيبه في كنيسة ويليسدين فان هذا الموسيو كان في جملة الزائرين لسجن نيفكات في هذا النهار وعند خروجه خاطب جاك على سبيل المزاح بقوله اني ادعوك في هذا المساء الى مناولة الطعام معي في بيتي فاجابه جاك قبلت دعوتك ويمكنك ان تتكل على كلامي وتنتظرني فلا بد من مناولة الطعام عندك

قال شوتبولت سجان كليركانويل ان كان ما تقوله صحيحًا فاني انصح لك ان تسهر على حراسته لان جاك شبارد لاينكث بوعده

وعند ذلك ظهر في الباب امرأتان ملتحفتان بردائين متسعين من الحرير الناعم وهما ادجورت بيس وبول ماجوت فقال اريتون لايسعنا ان ندخلهما الى سجنه لان جوناتان ويلد حرم علينا ذلك وغاية ماسمح به ان تكلماه من خلال النافذة ثم امر اوستين معاونه ان ينزل لمقابلتهما فانحدر اليهما وقال اتريدان ان تواجها زوجيكما جاك فهيا اليه وتكلما معه من هذه النافذة ولا تضيعا وقتكما سدى حيث لايخفى كما قرب فراقه الابدي فعلا صوت ادجورت بيس بالنواح وقالت نعم صدر الحكم وعما قريب نفقده

قالت بول ماجوت وماذا كان منه عندما تلي عليه القضاء اجاب تبلغه بثبات يليق باعظم الابطال

قالت فعل المنتظر من شجاع مثله ثم دفعت الى اوستين دينارًا وقالت اذهب واشرب بصحته واتجهت مع رفيقتها نحو نافذة السجن لمشاهدة جاك وكان كليمان قد ذهب بامر السجان ليحل عقاله ويدعوه الى مواجهة امرأته وفي اثناء ذلك تجرد الامرأتان من ثوبيهما الطويلين العريضين ورميا بهما الى القرنة المحاذية للزاوية المختفاة خلف الحائط فظهر من اعتدال قامتهما ما استجلب اليهما انتباه اوستين فقال هل يامر سيدي اريتون بان اناظر هذه المواجهة فبادرت السيدة سيبرلنك الى قنينة من النبيذ وضعتها على المائدة امام الحراس وقالت لاحاجة للمناظرة فاني اكفيكما من هنا مونة هذه المهمة فهيا الى الاقداح وكان جاك قد حضر الى النافذة بثياب النوم فقال يخاطب الامرأتين هل تمكنتما من ابعاد جوناتان ويلد

اجابت ادجورت بيس نعم فاننا اشغلناه عنك اليوم ولا خوف عليك منه

قال حسنًا فعلتما فقفا الان بوجهي واكثرا من النحيب والعويل لاتمكن من اكمال نشر هذا

القضيب الحديدي فانهُ لايلبث ان ينكسر لاني عالجتهُ مدة يومين

فاطاع الامراتان الامر وعلا من بينهما العويل والبكا والنحيب بما صمخت لهُ الاذان فانتهرهما احد المعاونين وقال اذا لم تسكتا اخرجتكما خارجاً وطردتكما من السجن فوبختهُ السيدة سيبرلنك على قساوتهِ وقالت ان الامرأة لا تقوى على فراق رجلها المراد شنقهُ بدون ان تذرف دموع اليأس الغزيرة فاني فقدت اربعة رجال شنقاً ثم ارسلت تنهدًا وقالت من لم يذق لم يدرِ فاجابها مارفيل لاتحزني ياحبيبتي فساكون لك خلف خير ان شاء الله عن ازواجك

وبينما كان جاك مشتغلاً في نشر القضيب وقد اشرف على النهاية كسر المنشار في يده فعض على لسانهِ غيظًا وقال كسر المنشار عند الحاجة اليهِ

قالت ماجوت الا نقوى على كسر هذا القضيب المنشور بيدك اجاب بصوت الحزين لربما لا استطيع ذلك قالت لاباس فلنجرب وقبضت للحال على قضيب الحديد تدفعهُ بعزم الى داخل الحبس وجاك شارد يعاونها بمنتهى قوته فكسر اخيرًا وسمع لانكساره صوت حول اليهم الانظار فصاح اوستين ما هذا الصوت

اجاب جاك صوت قيودي الثقيلة فاكتفى منهُ الحراس بهذا الجواب وانصبوا على شرب المدام فقال عجلي بقطعة من الصوف لاتدارك بها قيودي فلا يسمع صوتها فبادرتهُ بيس بالمطلوب ففعل وقال اعطني يدك وعاونيني على الانسلال من هذه النافذة التي فتحناها فعاونهُ الامرأتان وبعد مخاوف كثيرة خرج منها وانسل في الحال الى الزاوية المخفاة والسيدة سيبرلنك تساعده على العمل بما تبذل من العناية لتحويل انظار الحراس عنهُ وكان خروج جاك من الابواب على مرأى من حراسهِ مستحيلاً فغافلت ادجورث بيس الحضور وذهبت بدون ان ترى من احد وعمد جاك الى الحيلة فالتف بردائها واخفى راسهُ بقبعتهِ وكان اوستين قد لمح خيالاً يتدرج السلم فقال ذهبت واحدة من الامرأتين فعارضتهُ السيدة سيبرلنك وقالت لم يذهب احد فمال عليها مارفيل وقال كذبت فقد شاهدت وعلمت كل شيء . اجابت اصمت واياك وخيانتي قال لا اصمت ما لم تعديني بالاقتران مني فوعدتهُ باجابة طلبهِ واذ ذاك دقت الساعة السادسة فامر السجان معاونهِ اوستين بان يقفل الباب الصغير وتظاهر جاك ورفيقتهُ بانهما يودعان رجلاً في السجن وانصرفا فبادر مارفيل والسيدة سيبرلنك الى النافذة يسندان اليها ظهريهما بما يخفي عن الحراس القضيب المكسور

وما بلغ جاك باب الدائرة الخارجي الا سمع وقع اقدام فظن بوقوع خيانة تعود بهِ الى الاسر ووقف جامدًا مضطربًا واذا اوستين يتبعهُ وهو يظنهُ ادجورث بيس وقال وعدتني بقبلة وبرح من بالك ان تفي بوعدك فحالت بول ماجوت بين الاثنين وقالت الا تستعيض بي عنها فتقبلني بدلاً منها فاني وللحال لطمتهُ على راسهِ فوقع على بعد خطوات كثيرة الى الوراء وكان السجان

ملاحظًا لهذه المداعبة فاستلقى على ظهره ضحكًا وصاح به ان اقفل الباب يا اوستين فاقفله وعاد ساكتًا الى مائدة المدام . اما جاك ورفيقته فانتفعا بما نشأ بعد ذلك من الضوضاء ونجيا بنفسيهما

وتذكر اريتون بعد برهة بان جاك شبارد ما زال محلول العقال فصاح بكاليبان ان اذهب واعتله في الحال ورغبت السيدة سيبرلك بان توخر امد الاكتشاف على ما حصل من الفرار فدعت بكاليبان اليها وقالت اذهب اولاً واتنا بقنينة من الروم من غرفة المونة ثم اخذت تبحث على المفتاح في جيوبها ولا تهتدي اليه بما اطال زمان الانتظار فصاح السجان لاحاجة لنا بالروم فان جوناتان ويلد لا يلبث ان يحضر وقد شدد علينا بوجوب التحرس على جاك شبارد وما اتم كلمته الا ظهر جوناتان ويلد من خلال الباب فبادر السجان الى استقباله وبدخوله الى الدائرة انتصب الجمع واقفًا وكان وجهه العبوس ينذر بالتهديد وقد تجلت عليه لوائح الغضب والانتقام

فقال اريتون لم تاتنا بيو بلو يا سيدي حسب وعدك

اجاب . لا . . فقد ظهر فساد التعليمات التي اعطيت لي في شأنه وتحقق لديَّ بان الذي سعى في ايصالها اليَّ تعمد غشي . والان هل من جديد عندكم

قال ما من جديد خلاف مجيء امرأتي جاك لمشاهدته وانصرافهما منذ قليل

فالتفت جوناتان في الحال نحو نافذة السجن وصاح بصوت مريع ماذا ارى . قضيب مقتلع نجا السجين

فاضطرب السجان وقال انك تفترض مستحيلاً يا سيدي

اجاب . لا بل ممكنًا وحاصلاً واكيدًا وعليك بالفحص فتتأكد كلامي فانطلق كاليبان الى داخل الحبس ثم عاد وهو يصيح نعم يا سيدي فر ونجا وقد بحثت عنه ولم اجده

فصاح جوناتان وهياج الغيظ يخفقه اني اشك في صحة هذا الخبر . . فكيف يفر على ضوء النهار امام اعينكم جميعًا . . فقد اصاب يا اريتون من قال باستحالة هذا الفرار لان سجن نيفكات حصين متين لا يختلف في حسن حراسته اثنان . فانت الذي سهلت فراره يا اريتون

اجاب السجان خائفًا ولكن يا سيدي

قال نعم انت الذي ساعدته على النجاة واذا لم تجده لا تطمع بحيوة يشد امدها الى اكثر من ثمانية ايام وانت تعلم ان تهديدي لا يذهب ادراج الرياح وكلامي لا يقتصر عليك بل يعم رفيقيك اوستين ولانجلاي

فصاح الحارسان ولكن يا سيدي

قال كفى فقد سمعتما ارادتي . . وانت يا مارفيل مذنب ايضًا

اجاب مارفيل انا

قال وحرمة شرفي اذا لم يقبض على جاك شبارد في هذا الاسبوع قدمت من الحضور خلفًا له يشرب كاسة امره

اجاب مارفيل انما اثق يا سيدي . . . فالت عليه السيدة سيرلنك وقالت اياك والاقرار فانكث بوعدي لك ولاحظ جوناتان اهتمامها فقال انك مديونة لي بمركزك فاذا تحقق لديَّ اشتراكك في هذه الجريمة نلت مني جزاء اعمالك

اجابت ولكني لا امتنع وقتئذٍ من اداء الشهادة اذا كلفني اليها القبطان درايل

فعظم غضبهُ وقال هل بلغ من قدرك ان تتوعديني بالشر ولكنهُ عاد فقبض على زمام نفسهِ وقال وهو يخاطب اريتون اي متى ذهبت النساء من هنا

اجاب منذ خمس دقائق

قال فلينطلق بعضكم الى فندق النقود ويتفرق الاخرون في جميع جهات المدينة باحثين عليهِ في كل صوب ومن يقبض عليهِ لهُ مني مائة ليرا استرلينية جائزة ثم خرج من الدائرة يتبعهُ اريتون ولانجلاي

فصاح شوتبولت ان مائة ليرا استرلينية جائزة كبرى لا تحتقر ولكن هل تظنهُ يا وستين صادقًا بوعده . اجاب نعم فهو لا يتاخر دقيقة عن دفع المبلغ لمن ياتيهِ بجاك شبارد فذهب شوتبولت وهو يقول في نفسهِ اذا صح فكري وانجز جاك وعده بان تناول العشاء في هذا المساء عند الموسيو كنيبون قبضت عليهِ في هذا الليل واحرزت قبل صباح غد المبلغ بتمامهِ

زيارة جديدة في دوليس هيل

فلندع جاك شبارد جادًّا في اتمام خطة فراره ونتقل بالمطالع الى قصر دوليس هيل وهو مسكن المسز ورد حيث اقبلت ويتغريد تفتح بابًا لغرفة تلقي على المشى واقتربت بسكون من فراش تضطجع عليهِ امرأة ينذر اصفرارها وانهزالها بما تعانيهِ من الاوجاع فتاملتها مليًا وقالت فليتمجد اسم الرب فقد نجع بها الدواء ونامت اخيرًا وللجمال اثار جلية في وجهها ولكن وا اسفي ان مثل هذا الاصفرار لا يومل بجانبهِ شفاء

وبالحقيقة ان ظلام الموت كان مخيمًا عليها وهي ساكنة الحركة لا يدل على ما لها من رمق الحيوة الا دقات قلبها الخفية فتنهدت ويتغريد وقالت يا لله ما اسوأ حظ هذه المريضة المسكينة «السيدة شبارد» فاني عند ما افكر بما تقاسيهِ في يقظتها من الالام اود لو تبقى على الدوام في غفلة الراحة ومن عجائب الله الغريبة ما تاتي لها عن ضربة جوناثان ويلد من رجوع عقلها اليها بعد ان كادت تبلغ بها ابواب قبرها وعند ذلك تحركت المريضة وفتحت عينيها الكبيرتين وارسلت تنهدًا عميقًا ثم وضعت يدها على جبهتها . وقالت اين انا

اجابت ويتغريد بين اصحابك واحبابك يا عزيزتي فاجهدت المريضة نفسها على التبسم وقالت انا هنا بجانب حبيبتي ويتغريد . . ولي اسفي كيف اخشى على الدوام من العود الى المكان المخيف الذي تركتهُ

قالت الصبية لا تخفي لان ابي وعد بان لا يتخلى عنك بعد الان

اجابت بحرارة كم انا مديونة لك ولابيك بالجميل فلولاكما لما رجع اليَّ عقلي وصحتي فالرب العلي يحسن عني مجازاتكما ثم جلست بغتة في فراشها وقالت ما الخبر عن ولدي . اجابت الفتاة عما قليل تصلنا اخباره لان تيمس ذهب لهذه الغاية الى لوندرا ونحن بانتظار رجوعه من دقيقة الى اخرى ثم اعارت انتباهها الى الخارج وقالت حضر تيمس وهذا صوت مسير جوادهِ

فصاحت السيدة شبارد تحنن عليَّ يا الهي

وبعد مرور دقيقة من الزمان كانت في اعين الارملة بمقام جيل من الاجيال دخل المستر ود وتيمس درايل الى الغرفة وكان الثاني لا يزال متأثرًا من الجراح التي اصابتهُ في الجنينة من اعدائهِ فالقت اليهِ السيدة شبارد نظرًا ثابتًا وقالت تكلم يا ولدي . . الموت او الحيوة

اجاب بصوت حزين قطع الامل واضمحل الرجاء

فصاح ود اشفق عليها يا الهي وغطت ويتغريد وجهها في احضان معشوقها لتخفي دموعها اما الارملة فلم تلفظ كلمة ولكنها اصيبت بدهشة الموت فوقعت على فراشها خائرة القوى بدون حركة ولكنها عادت فانتصبت فجأة على اقدامها وعينها ثابتة تقدح شرارًا وقالت في اي يوم يحتمل ولدي الام الموت

اجاب تيمس يوم الجمعة . قالت ما بقي لولدي اذًا في قيد الحيوة الا ثلاثة ايام . . ثلاثة ايام معدودة مريعة وكان منظرها وتجور عينيها ينذران بامكانية عود الجنون اليها فبكى لحالها المستر ود واما هي فاكملت حديثها وقالت ثلاثة ايام فقط . . ثلاثة ايام وكل شيء ينتهي . . . فها قد نصبت المشنقة وهي معدة للعمل امام اعيني ثم صاحت باعلى صوتها واعترتها رجفة عصابية شديدة فرفعت يديها تغطي بهما اعينها كانها تحجب عنها مناظر جهنمية فقال ود لا تيأسي يا جوكلين . . لا تيأسي يا حبيبتي فارسلت ضحكة شديدة فعلت في قلوب الحضور فعل الخنجر الحاد وقالت لا تيأسي . . لا تيأسي . . ومن ترى يعزيني على ولدي . . فقد بكيت كثيرًا حتى عميت عيوني وتالمت كثيرًا حتى تمزقت احشائي وقلبي وساعدم ولدي ايضًا فيقتل امامي وماذا يبقى لي من بعده خلاف اليأس والجنون ثم مسكت بيدها المرتجفة المستر ود من ذراعه وغيرت لهجة صوتها فقالت هل تعدني يا ود بان تنفذ وصيتي . اجاب نعم اعدك واقوم بوعدي فمري . قالت عدني بان تدفني مع ابني في قبر واحد تحت شجرة السرو في مقبرة ويلسدين . اجاب لبيك . قالت اني اشكر لك احسانك وفي

هذا المساء اريد ان اشاهد ولدي

قال تيمس لم تعد مشاهدته اليوم في الامكان فانتظري الى الغد فارافقك اليه

قالت . غدا يفوت الوقت وقلبي ينبهني الى ذلك فاذا لم ارهُ في هذا الليل لا اراهُ الى الابد واريد ان اباركهُ قبل موتي والله لا يبخل عليَّ بقوة استعين بها على الوصول اليهِ ثم التفتت الى من حولها وقالت دعوني يا اصحابي وحدي لاني في حاجة الى الوحدة لاصلي عن نفس ابني فسارع الحضور الى الخروج واغلقوا عليها الباب من الخارج بالمفتاح ولما انفردت في وحدتها جثت على ركبتيها وانكبت على صلوة حارة ذهبت بحواسها وافكارها عن الوجود فلم تشعر الاصوت بجانبها معروف منها حق المعرفة ينادي اماه فانتبهت وفي الحال صاحت بصوت الفرح المقرون بالمصاب وسقطت بين ذراعي ولدها جاك مغميًا عليها فضمها جاك الى صدره متنهدا وقال امي . . عزيزتي اني لست اهلاً لان اقابل منك بمثل هذا الفرح العظيم فعادت السيدة شبارد الى روعها وقالت جاك . . جاك . . ان الاعداء يطاردونك . . فالهرب . . الهرب . . الفرار . . الفرار . . دعني اعانقك العناق الاخير واذهب

اجاب . قبل ان افارقك اريد ان اسمع من فمك كلمة الصفح فاغفري لي يا امي وسامحيني

قالت بالله يا جاك لا تعود الى مكالمتي بهذه الالفاظ فان قلب امك ممتلىء بحبك بما لا يساع معهُ حقدًا عليك ثم مسكتها رعشة الخوف ومدت يديها نحو النافذة التي دخل منها جاك واهمل اقفالها كانها تريد ان تدفع عنها شرًا منقضًا عليها منها . وصاحت جوناتان . . جوناتان

فالتفت جاك واذا جوناتان امامهُ في النافذة فصاح خيانة . . خيانة عظيمة . . . . وليس لي سلاح ادافع بهِ . . وما من مفر من وجه عدوي وصاحت السيدة شبارد بصوت عالٍ النجدة . . النجدة

فوثب جوناتان الى داخل الغرفة وقال ان كانت حياة ابنك عزيزة لديك فاصمتِ لان صراخك لا يفيده بل ربما زاد في بلائهِ وكل من حاء [illegible] ملزوم بان يساعدني على ايقافهِ فوقع من كلامهِ على جاك وامهِ ثبات الخمول وبقيا صا[illegible] ينظران بجمود اليهِ وقد ترأى لاعينهما طويلاً قديرًا بما يشبه عفريتًا رجيماً وكا[illegible]ن فضلاً عن سلاحهِ العادي قضيبًا ضخمًا من الحديد معلقًا بسلسلة من المعدن في مفصل يده وبعد سكوت قصير قال هل لك ان تتبعني بدون مقاومة فلا تلجئني الى استعمال القوة

اجاب تعرف ذلك اذا سولت لك نفسك ان ترفع يدًا على جاك شبارد

قال ولكن رجالي على مسمع صوت مني . وانا مسلح . وانت بدون سلاح

اجاب انك صادق في كلامك ولكني لا اسلم نفسي حيًا فرمت السيدة شبارد بنفسها على

قدمي جوناتان وقالت اشفق على ولدي وارحم دموعي فانهضها جاك وقال لا اريد من هذا الخائن رحمة . . ومن كان مثلي لا يخشاه ولا يرهبهُ فرفع جوناتان قضيب الحديد الى ما فوق راسهِ ولكن ارادتهُ تغلبت على حنقهِ فعدل عن العمل وصاح هل تفكر يا جاهل ان ليس في وسعي ان اقبض عليك لو لم يكن لديَّ من الاسباب ما يحملني على الرفق بك

اجاب ان السبب الوحيد لرفقك هو خوفك من باسي

فصاح خوفي . . . .الفظ هذه الكلمة مرة ثانية واثبت امامي ان كنت شجاعًا

فارسلت الارملة الى ابنها نظرة الشدة وقالت لا تغيظهُ يا ولدي فلربما تكون نواياه حسنة

فالتفت جوناتان اليها وقال انك اعقل بكثير من ولدك

فصاحت السيدة شبارد خلصهُ . . خلصهُ يا جوناتان . . فاسامحك واشكرك واباركك . قال لي شرط واحد اقترحه عليكِ فاذا قبلتِ بهِ نجا ابنك اجابت الارملة وما هو شرطك قال ان تذهبي معي بدلاً منهُ فصاحت خذني . . خذني فاني طوع يديك ورمت بنفسها نحوهُ

فمسكها جاك وقال لا تقتربي منهُ ولا تصدقيهِ فمن تحت رماد هذا الكلام نار تتاجج بالشر

اجابت وهي تقاوم للتخلص من ولدها . دعني اسير بصحبتهِ

قال جوناتان اتبعيني . . اتبعيني يا جاكولين ولا تسمعي لهُ فاني اقسم لكِ باني اخلص حياتهُ واكون لهُ نصيرًا وصديقًا اذا قبلت بالاقتران مني بحيث تكونين امراة شرعية لي

فصاح جاك اه من اللص الشقي وحولت الام المسكينة نظرها نحو ابنها وقالت وعد يا ولدي بخلاصك وايد وعدهُ باليمين

اجاب اصغي لكلامي يا امي واعلمي بانهُ لم يتقدم اليكِ بهذا الطلب الا لتاكده بانك الوارثة الشرعية لعائلة السير مونتاكيت ولا يحول بينك وبين هذا الارث الا وجود اثنين وهما تيمس درايل والسير روفلاند فاذا فقدا عادت الثروة بكليتها الك او بالحري لهُ ايضًا اذا كان قرينك فهل فهمتِ الان

قالت لا اريد ان افهم غير خلاصك ياولدي

قال جوناتان اصبت ولكنك سترث انت ايضًا نصيبك من هذه الثروة

اجاب كذبت لانك لا تجهل تجردي عن حق الارث بعد ان حكم عليَّ بالاعدام . فاني احتقر تطلباتك وامي لا تتنازل الى حد ان تقترن منك

فصاح تتنازل . . وهل تزعم اني ارضى بالتاهل بامرأة مجنونة كامك لو لم يكن لي منها كسب مزيد . فصاحت الارملة صدق . . صدق . . فاني لا احسن الا لهُ خذني . . خذني . . فتقدم جوناتان نحوها وللحال عارضهُ جاك وصاح بصوت غضوب . ارجع الى الوراء واحذر من ان

تجسها بيدك . وانت يا امي عودي الى عقلك ولا تبيعي نفسك من هذا الظالم

. قالت اني ابيع نفسي وجسدي في سبيل نجاتك

فتح جوناتان ذراعيهِ وقال تعالي اليَّ فارتاعت لمنظره وصاحت خلصني يا ولدي وكان جوناتان قد قبض على الارملة يجرها نحو النافذة وهي تصيح مستغيثة فانقض عليهِ جاك وشد على عنقهِ ولكنهُ تخلص منهُ اخيرًا وضربهُ با لقضيب الحديدي فوقع على الارض صريعًا ثم ارسل صفيرًا عنيفًا طويلاً ولما لم يجبهُ احد صاح خيانة . . خيانة . . ولكني لا اذهب خاسرًا وبادر الى الارملة يجرها وهي تستغيث واذ فتح الباب ودخل تيمس والمسترود يتبعهما رجال مسلحون فهجم تيمس على خصمهِ والسيف في يده فاتخذ لهُ جوناتان من جسد الارملة المسكينة متراسًا منيعًا اعانهُ على النجاة من سيوف مطارديهِ وصاح اليَّ يا كيلت . . اليَّ يا ارنولد

قال تيمس لا تتعب نفسك با لصراخ لان رجالك في قبضة يديَّ فسلم نفسك

اجاب ابدًا

فوجه المسترود فرده نحو جوناتان وقال . اترك هذه المسكينة كفى تعذبها فرمى بالارملة وكان مغميًا عليها الى تيمس وقال خذها ثم انسل من النافذة واختفى

فصاح تيمس برجالهِ اتبعوهُ . . اتبعوهُ . . ولا تمكنوهُ من الفرار فسارع الجميع الى اطاعة الامر وكان جاك قد عاد الى وعيهِ فاقترب منهُ تيمس وقال جاك . . جاك ان الوقت ثمين فاسرع بالفرار ان استطعت وجوادي على الباب وفي سرجهِ فردان فاركبهُ وسر على بركات الله

قال جاك لديَّ افادات مهمة اريد ان اعلمك بها

اجاب . ان الوقت لا يسمح الان بالافادة فعجل با لفرار

قال عدني بان توافيني عند نصف الليل الى ويكستربت امام منزلنا القديم لنسعى في اخفاق مساعي اعدائك

اجاب ساوافيك في الوقت المعين فاتكل عليَّ

قال اودعك والملتقى نصف الليل ثم قبل امهُ وامتطى جواد تيمس وانطلق مسرعًا نحو لوندرا

جب الشيطان

عمد جوناتان بعد ان فاز بنفسهِ ونجا من مطارديهِ الى البحث عن معاونيهِ وكان قد اوقفهم بقرب المنزل ولما لم يجدهم سار الى حيث ترك عربتهُ فراها منقلبة الى الارض والسائق ممدد بجانبها وقد عهد بحراستها من قبل تيمس درايل الى رجلين فتقدم نحوهما والسيف في يده بما اخافهما فوليا الادبار من امامهِ وكان معاوناه مشدودي الوثاق في العربة ففك قيودهما وامر السائق بان يعجل في المسير فسارت الخيل تعدو بهم طفاحًا الى لوندرا حيث بعث

بمعاونيهِ للبحث عن جاك شبارد واتجه نحو سجن نيفكات و بدخولهِ الى دائرة الحراس دقت الساعة التاسعة وكان السجان مهتماً في اخراج الناس التي تواردت الى السجن بما بلغها عن فرار جاك شبارد واذيع الخبر بين جموع الناس باعلانات نشرتها الحكومة باحرف كبيرة ولصقتها على جميع جدار المدينة وصورتها

ان كل من يوقف جاك شبارد او يودي الى الحكومة الاعلامات الوافية بايقافهِ يكافى على ذلك بمائة ليرة استرلينية تدفع لهُ من يد سجان نيفكات

و بينما كان جوناتان يحادث اوستين وقد اخفى عنهُ خبر مواجهتهِ لجاك دخل اريتون السجان وقال ان جميع ابحاثنا على النار ذهبت ضياعاً فقد زرنا جميع المحلات التي يومل وجوده فيها عبثاً

قال اوستين ان الموسيو شوتبولت يدعي بانهُ قادر على ايقافهِ ولكنهُ يرغب في ان يتاكد صدق وعدك بدفع المائة ليرا قبل المباشرة في العمل

فصاح جوناتان وهل سبق لي ان نكثت بوعدي فقل لشوتبولت وغيرهِ باني مستعد لان ادفع المائة ليرا مضاعفة لمن ياتيني بجاك شبارد قبل صباح غد . . فهمت

اجاب نعم فهمت

قال مائتين ليرا استرلينية ادفعها لمن يقبض على جاك قبل صباح غد مقرونة بتشكر جوناتان و يلد فاعلم بذلك جميع اصحابك ورفقائك وخرج . فصاح اريتون وربي ان الجائزة كافية وافية لايؤسف بجانبها على التعب فمائتا ليرا من جوناتان و يلد يضاف اليها مائة ليرا من الحكومة ليست بعوض قليل للمخاطرة بالقبض على جاك شبارد وانا احق بها من شوتبولت ثم امر اوستين بان يضاعف الحراس و ينوب منابهُ في ملاحظة السجن وذهب فبقي اوستين وحده يندب سوء حظهِ اذ لم تسمح لهُ الظروف بالمسير كغيره من رفقائهِ وراء هذه الجائزة الثمينة

وذهب جوناتان بعد خروجهِ من نيفكات الى منزلهِ حيث امر البواب بان ينطلق خلف جاك شبارد مع غيره من الباحثين بما حمله على الارتياب في نوايا سيده حيث لم تسبق لهُ العادة بذلك ولما خلا المنزل بجوناتان صعد الى قاعة الاستقبال وجلس على كرسي عرضة للتاملات العميقة و بعد برهة انتصب بعينين تنبعث منها اشعة الشر بما يظهر منهُ انهُ عقد عزماً شريراً دفع اليهِ بعوامل الياس وقال وهو يتمشى بخطوات سريعة في ارض القاعة . نعم . . اعتمدت . . واعتمادي ثابت لايتزعزع . . فاربما لانجد فيما بعد فرصة موافقة للعمل كهذه ثم فتح خزانتهُ فاخرج منها زوجاً من الكفوف وورقة وضعها بجانبهِ وعاد فاغلقها بمزيد التحرس وعمد الى فردهِ وسيفهِ ففحصها بدقة ثم الى قضيبهِ الحديدي فاعمل فيهِ النظر وقال هذا السلاح المأمون العاقبة فهو منضل على غيره

وساعدته لاتمام بغيتي و بعد ان انتهى من فحص السلاح تقدم نحو الحائط يضغط باصبعهِ على لولب فيهِ ففتح باب خفي ظهر من ورائهِ جسر ضيق يمتد على هوَّة عظيمة مستديرة يظهر من فمها المتسع انها جب عميق مظلم سماه جوناتان بجب الشيطان و ينتهي الجسر المذكور بدرجات تقود الى باب كان وقتئذٍ مفتوحًا فقطع جوناتان الجسر واقفلهُ واخرج المفتاح من القفل ثم عاد و بوصولهِ الى منتصف الطريق قرب قنديلة من فم تلك الهوَّة الجهنمية يتامل عمقها المظلم وكان في اسفلها ماء قليلة مسودة ثم ترك الباب الموصل اليها مفتوحًا ورجع الى قاعة الاستقبال فاخرج لحماً وعرقًا ونبيذًا و بدا يشرب و يأكل و بعد نهاية الطعام سمع صوت قرع الباب فبادر الى فتحهِ وكان القارع كيلت ارنولد وابرهيم مانديز فاعلماه بانهما لم يتوفقا الى ايجاد جاك شبارد فامر جوناتان كيلت ارنولد بان يسرع الى معاودة البحث وان لا يرجع بدون الغريم وادخل ابرهيم مانديز الى المنزل واقفل الباب من خلفهِ وقال اني في حاجة اليك لمعاونتي في العمل الصغير الذي اخبرتك عنهُ في هذين اليومين فاصعد الى فوق حيث اعددت لك عرقًا جيدًا ثم سار واياه الى القاعة وهناك ناولهُ قدحًا كبيرًا من المدام فازدردهُ دفعة واحدة ومدح من جودة المشروب فقال جوناتان ان هذه القنينة هي لك تشربها بعد نهاية المهمة

اجاب . واي مهمة تريد ياسيدي . قال مهمة روفلاند فاني بانتظار حضورهِ في كل دقيقة . . فعندما تدخلهُ عليَّ اختفي وراء الرداء واحذر من ان تبدي حركة تكشف عن مكان وجودك قبل ان الفظ الكلمات الاتية وهي . . . امامك ياحضرة السير سفر طويل . . . وهذه العبارة هي علامة العمل بيننا . قال مانديز احسنت ياسيدي لان سفره بعدها سيكون طويلاً شاقًا . واذ قرع الباب

فصاح جوناتان ها هو قد حضر فاسرع وادخلهُ اليَّ وانما لا تظهر من هيئتك ما يحمل على الارتياب قال لاتخف وحمل القنديل وخرج و بقي جوناتان وحده فارسل نظرًا عامًا الى جميع جهات القاعة وهيأ كرسيًا اداره ظهرها نحو الباب لجلوس ضيفهِ الجديد ووضع القنديل على المائدة بما جعل مدخل القاعة مظلمًا ثم جلس مكانهُ ينتظر قدوم السير روفلاند واذا بهِ قد دخل يلتف برداء متسع وجلس على الكرسي المعدة لهُ وكان ابرهيم مانديز قد وضع القنديل بقرب مدخل الجب واقفل بحرس باب القاعة وانزوى مختفيًا وراء الباب المذكور بما اوهم السير روفلاند انهُ خرج فخلع رداءه والقى على المائدة كيسًا مملوءًا بالذهب هرع جوناتان في الحال الى فتحهِ وعدهِ ثم دفع اليهِ رزمة من اوراق البنك فتاملها وقال ان اعمالك تؤيد شرفك ياحضرة السير فقد وفيتني المبلغ الذي اتفقنا عليهِ بتمامهِ قال روفلاند نعم فاكرم عليَّ بالوصل

اجاب ما من لزوم لهُ ومع ذلك فاني لا ابخل عليك بهِ ما دمت ترغب في الحصول عليهِ

وكتب على ورقة ماصورتهُ

وصلني من السير روفلاند مبلغ خمسة عشر الف ليرا استرلينية تحريرًا في ٣١ اب سنة ١٧٢٤ كاتبهُ جوناتان ويلد

وقال هل يكفيك ذلك

اجاب يكفي وهذه المعاملة هي اخر المعاملات بيننا

قال اومل ان لايكون كذلك

اجاب السير روفلاند بل هكذا سيكون ومن الان اودعك وداعًا اخيرًا حيث ما عدت تراني في لوندرا . وقد دفعت لك هذا المبلغ العظيم عن غير استحقاق منك لانك لم تفِ الى الان بشيء من تعهداتك . واعتمدت على السفر الى فرنسا حيث امضي فيها الباقي من حياتي اما من جهة ابن اختي فقد اتخذت الاحتياطات الوافية لارجاعهِ الى حقوقهِ بعد موتي

اجاب جوناتان وقد ظهرت عليهِ اثار القلق اومل ياحضرة السير ان لايكون فيما اتخذت من الاحتياطات شيءٌ يمس لي قال ما دمت حيًّا لاتخف شيئًا وانما لايمكنني ان اجيبك عما سيأتي عليك بعد وفاتي

فصاح جوناتان مضطربًا ياللبلاء ان هذا العمل قد غير كنه المسألة ثم التفت بالسير روفلاند وقال اي متى اعترفت بخطاياك ياحضرة السير اجاب بخشونة لا يعنيك . قال اني لا اثق بكهنة استامنتهم على سرك فاخبرني اي متى حصل منك ذلك

اجاب قبل مجيئي لمواجهتك فارسل صوتًا على غير انتباه منهُ ونهض واقفًا مترددًا في افكاره يعلوهُ اصفرار الاضطراب فقال روفلاند ان اشغالي تدعوني الى التعجيل في مبارحة منزلك وانما اريد قبل ذهابي ان تمدني بمانعرفهُ عن اصل تيمس درايل اجاب لبيك فقد تنبأت قبل حضورك بما سيكون منك لجهة هذا السؤال وهيأت لك الاوراق المتعلقة بهِ فخذ اولاً هذه الكفوف وحقق فيها نظرًا فانها كانت في يدي ابي تيمس درايل في نفس ليلة مقتلهِ ومن اكليل الكونتية المرسوم عليها تعلم حقيقة درجة صاحبها في الهيئة الاجتماعية

فارتجف روفلاند وقال يظهر ان الرجل كان شريفًا

اجاب جوناتان وقد دفع اليهِ ورقة مطوية ان هذا التحرير يطلعك على الحقيقة

فنظر روفلاند اليهِ وصاح مرتاعًا ماذا ارى . . فاني اعرف هذا الخط . . وهو خط صديق صادق لي قتلتهُ ولم اراعِ حرمة صداقتهِ . . وااسفي ان اختي المسكينة كانت صادقة في كلامها وعلمها . . . فآه ياالهي . . اه ياالهي . . . ما اعظم جنايتي

قال جوناتان بشراسة ان ندمك جاء بعد اوانهِ ياحضرة السير

اجاب روفلاند لا . . لم يفت الوقت بعد فلا بد من القيام بالترضية الواجبة عليَّ لابن شقيقتي ومن الان اباشر العمل فارد اليهِ جميع املاك العائلة وفي هذه الليلة نفسها اسافر الى مانشيستر

اجاب جوناتان الاصوب ان تتناول قبل ذهابك شيئاً من المرطبات لان «امامك ياحضرة السير سفر طويل» وللحال انقض ابرهيم ماندبز على السير روفلاند من خلفهِ فغطى راسهُ بقطعة من الجوخ الطويل وشد باطرافها اليهِ وفاجاه جوناتان ويلد من الامام بقضيبهِ الحديدي المخيف يضربهُ بعزم على راسهِ فتدفقت بذلك ينابيع دمائه فعام الجوخ بالدماء وجوناتان مداوم الضرب بما الجأ الجريح الى دفاع الياس فمزق بيديهِ الغطاء المحدق براسه بما كشف عن وجه غارق بالدماء وكان المشهد مخيفاً الى حد ان اصفر لهُ القتلة وتاخروا الى الوراء يروعهم هول منظره فعمد روفلاند وهو في غيبوبة النزع الى سيفهِ وكان ابرهيم ماندبز قد جرده من غمده واخفاه ولما لم يجده ارسل تنهداً عميقاً ولم يلفظ كلمة فصاح جوناتان اجهز عليه وكان قد رفع السير روفلاند يديهِ المرتجفتين يمسح بهما الدماء السائلة على عينيهِ بما يولف حجاباً كثيفاً فشاهد الباب الموصل الى جب الشيطان مفتوحاً واندفع الى داخله هارباً

فصاح جوناتان القنديل . القنديل فلباه ابرهيم ماندبز بان حمل الضوء وتقدم واياه الى جهة الجب حيث اشتبك ثم قتال عنيف مخيف بين جوناتان وخصمه فان السير روفلاند كان قد قطع الجسر مذعوراً ورمى بنفسه نحو الباب الخارجي عند منتهى السلم الصغير ولما لم يتمكن من فتحهِ انقلب راجعاً للمقاومة قتلتهِ فانقض على جوناتان وتعارك واياه جسماً لجسم وكان الجسر يموج تحت اقدامهما بما رجح لدى ابرهيم ماندبز امكانية سقوطه بالمتقاتلين فلم يجسر على التقدم لنجدة مولاه وبقي جامداً على عتبة الباب ينظر اليهما خائفاً والقنديل بيدهِ ولم تدم هذه المعاركة المحتدمة بنار الياس زماناً طويلاً حيث ما لبث جوناتان ان استخلص يده اليمنى من خصمه وضربهُ بقضيب الحديد ضربة شديدة انفلقت لها راسهُ ثم رفعهُ بيديه يعينه على ذلك احتدام الغيظ الى ما فوق درابزون الجسر ورمى به الى الاسفل فتوصل السير المسكين بما يتولد في الانسان من تنبه القوات العصابية عند النزاع الى التمسك بالدرابزون بعزم وصاح وخيال الموت ظاهر في عينيهِ ارحمني ياسيدي ارحمني

فلم يجبهُ جوناتان الا بالبحث على سكين يقطع بها قبضتي فريستهِ ولما لم يجد لجأ الى قضيبهِ الحديدي فكسر بهِ قبضتهُ اليمنى وسحق بنعليهِ اليسرى فهوى القتيل الى اسفل الجب وسمع لسقوطهِ في الماء صوت عنيف فصاح جوناتان القنديل القنديل

فحول ابرهيم ماندبز باشعة ضوئهِ الى قاع المكان بما كشف عن السير روفلاند يخبط بدمائهِ على وجه الماء وهو يجهد القوى عبثاً في طلب تسلق الجدار فصاح الخادم اطلق عليهِ الرصاص ياسيدي وضع حداً لما يعانيهِ من ضروب العذاب اجاب لاحاجة لذلك فالموت امامهُ كيفما اتجه ثم سمع انين

القتيل وكان يتناقص و يضعف من دقيقة الى اخرى الى ان انقطع تماماً فقال جوناتان قضي الامر فلنذهب الى القاعة وتقدما نحو الباب فاذا هو مقفل عليهما وكان من المستحيل فتحهُ من الداخل فصاح جوناتان ماذا فعلت ياابرهيم فقد حجرت علينا الى الابد في هذا السجن الجهنمي

اجاب ابرهيم مرتبكاً ولكنهُ يمكننا النجاة ياسيدي من الباب الثاني

قال انهُ محصن بالقضبان الحديدية فلا يسعنا منهُ نجاة

اجاب علينا اذاً بالاستغاثة

فصاح جوناتان بصوت مخوف مرتجف ومن يمكنهُ ان يصل الى هنا ياشقي وهل نسيت لما تركنا في القاعة من الذهب والدماء . . . فان جبنك هو منشأ كل هذا البلاء· ولا اعلم ما الذي يوقفني عن الاقتصاص منك فازج بك الى الهاوية

العشا عند الموسيو كنيبون

كان الموسيو شوتبولت على اتم الاقتناع بان جاك شبارد لا يتاخر عن ان ينجز بوعده و يتناول العشاء عند الموسيو كنيبون بما قوى بهِ امل التوصل الى القبض عليهِ فسار من نيفكات الى سجنهِ الجديد يهيء معدات العمل و بقي مدة يتردد بين ان يذهب وحده او يستصحب رفيقاً ولكن حب الاستئثار بالمال تغلب اخيراً على الخوف فاعتمد على الانفراد في المهمة والجائزة بحيث لا يكون لهُ شريك فيها فتدجج بالسلاح الى اسنانهِ وتأبط بحزمة من الحبال وانطلق في قضاء مهمتهِ وقبل الذهاب الى و يكستر يت مر بسجن نيفكات يتفقد الاخبار فاعلمهُ اوستين بان جوناتان و يلد ضاعف الجائزة والحكومة وعدت بمائة ليرا اخرى بما يولف مجموعه ثلاثمائة ليرا استرلينية تدفع لمن يقبض على جاك شبارد فطار لذلك سروراً وقال لا تنم يا اوستين في هذا الليل اجاب ولماذا قال لانك لا تلبث ان تستفيق بقدوم السجين قال اوستين اني على يقين من عدم نجاحك وان شئت راهنتك على ذلك بعشرين ليرا انكليزية اجاب شوتبولت عقدت المراهنة بيننا فان جئت خاسراً دفعت لك المبلغ والا استوفيتهُ منك فيكون مجموع ما ساقبضهُ غداً ثلاثماية وعشرين ليرا انكليزية ثم نادى بالسيدة سبيرلنك وقال اشهدي على صحة هذا العقد وانصرف فارسلت السيدة سبيرلنك كالبيان من خلفهِ وقالت سر في اثره بحيث لا يراك وعد اليَّ بالصحيح من اخباره

واتجه الموسيو شوتبولت بعد مبارحة نيفكات يقصد منزل الموسيو كنيبون فاستاجر في طريقهِ مقعداً بحملهُ اثنان امرهما ان يتبعاه عن بعد و بوصولهِ الى جوار المنزل اشار اليهما بالوقوف ثم ادخلهما الى ممر مظلم وقال انتظراني الى ان ارسل اليكما من يدعوكما اليَّ لاني من ضباط الحكومة ومرادي ان اوقف رجلاً جانياً اعهد بهِ اليكما فتحملانهِ على مقعدكما وتسيران بهِ سريعاً الى نيفكات

قال الرجلان وماذا تدفع لقاء ذلك ياحضرة الضابط اجاب خمس ليرات استرلينية ادفع

لكنا منها الان ليرتين سلفًا

قال فاتكل علينا اذاً ياحضرة الضابط وثق بان اسيرك لا يسهل عليه الفرار من مقعدنا كما سهل على جاك شبارد الفرار من نيفكات

اجاب عفاكما الله وتقدم نحو الباب بقرعه ففتح له خادم فسأله عما اذا كان الموسيو في المنزل واذا به اقبل برداء النوم وقال انني امامك مستعد لخدمتك فماذا تريد

اجاب اريد ان ارفع اليك كلمة سرية فهل لك ان تسمعها لي

فامر الموسيو كنيبون خادمه بان ينصرف عنهما الى المخزن وقال تكلم الان

اجاب شونبولت ان جاك شبارد فر من نيفكات

قال دعنا من الهزيان فاني منذ ساعات قليلة نظرته مكبلاً بنحو نصف قنطار من الحديد ومحجورًا عليه في امكن واحصن قاعة من نيفكات . فلا اظن كلامك صحيحًا

قال لا ياسيدي لا تشك في صحة الخبر فهو اكيد ثابت وقد كنت في سجن نيفكات ساعة الفرار ولا بد من حضوره لمناولة العشا عندك حيث وعدك بذلك ثم اطلعه على خطته وما عزم عليه

اجاب كنيبون لاباس فاني لا اقاوم في ايقافه وانما لا اتكل على مساعدتي في اجراء هذا الايقاف واذا انجز جاك وعده وحضر لمناولة الطعام عندي فيكون من واجباتي ان انجز له بوعدي ايضًا فلا امكنك من القبض عليه قبل نهاية العشاء

قال لامانع من ذلك بشرط ان لا تمكنه من الفرار ثم دخل واياه الى قاعة مدت فيها مائدة العشاء فسأل شونبولت اين يمكني الاختفاء ياسيدي اجاب تحت المائدة وغطاؤها الطويل يحجبك عن الابصار فلا يراك احد وهو خير مكان للاختباء

قال شونبولت ولكن ياسيدي ماذا يكون منك اذا استصحب جاك معه بوبلو او غيره من اللصوص اجاب آتي لنصرتك فتتعادل القوتان قال احسنت وانسل الى تحت المائدة

فقال كنيبون اذكر ما قلته لك والحذار من ان تظهر قبل نهاية العشاء اي قبل ان اقرع لك بيدي قرعتين على المائدة ثم امره بان يستكن في مكانه ويلازم السكوت حيث مراده ان يدعو الخادمة لقضاء بعض الحاجات وقرع الجرس فحضرت في الحال فتاة جميلة الوجه حسنة الطالعة فقال كنيبون زيدي ياراشيل في عدد المعدات واكثري الطعام لاني بانتظار ضيوف ياكلون على مائدتي . اجابت الان . قال نعم وحضري لنا ايضًا عددًا من قناني النبيذ الجيد . اجابت وهل لك ما تريده غير ذلك قال لا حيث لا ارى لزومًا لاستخدام اواني المائدة الفضية . قالت الظاهر ان ضيوفك لا يستحقون هذا الاكرام . اجاب لربما ورفع طرف الغطاء فظهر شونبولت من تحت المائدة وصاحت الفتاة مذعورة ماذا ارى . . رجلاً . . قال شونبولت طوع امرك ياسيدتي

قال كنيبون كفى الان واذهبي لاتمام اوامري فاطاعت وهي في تشوق مزيد للوقوف على الحادث وما لبثت ان رجعت تحمل طعامًا ونبيذًا . فقال كنيبون ان الرجل الذي دعوتهُ للعشاء في هذا المساء هو من افراد الناس

قالت اتعني الرجل الجالس تحت المائدة . اجاب لا بل غيرهُ . قالت ومن يكون

اجاب . جاك شبارد فصاحت جاك شبارد . . . اللص الشهير . . . اني كنت اظنهُ مسجونًا في نيفكات . قال نعم ولكنهُ خرج منهُ وسيعود اليهِ بعد العشاء . اجابت اه لو تيسر لي معرفتهُ لان الناس تمدح كثيرًا من جماله واعتداله بما شوقني الى رؤياهُ

قال اني آسف لعدم تمكني من اتمام رغائبك وحيث لم يعد لي حاجة بك فالاصوب ان تذهبي الى فراشك . فانعت في الذهاب وقالت انها لاتستطيع نومًا قبل مشاهدة جاك شبارد فانتهرها كنيبون وقال لها سيري الى غرفتك واياك والخروج منها بما اجبرها على الانصراف وهي تقول في نفسها لابد من رويا جاك شبارد ولو كلفني ذلك الموت

وبعد نصف ساعة سمع قرع الباب فصاح كنيبون حضر . حضر . فاختفِ جيدًا ياشوتبولت ولا تخالف تعلياتي . وكان القارع جاك شبارد فتقدم ملتحفًا برداء مشبع القاهُ بدخولهِ على المقعد وكان كعادتهِ متقن اللباس وقد اعار ثيابهُ في تلك الليلة عناية خصوصية فترتدي بسترة من المخمل الاسود مزركشة بالشرائط الفضية وصدرية من الاطلس الابيض مطرزة بالفضة وحذاء من الجلد الاحمر مزدان بازرار من ماس وجرابات من الحرير المذهب وفي وسطهِ سيف ثمين بقبضة من الفضة وكان منظر ثيابهِ يزيد في بهاء طلعتهِ وجلال قامته

فاقترب الموسيو كنيبون منهُ وحياهُ بوقار مزيد فاجابهُ على تحيته ببرود ثم ارسل نظرًا الى المائدة وقال يظهر لي انك بانتظار قدومي

اجاب نعم حيث بلغني خبر فرارك من نيفكات فكنت على يقين دائم من مجيئك

قال قد رتني حق قدري لاني لم انكث الى الان بوعد صدر مني لغيري ولا افرق في ذلك بين عدوي وصديقي وساحافظ على هذا المبدإ الى الابد

اجاب تفضل واجلس لان العشاء بانتظارنا فاتجه نحو الباب وقال اسمح لي بان اتيك باصحابي اولاً ثم عاد ومعهُ بول ماجوت وادجورت بيس ومن خلفهما بو بلو ملتفًا برداء عريض وبدخولهِ استند الى الحائط وطفق يضحك شديدًا

فراى الموسيو كنيبون ان يشير الى شوتبولت بانفاذ مهمتهِ ولكنهُ فكر بانهُ لابد من وقوع فرصة انسب من هذه للعمل فاجل الاجراء واحجم عن التهور ودعا السيدتين بيس وماجوت الى الجلوس اما بو بلو فانحاز الى المائدة بدون ان يكلف صاحب المنزل الى اتقال الدعوة وتناول في الحال

دجاجة يلتهمها ثم صب خمراً في كاس وقال بصحتك يا خواجه كنيبون فلم يجبهُ على ذلك ولكنهُ التفت بالسيدة يحس وقال هل تاذنين لي بان اصب لك قدحاً من النبيذ

اجابت بمزيد السرور وكانت قد انتبهت الى خاتم من ماس في اصبعهِ فقالت ما اجمل هذا الخاتم . فقدمهُ لها في الحال وقال ابقيهِ لك تذكاراً مني

وكان جاك مشغلاً عن الطعام بالتفكر

فقال لهُ كنيبون ما بالك لا تاكل

اجاب بوبلو ان حضرة القبطان لا ياكل كثيراً ولكني انوب منابهُ بما يقيهِ شر العتاب ثم ضحك وقال هل تذكر يوماً تناولنا فيهِ العشاء سوية مع جوناتان ويلد في نفس هذا المكان

قال نعم اذكر ولكن الاحوال تغيرت كثيراً ثم اتجه نحو جاك شبارد وقال كم من الحوادث جرت بعد ذلك الحين يا حضرة القبطان

اجاب . حوادث كثيرة اود لو انها لا تخطر على بالي فان السيدة ود ضربتني كفًا في ذلك المساء وفي نفس هذه القاعة كان من نتائجهِ ان صرت لصًا شقيًا كما تراني

قال بوبلو ولكنها نالت جزاء ما جنت يدها

اجاب جاك صدقت وانما يا حبذا لو قضي عليَّ وقتئذٍ من يدها كما قضي عليها بعدئذٍ من يدك فقد كان ذلك المساء منشأ همومي ومصائبي ففيهِ قطعت وبتغريد حبال امالي . فانقدت الى مشورة جوناتان ويلد الشريرة بما اوصلني الى هذا المصير

قالت ادجورت بيس وفي تلك الليلة يا حبيبي اسعدني الحظ برؤياك

قالت ماجوت وانا ايضاً

فنهض جاك يمشي على قدميهِ بخطوات سريعة وصاح . . يا لها من ذكرى مخيفة ترتعش لها اعضائي فتاثر بوبلو لحالة سيدهِ وقال ما بال حضرة القبطان مضطرباً

فردد جاك قولهُ ما بالي . . . ما بالي يا بوبلو . . . اني منذ زمن تجلت اثامي المريعة امام اعيني تعلمني بفظاعة وجودي . . فقد كنت منذ تسع سنوات صالحًا . . سعيداً . . اشتغل في هذا البيت بادارة رجل كريم فاضل سرقتهُ ولم اراعِ حرمة جميلهِ . . سرقتهُ مرتين يا بوبلو وانت تعلم . . . كان لي صديقًا في طفوليتي ففقدتهُ بعملي . . . وام شفوقة القيتها في لجة اليأس والمصاب فكيف بريحني ضميري

فنهض بوبلو نحو مولاه وقال كفى . . كفى يا حضرة القبطان وان انقلت عليك ذنوبك فالقِ باحمالها عليَّ

فصاح ابعد عني يا شقي ارجع الى الوراء

قال أكثر من شتمي وسبي لاني لا ارغب الا في راحتك
فعاد جاك الى السكوت وقال فقدت عقلي وكان كنيبون قد تاثر بما رأى وسمع فسأله وهل ندامتك حارة صادقة يا جاك
اجاب و بفرض كونها صادقة فماذا يعنيك وما هو وجه نفعك من ندامتي قال كنيبون لا شيء يا حضرة القبطان ولكني لا اتمالك اخفاء سروري عندما اسمع باهتدائك الى صراط الحق ثم اخرج علبة سعوط تناول منهـا نشقة وإعادها الى عبه فلمحتها ادجورت يبس وصاحت لله ما ابدع هذه العلبة فهل هي من ذهب . قال من خالص الذهب ودفعها اليها فتداولتها الايدي الى ان وصلت الى بوبلو فتاملها ووضعها في جيبه وكان جاك شبارد مشاهدًا لحركاته فتقدم منه وصاح به ارجع العلبة الى صاحبها اجاب ولكن ياسيدي . قال ولكن ماذا . اجاب ان امتناعك عن مهنتك لا يفيد ان تمنع الغير عن معاطاة اعمالهم ايضًا وتوقف دولاب الاشغال
ثم ملأ جاك اقداح المدام وقال فلنشرب يا خواجه كنيبون كاس اقتران تيمس درايل القريب من ويتغريد ود فعض كنيبون على شفته حنقًا وإعاد القدح الى المائدة متمنعًا عن شربه فاصفر جاك شارد لتردده وصاح ماذا هل ترفض كاسًا عرضتها عليك . . قال نعم ارفضها . فاستشاط جاك لذلك غيظًا وحاول الانتقام منه وإذ فتح الباب ودخلت الخادمة راشيل وهي تنظر بعين الاهتمام الى المدعوين وقالت هل يريد سيدي مني شيئًا قالت ماجوت لربما يريد ملاعقًا فصاح كيبون بغضب لا حاجة لي بك فاخرجي اجابت لا . . لا اخرج . . فقد جئت لمشاهدة جاك شارد ولا اذهب ما لم اكتفِ من مشاهدته حيث قلت لي بانه سيعود بعد العشاء الى نيفكات وإنا لا اريد ان اضيع مثل هذه الفرصة سدى
فهرع بوبلو اليها يسالها عما اذا كان كنيبون قد قال لها ذلك ثم وضع يده بيدها وقال هاكي القبطان شارد وإنا قائمقامه وإسمي القائمقام بوبلو فكيف رايت اجابت حسنًا . ولكن ابن الرجل الذي نظرته منذ ساعة تحت المائدة وسمع جاك هذه العبارة فصاح خيانة . . خيانة . . ودفع المائدة بيديه الاثنين فهوت بما عليها الى الارض وتكسرت الاواني والقناديل وكادت تخيم الظلمة الكثيفة لولا ضوء ضعيف في يد راشيل وفي الحال انتصب شوتبولت واقفًا ووجه فردهُ نحو جاك وقال سلم نفسك وإطلق الرصاص ولكن بوبلو كان قد بادره بضربة على راسه فسقط الى الارض وذهبت الرصاصة الى الحائط بدون ان تصيب احدًا ولم تطل مدة العراك لان بوبلو كان اقوى من خصمه فتغلب عليه وجردهُ من سلاحه وقيده بما وجد معهُ من الحبال التي كان قد هيأها للقبض على جاك شبارد
وفي اثناء ذلك اقتربت ادجورت يبس من راشيل وتهددتها بالموت اذا حاولت الصياح

او الخروج من الغرفة اما جاك فتقدم نحو كنيبون متهددًا وقال لقد خرقت حرمة حقوق الضيافة يا حضرة الخواجا فجئت الى بيتك متفيئًا ظلّ كلامك ولكنك خنتني

اجاب كنيبون باحتقار ان الاستقامة والصدق لا يعامل بهما من كان مثلك جانيًا

قال انك احق مني بما تنسب اليّ من المنكرات لانك خنت من احسن اليك وحسن حظي تحسبت من غشك لاطلاعي على حقيقتك

قال اني لا افهم مقالك

اجاب سوف تفهم. فاين الاوراق التي اوتمنت عليها من السير روفلاند

فصاح كنيبون منسلًا . . وما هي هذه الاوراق

قال جاك ان نكرانك لا يفيدك شيئًا . ففي الليلة الماضية قد اختليت بالسير روفلاند عند الاب سبنسير فدفع اليك ورقتين وكلفك بان تحمل الواحدة منها الى معلم اعترافه في مانشيستر والثانية الى المسترود فاتني بهما في الحال

قال ابدًا . مطلقًا . فوجه جاك فردهُ نحو مقتلهِ وصاح فاذًا موتًا تموت في هذه الساعة فاني امنحك دقيقة للتامل لا ينجيك في نهايتها شيء من رصاصي وتبع ذلك سكوت قصير المدة فوضع جاك اصبعهُ على زناد فرده وقال مضى الاجل المضروب فصاح كنيبون بربك قف قليلاً واخرج من جيبهِ ورقتين رمى بهما الى الارض وقال هاك خذهما فالتقطهما جاك في الحال وقال ان هاتين الورقتين يشتان ولادة تيس درايل فيسال بهما ما يقر رايهِ لهُ من سمو المكانة عند ويتغريد ود ان شاء الله

واثارت العبارة الاخيرة في قلب كنيبون نار الحسد فتجدد فيهِ الميل الى الشر وتناول عصاة عمد بها الى شج راس خصمهِ لو لم تبادر بول ماجوث الى القبض على يده فاستل جاك سيفهُ وصاح دافع عن نفسك ايها الجبان

قالت ماجوث دعني يا حضرة القبطان حتى الاعتناء بمجازاتهِ لان بيننا حساب قديم العهد اريد ته فرد جاك السيف الى غمده وقال افعلي واما لا تشفقي واتجه نحو شوتنولت وكانت بول ماجوث قد هيأت نفسها وتسلحت بقضيب ضخم فاقبلت نحو كنيبون تهز عصاها وقالت ما رايك الان

اجاب ابعدي عني ولا تلزميني الى مصارعتك فيقال اني رفعت يدًا على امراة

قالت ارفع يدك عليّ ولا تخشَ لومًا ولطمتهُ بيدها على خدهِ فهجم عليها واشتبك بينهما العراك وهي تضربهُ وتقعده ولا تنيلهُ منها مرادًا بما انهك قوته وكان جاك في اثناء ذلك قد تمكن بمساعدة بو بلو من رفع المائدة فوضع عليها ورقًا ودواة وقلمًا ثم حل يدي شوتنولت واجبره على الانحياز اليها وحول فرده نحو راسهِ وقال اكتب لما امليهِ عليك

فلم يجب بشيء ولكنهُ ارسل اينًا يترجم عن وفرة مصابهِ

قال اكتب (اني فزت بالقبض على جاك شبارد فاصبحت الجائزة من نصيبي فاستعد وللملاقاتهِ حيث لا يلبث ان يصل اليكم بعد هذه التذكرة بدقايق قليلة) . وبعد نهاية الكتابة قال امض وحرر العنوان باسم الموسيو اوستين معاون سجان نيفكات ففعل وللحال تناول جاك التذكرة وقال من يحمل هذه الورقة الى بيفكات . قالت راشيل في المخزن غلام من خدم الموسيو كيبون لا يرفض اتمام اوامركم فدفع جاك اليها التذكرة وقال سر معها يا بو بلو وحرصةً على سرعة انفاذ المهمة فقدم بو بلو يده بوقار الى راشيل وخرج واياها في طلب الخادم



وحول مرده نحو راسهِ وقال اكتب ما امليهِ عليك

وكانت المعركة بين الموسيو كيبون و بول ماجوت قد قاربت النهاية ففازت الامرأة على خصمها بان جردتهُ من سلاحهِ وارسلت عصاها تأكل من اكتافهِ وقالت هاك ضربة لحساب السيدة ود . فصاح بصوت مرتجف ارحميني . قالت وهاك ثانية لحساب السيدة ويتغريد وهاك ثالثة لحسابي وكانت الضربة الاخيرة شديدة الى حد ان سقط المضروب من جراها الى الارض

غائبًا عن الوعي فشدت وثاقهُ وكان بو بلو وراشيل قد عادا الى القاعة

فقال جاك هل انفذتما امري

اجاب بو بلو نعم يا سيدي انفذناه وارسلنا التذكرة حسب طلبكم الى نيفكات وكان جاك قد حرر تذكرة اخرى فخنبها والف منديلةً على وجه شوتبولت بحيث لا تسهل معرفتهُ وارخى قبعتهُ على عينيهِ ثم اجبره على المسير امامهُ و بو بلو يسوقهُ رفسًا برجلهِ الى ان وصلا بهِ الى باب الشارع ففتحهُ بحرس ونادى بصوت شوتبولت يستدعي حاملي المقعد فسارعا اليهِ وللحال حملاهُ مع بو بلو اليهِ واقفل عليهِ الباب وقال اسرعا الى نيفكات ولا تفقا بهِ الا داخل السجن وها كما تحرير الى اريتون كبير السجانين فسلماه لهُ

اجاب واين حضرة الضابط الذي استاجرنا

قال من العبث ان تنتظراه هنا فهو منهمك في حساب لهُ في المنزل فتقدماه الى نيفكات والتحرير يتضمن كل شيء

فاكتفيا منهُ بهذا الايضاح وانطلقا باسيرهما مسرعين نحو نيفكات وكانت بول ماجوت وادجورت بيس قد تبعتا جاك ورفيقهُ الى الباب فاقترب بو بلو منهما وقال على مَ عولتما اجابا على العود الى المائدة لاتمام العشاء فمسك جاك بذراعيهما وقال اسمعاني قليلاً . فقد عزمت على مفارقتكما ولربما لا اراكما الى الابد . فامامي سفر طويل ومن يعلم اذا كانت الظروف تسمح لي فيما بعد بالعود الى بريطانيا فاشاهدها قبل وفاتي

فصاحت بول ماجوت استحلفك بالله يا جاك ان لا تفعل ذلك

قالت ادجورت بيس ان بعدك يا حبيبي يمتني فريسة اليأس فعانقهما وقال استودعكما الله ثم دفع اليهما مفتاحًا وقال اعطيا هذا المفتاح الى بابتيست كيتليبي فيسلمكما صندوقًا مملوءًا بالذهب والجوهرات فاقتسما الذهب فيما بينكما اما الجوهرات فاحتفظاها مني لكما تذكارًا دائمًا ثم عاد فعانق الامرأتين ثانية وقال استودعكما الله . . . استودعكما الله . . . وابتعد عنهما مسرعًا فعهد بو بلو بدوره الى راشيل فقبلها وودعها وانطلق وراء سيده

ولنعد الى حاملي المقعد فانهما جدا باسيرهما الى ان بلغا سجن نيفكات فقرعاه بقوة وسمع الحراس الصوت لان التذكرة المضاة من شوتبولت كانت قد وصلتهم ونبهتهم الى قرب قدوم السجين فهرعوا في الحال الى الباب ففتحوهُ ودخلوا بالمقعد الى دائرة الحراس واحدقوا بالاسير يظنونهُ اللص المطلوب وهنا يصعب على القلم ايراد حقيقة ما ناب الحضور من الدهشة والاستغراب لدى رؤياهم في المقعد شوتبولت مشدود الوثاق بدلاً من جاك شبارد فعلت من بينهم ضجات الضحك الشديد وانطلقت السنتهم في سرد الافتراضات والتقولات التي تبادرت وقتئذٍ الى الترهن عن

هذا الحادث الغريب وبادر اوستين الى فك وثاقو يذكره بما كان بينهما من المراهنة وكان الحاملان قد دفعا الى اريتون التذكرة المعطاة لهما من جاك شبارد ففض ختمها وقراها بصوت عالٍ فاذا مكتوب فيها ما يأتي

كل من يحاول القبض عليَّ يصادف حظ شوتبولت من النجاح الامضا

جاك شبارد

ثم تبع ذلك ضوضاء ناشئة عن مطالبة اوستين لشوتبولت بالقيمة التي عقدت عليها بينهما المراهنة وكان الثاني يحاول في الدفع ولكنهُ انقاد اخيرًا الى الحق وانقد خصمهُ المبلغ ذهبًا انكليزيًا وهو يعض على شفتيهِ غيظًا ويتوعد بالانتقام من جاك شبارد وصورت غرابة الحادث لاريتون ان ينقل الخبر الى جوناتان ويلد وكان الوقت بعد نصف الليل فاستصحب معهُ لانجلاي يحمل امامهُ قنديلاً واخذ بيده مفتاحًا للباب الخارجي فلا يحمل صاحب المنزل مشقة النزول لادخالهِ وانطلق نحو مسكن جوناتان ويلد

رجوع جاك شبارد الى الاسر

قطع جاك شبارد بعد مبارحة منزل كنيبون وبو بلو من خلفهِ يتبعهُ الممر الصغير الموصل الى هيكل القديس اكليمنضوس حيثما وجد ثمه تيمس درابل في انتظارهِ وكان قد استعاقة

فقال جئت ياجاك على حين كنت احاول الرحيل لانك وعدتني عندما فارقتك بقرب منزل كنيبون بان تعود اليَّ بعد خمس دقائق امتد امدها الى اكثر من نصف ساعة

اجاب جاك ان تاخري عنك كان في سبيل خيرك فقد استحصلت لك على اوراق صادرة من السير روفلاند تؤيد بدون ريب حقوقك فهاكها والامل بالله ان تكون لك مفيدة بقدر مشتهاي

فتاثر تيمس لكلام رفيقهِ وقال اود لو تساعدني الاقدار ان اهيء لك مستقبلاً اخف بلاء واقل شقاء من مستقبلك

اجاب ان ما تودهُ هو رابع المستحيل ياتيمس فقد قضي عليَّ الله وما من امل برد القضاء

قال لانقطع املك من مراحم ربك

اجاب لاقطع الامل وساهدي وداعًا اخيرًا الى جميع احبائي فاني على اهبة الرحيل عن هذه البلاد بحيث لا اعود اراها الى الابد ففي المينا مركب يسافر غدًا الى فرنسا وقد نقلت اليهِ القليل الباقي لي مما تملكهُ يدي واعتمدت على السفر بصحبتهِ وسيرافقني بو بلو في غربتي فهو صادق امين لابريد ان يتركني وحدي في شدتي

فاقترب بو بلو منهما وقال لا . . لا افارقك ما دمت حيًا ولا فرق عندي بين فرنسا وانكلترا

او لوندرا و باريز بشرط ان اكون بجانب سيدي
فامرهُ جاك بان يبتعد عنها قليلاً وقال سادعوك الينا عندما نصير في حاجة اليك ثم عاد الى مكالمة رفيقهِ
فقال تيمس انهُ لايمكنني الآن اصوب رايك وان كان فيهِ ما يكدرني بفراقك . . والامل ان نعود بعد سنوات الى مشاهدة وطنك واحبابك
اجاب متمرمرًا . . ابدًا . . . فاني ساريح اصحابي من مشاق وجودي بينهم فلا اكدر اعينهم برويآي ولا اخدش اذانهم بسماع اخباري وساتخذ لي في غربتي اسماً غير اسمي الذي اصبح باعمالي واهتمام اعدائي مبغوضًا من جميع الناس واجتهد بان اعيش مستقيمًا شهيرًا والا فالموت . . . ولكني لا ارجع الى وطني مطلقًا
فتامل تيمس برهة وقال اني لا امانعك في قصدك ولكني اخشى على امك من تاثيرات فراقك
فداخل جاك لذلك الاضطراب الشديد واجاب ليتك لم تفاتحني ياتيمس بخبر امي ثم صمت هنيهة وقال ستعلم بان لم يبقَ لابنها غير هذا السبيل الحرج الذي ركبهُ فتصبر على فراقي والله سبحانهُ وتعالى لايبخل عليها بجلد تقوى بهِ على احتمال الشدة . . فاحمل لها عني تحيات وداعي . . . وكن لها ياتيمس ابنًا بدلا من ابنها المسكين الشقي الطالع
فشد تيمس على يد رفيقهِ وقال ثق بي واتكل عليَّ
قال جاك لي خدمة اخرى اكلفك بها وهي ان ترفع وداعي الى ويتغريد ود وتقول لها بانها وان كانت قد قادتني باحتقارها الى هذا المصير الوخيم فصرت بسببها لصًا شقيًا جانيًا مبغوضًا الاَّ ان صورتها المحبوبة المرسومة على الدوام في لوح تصوري منعتني مرارًا من ارتكاب الشر وخففت عليَّ وعلى الغير ويلات كثيرة . . . فهل تعدني بان تخبرها بكل ذلك ياتيمس
قال اعدك ولا اتاخر عن وفاء وعدي
اجاب اني اشكر فضلك سلفًا . . والان فلنعد الى مسالتك . . فان بو بلو تتبع السير روفلاند من بعيد وراءهُ داخلا الى مسكن جوناتان ويلد واظنهُ يريد بهذه الزيارة بت بعض التسويات مع شريكه في الشر قبل مبارحة انكلترا
فسال تيمس متعجبًا وهل من عزم خالي روفلاند ان يسافر من بريطانيا
قال نعم فانهُ سيتوجه غدا الى فرنسا على نفس المركب الذي اعتمدت على الرحيل بصحبتهِ واذا صح فكري وكان من نية السير روفلاند كما يستفاد من الاوراق التي دفعتها اليك ان يصلح لما اساءهُ نحوك فلا يستبعد ان يقاوم جوناتان في هذه الزيارة مقاصده ويحولهُ عن عزمهِ لما لهُ من

الصالح في اعدامك ولكن هذه الاوراق التي يجهل عدونا اهميتها تعيننا في كل حال على نوال المراد ثم تامل مليًا وقال لا باس عندي من مفاجئة السير روفلاند مع جوناتان ويلد في مسكنهِ فهل لك ان تقدم معي على هذا الهجوم فاعمل تيمس الفكرة واجاب ان هذه الخطة كثيرة المخاطر ولكني لا احجم عن اقتحامها وفي هذه الساعة اسير الى مسكن جوناتان مهاجمًا وحدي حيث لا اريد ياجاك ان اعرض بك الى مخاطر جديدة

قال وماذا تهمني المخاطر اذا كان القصد منها خدمتك وفضلاً عن ذلك فانك لا تقدر وحدك على الفوز في ادارة هذا العمل الخطير لان مداخل بيتهِ مجهولة منك ومن الغرور ان نقرع عليهِ الباب وتنبهه الى قدومك اجاب اصبت فافعل ما يحسن لديك

قال هيا اذًا . . . اتبعني يا بوبلو

ثم سار الثلاثة مسرعين الى ان بلغوا مسكن جوناتان ويلد فعالج جاك بابًا يودي الى داخل الدار مدة ولم ينجح في فتحهِ لان اقفالهُ كانت مكينة بما لا ينيل الفاتح اربًا فاعتمد على اقتلاعه واذا بوبلو ينبهه الى الباب السري المودي الى محل خزن البضائع التي تحملها اليهِ اللصوص وكان خبيرًا به فتقدم منهُ واستعان بالة على خلعهِ ثم اقفلهُ من خلفهِ وانحدر مع رفيقيهِ الى ممر تحت الارض انتهى بهم الى قبو صغير في منتهاه باب مقفل من الخارج فبادروا الى خلعهِ ايضًا وانحدروا منهُ الى الدار واذا صوت عظيم قرع اذانهم فقال بوبلو دعاني اتقدمكما لاني معروف من الكلاب بما يقينا شر نباحها ثم اقترب منها يلاطفها وفي اثناء ذلك انسل تيمس وجاك الى داخل الدار وتسلقا السلم الموصل الى قاعة الاجتماع حيث اسند جاك اذنهُ على ثقب الباب ولما لم يسمع شيئًا اراد فتحهُ فوجده مقفلاً بالمفتاح من الداخل فعمد الى آلة اقتلع بها القفل ودخل مع رفقائهِ الى القاعة وكان الظلام كثيفًا فيها بحيث لا يقوى النظر على مشاهدة شيء فقال جاك بصوت منخفض يا للغرابة ان ظواهر الحال تدل على ذهاب السير روفلاند ولكن وجود المفتاح في داخل الباب يجعلني على ارتياب من صحة هذه الظواهر . . . فاستعدا لانفسكما . قال بوبلو هل يامر حضرة القبطان ان آتيهُ بقنديل من الدهليز . اجاب اذهب وعد الينا في الحال ثم التفت نحو تيمس وقال لا يمكنني ان احل شيئًا من خفايا هذه الرموز ولكن قلبي غائر وضميري ينبهني الى وقوع مصاب جديد وقد ندمت كثيرًا لمجيئي بك الى هذه الهاوية ثم خطا خطوتين فشعر من رجلهِ انها تنزلق في مادة غرائية على الارض فانحنى يختبر بيده تلك المادة وما لبث ان انتصب مذعورًا وارسل صوتًا مخيفًا وصاح وامصيبتاه ان الارض غارقة بالدماء . . فقد انفذت في هذه القاعة جناية عظيمة . . الضوء . . الضوء واذا بوبلو في باب القاعة يحمل قنديلاً كشف ضوءه عن ارض غارقة بالدماء واوراق منتشرة في جهات القاعة الاربع وامتعة مندثرة في جملتها سيف القتيل ورداؤهُ وقطعة كبيرة من

الجوخ غارقة بالدماء وممزقة قطعاً

فصاح جاك قتل روفلاند . . قتل روفلاند . . .

قال تيمس ان الله انتقم لك يا ابي فاعدم قاتلك من يد شريكهِ في الجناية

قال جاك نعم ان الله انتقم لابيك انما بقي علينا أن ننتقم لخالنا من الجاني ثم لمح على المائدة اوراق البنك والذهب

فصاح ان هذا المال ثمن دم ولكن القاتل لا ينجو من ايدينا وسننتظرهُ هنا الى ان يعود وكانت اثار اقدام القتلة الملوثة بالدماء ظاهرة في الجهات الناشفة من ارض القاعة فقال بوبلو هيا الى متابعة هذه الاثار فنصل الى مكان الجانين واذا اوراق مطروحة امامهُ فصاح هاك يا حضرة القبطان اوراق اخرى . قال اعطنيها فدفعها اليوولدى تاملها قال ان فيها تحرير مرسل الى امك ياتيمس وهو يبتدي بهذه العبارة « ياعزيزتي اليقه »

فرمى تيمس بنفسهِ على يدي جاك وانتشل منهُ التحرير وبادر الى تلاوتهِ وقال صدقت . . صدقت فالتحرير صادر من ابي الى امي . . الضوء . . الضوء . . لاني متشوق الى معرفة اسمي الحقيقي ومتعزر عليَّ قراءة الامضاء

فهم جاك الى تلبيتهِ واذ حال دون المراد حادث غريب لم يكن في الحسبان فان بوبلو كان قد داوم متابعة اثار الاقدام الى قرب الجدار ولما لم يجد هنالك معبراً ارتبك في امره ورفع قنديلهُ فكشف عن اثار اصابع في الحائط ملوثة بالدماء فقال لا بد من وجود باب خفي في هذا المكان ولدى اعمال النظر رأى لهُ لولب فضغط عليهِ وللحال انفتح الباب المؤدي الى الجب ولم يكن كلمح البصر الا سقط بوبلو الى الارض متاثراً بضربة شديدة فاجئتهُ من يد جوناثان ويلد وكان قد سمع من الداخل صوت حركة في القاعة فادرك حقيقة الخطر المحدق بهِ واستعد للشر وكمن وراء الباب الى ان فتح فارسل قضيبهُ المخيف الى راس اول من وقع نظره عليهِ وهو بوبلو فكان من ذلك ما كان

ولدى معرفة جوناثان لجاك شبارد كاد يفترسهُ بنظره وارسل صوتاً لا تماثلهُ الا اصوات الوحوش الكواسر وكان جاك قد بادروجه فرده نحوراسهِ فحول تيمس بيد رفيقهِ عنهُ وصاح بهِ لا نقتلهُ فمثل هذا الجاني لا يموت الا في ساحة القضاء شنقاً . . نعم ايها الشقي انت اسيري

اجاب جوناثان اخطأت يا جاهل والصحيح انك انت وجاك شبارد المحكوم عليهِ بالاعدام اسيراي وفي قبضة يدي

فانقض تيمس على خصمهِ والسيف في يده وصاح سلم نفسك والا قتلت ولكن جوناثان كان على تهيء للدفاع فقابلهُ بضربة شديدة من قضيبهِ الحديدي اصابت راسهُ فوقع من جراها

مطروحًا على الاراض عند قدميهِ

فصاح جاك يا للخيانهِ واطلق النار فانحنى جوناتان امامهُ بما اذهب الرصاصة خائبة الى الحائط ثم انقض عليهِ وهو يزمجر غيظًا كالنمر المفترس بما لم يمكنهُ من اعادة اطلاق النار فالتزم جاك بان يحافظ على خطة الدفاع فخلا من طريقهِ واستل سيفهُ وانطبق عليهِ فاشتبك بينهما قتال يأْس عنيف وشعر جوناتان بثقل وطئة عدوهِ فصاح بابراهيم ماندبزقاتلاً التقط هذا السيف من على الارض وآتِ لمعونتي

فاطاع الخادم الامر وانحنى للتسلح بسيف السير روفلاند . وكان جاك موقنًا بانهُ لا يقوى على الثبات طويلاً امام اثنين مسلحين فصاح بخصمهِ خسئًا لك من جبان ثم تاخر الى الوراء ووثب بسرعة نحو الباب الموصل الى السلم طلبًا للنجاة

فصاح جوناتان هيا الى ملاحقتهِ فلا بد من مسكهِ حيًا كان اوميتًا . . . الضوء يا ابراهيم الضوء . . . ثم اندفع خلفهُ مع رفيقهِ ولم يقطع الفار نصف الدرجات الا ظهر على عتبة السلم اريتون ولانجلاي سجانا نينكات . فنادى جوناتان دونكما واياه اقبضا عليهِ فهو جاك شبارد

فصاح جاك بصوت مخيف ارجعا الى الوراء والا قتلتكما

فارتاع اريتون لهذا التهديد وحاول ان يفتح طريقًا للهارب ولكنهُ دفع من رفيقهِ الى التقدم فوقف في طريق جاك وجهًا لوجه وقال الاصوب لك ان تسلم حيث لا تستطيع نجاة من ايدينا فلم يجب بشيءٍ ولكنهُ ارسل نظرةً من فوق السلم يعدل مكان علوهِ من الارض فراى ان المسافة شاسعة لا يومن بجانبها خطر الموت كسرًا

وكان جوناتان قد انحدر الى السلم وهو يصيح اقبضا عليهِ

فالتفت جاك بسرعة تحاكي سرعة التصور نحو خصمهِ واستل سيفهُ وتهيأ لارساله الى قلبهِ

فانقض عليهِ اريتون من خلفهِ بما حال دون تحقيق عزمهِ ثم انطبق عليهِ جوناتان من امامهِ وتوصل الاثنان الى تجريده من سلاحه فقال جوناتان يخاطب السجان جئت في اوانك وطوقت عنقي بجميلك فلا انسى خدمتك الى الابد

فقال جاك استحلفك يا اريتون باسم الانسانية ان تدوس هذا المسكن باحثًا قبل اخراجي منهُ لان جريمة عظيمة ارتكبت فيهِ فاصعد الى قاعة الاستقبال وهناك تشاهد اثار الجناية

قال جوناتان اني اخول اريتون ملء السلطة بالبحث في بيتي اذا راى محلاً لذلك وبعد سوقك الى نيفكات ساعود بهِ الى هنا ليشاهد بعينهِ كذبك ان كان ممن لا يثق بكلامي

قال اريتون اني لا اوخذ بمثل هذه الحيل يا جاك فتعاملني كما عاملت شوتبولت من قبلي ومعاذ الله ان اصدقك واكذب مفتش البوليس السري م

قال بربك اصعد الى قاعة الاستقبال فتجد رجلاً بين حي وميت وهو تيمس درايل وان كنت مرتاباً في صحة كلامي فاصعد بي معك وضع فردك في اذني واحرق دماغي بالبارود اذا ظهر لك باني كاذب في قولي

اجاب اريتون وماذا يفيدني قتلك بعدئذٍ غير خسارة الجائزة التي استحقيتها بالقبض عليك فاحتيالك يا جاك لا تروج بضاعته عندي

فصاح جاك وقد قطع امله من اريتون ارجوك يا لانجلاي ان تسمح لي وتصعد الى قاعة الاستقبال فقد قتل فيها رجل والاخر سائر على قدم الموت اذا لم تجده بمعونتك فيسقط دمه على راسك . . ماذا . . هل تحول باذنك عني

اجاب ان الوقت لا يسمح لنا بسماع اكاذيبك وهزيانك

قال جوناتان ان الجائزة هي حقك يا اريتون لانك انت الذي اوقفت جاك ولكني اريد ان تتنازل عن ثلثها الى لانجلاي

اجاب امرك . قال فهيا اذاً الى نيفكات لاني ساسير بصحبتكما لاشاهد باعيني تكبيل هذا الشقي بالحديد اما انت يا ابرهيم فقف مكانك على الباب واحذر من ان تدع احداً يدخل الى مسكني او يخرج منه ثم سير بجاك الى نيفكات متقسماً على صحة كلامه لجهة ارتكاب جوناتان لجناية عظمى في قاعة الاستقبال بدون ان يصادف سميعاً او مجيباً وكاد اوستين في نيفكات ان لا يصدق بان المقبوض عليه هو جاك شبارد وبقي جوناتان في السجن الى ان قيد السجين بالحديد وادخل امامه الى القفص المعد للمحكوم عليهم بالاعدام فاطمئن باله وعاد مسرعاً نحو مسكنه فوجد ابراهيم ماندبز ساهراً على ماموريته فساله هل حضر احد

اجاب لا يا سيدي فدخل واقفل الباب واشار اليه ان اتبعني لنتخلص من قتلانا والحال مسكت ابرهيم رجفة قوية وسمع صوت قرع اسنانه بما استلفت اليه انظار جوناتان

فقال ما بالك

اجاب ان تاثيرات المشهد المخيف الذي صادفته في جب الشيطان متمكنة مني ثم صعد واياه الى قاعة الاجتماع فوجدا تيمس درايل بدون حركة في مكانه ولدى تفتيشه وجدت جيوبه فارغة او بالحري معراة مما كان فيها فاضطرب جوناتان لذلك وارسل نظرة الى ما حوله باحثاً واذا الباب الخفي الموصل الى مخزن البضائع تحت الارض منتوحاً ولدى التحري ظهر بان بوبلو كان قد نجا من ذلك الطريق يصحب معه كلما كان في القاعة من الذهب والاوراق وقد جرّد تيمس مما في جيوبه ايضاً لغاية لا تخفى على اولي البصائر

فحمل مفتش البوليس السري قنديلاً وسار في ذلك الطريق الخفي يبحث عن الهارب ولا

يتصل الى اثره الى ان شاهد الباب السري الخارجي مفتوحاً فتأكد فراره منهُ وانقلب الى القاعة فامر تابعهُ بان يرمي بجثة تيمس درايل الى الجب

اجاب الخادم اني لا اجسر على العود الى ذلك المكان المخيف فارجوك ان تعفيني من هذه المهمة

فصاح بخادمهِ وما الذي يخيفك ايها الجبان ثم حمل تيمس بين ذراعيهِ وعمد الى القائهِ في الجب ولكنهُ عدل اخيرًا عن رائهِ وقال لربما يكون لي في حياتهِ منافع اخرى واشار الى خادمه ان الحق بي ونزل بالجريح الى اسفل السلم السري وسار بهِ من هناك الى حجرة تحت الارض تشبه لافجع مكان في نيفكات فوضعهُ فيها واقفل عليهِ الباب وعاد الى قاعة الاجتماع فامر ابرهيم بان يأتيه بوعاء مملوء بالماء لتنظيف القاعة من الدماء وان يحرق الجوخ بحيث لايبقى اثر يدل على الجريمة وقال اني في حاجة الى الراحة مقدار ساعة من الزمان اجد في نهايتها بطلب بوبلو

معاناة بوبلو لانواع البلاء والعذاب

في صباح اليوم الثاني من القبض على جاك شبارد انتشر خبر ايقافهِ في جميع جهات المدينة فتقاطرت الناس جموعًا عديدة الى سجن نيفكات بامل ان يسمح لهم كجارى العادة بالدخول الى حجرة السجين ولكنهم منعوا عن ذلك لان الحكومة كانت قد اصدرت امرًا تحرم فيهِ على الناس مواجهة جاك شبارد بناء على التماس تقدم من جوناتان ويلد في هذا الصدد

وكان يشك في لوندرا بانفاذ حكم الاعدام على جاك بدون اعادة المحاكمة ما كان موضوعًا لمداولة القوم فذهب لهذه الغاية حاكم نيفكات الى واندسور واستناب عنهُ في مامور يتهِ جوناتان ويلد الذي اتخذ من نيابته فرصة للانتقام بما في الوسع من اسيره فعراهُ من ثيابه الثمينة والبسهُ اثوابًا قذرة ممزقة وزاد في اثقال قيوده ونقلهُ من سجن الجانين الى حجرة الحجر وقد مر الكلام عنها فبقي جاك فيها عرضة للظلمة الكثيفة في وحدة مخيفة يزيد في اكدارها تردد السجان اوستين المتتابع عليهِ بدون ان يلفظ كلمة ولم يكن لهُ ما يأكلهُ خلاف قليل من الخبز الاسود الناشف والماء القذر العكر فكان ينام على الارض بدون فراش يحول بين جسده ومياه الرطوبة النازة منها بما يشبه نعمًا او غطاء يقيهِ شر البرد القارس الذي كاد يجمد دماهُ في عروقهِ فشعر بعد مدة بخلل في قوتهِ انتهى بهِ الى المرض فكان يطلب بحرارة من الله ان يقرب منهُ ساعة الاجل بحيث يستريح من اوجاعه بموت سريع

وعاد الموسيو بيت حاكم نيفكات من واندسور يحمل امرًا بتوقيف انفاذ الحكم حيث قررت لجنة التحكيم المولفة من السير وليم طمسن والموسيو رابي وجوب اثبات كون السجين هو نفس اللص

الذي انفذ عليهِ القضاء بالاعدام بطريقة شرعية مما كان داعيًا لتاجيل الانفاذ الى جلسات المجالس القادمة اما السجين المسكين فكان يتقلب في سجنهِ الضيق المريع على فراش آلامه لا يعلم بما كتب لهُ من تاجيل القضاء وبعد مرور ثلاثة اسابيع اثقل عليهِ المرض الى حد ان اقتنع اخصامهُ بقرب نهاية اجلهِ . ولكن هذه الميتة كانت مما لا يشفي غليلاً لجوناتان ويلد فقرر مع ماموري السجن وجوب الاعتناء بجاك شبارد والاهتمام بهِ بحيث يعود الى صحتهِ او يمد في حياتهِ الى يوم ينفذ عليهِ القضاء شنقًا فنقل الى جهة من السجن تسمى بالقصر وهي غرفة متسعة قايمة في الجناح الايسر من نيفكات بجدران ثخينة ونوافذ ضيقة محصنة بصفين من القضبان الحديدية الضخمة وموقدة مسدودة المدخنة وفي قرنتها تخت مرتفع وكان جاك مهزولاً مصفرًا ينذر حالهُ بسوء المصير فجرد من قيوده واعطي ثيابًا نظيفة وفراشًا وغطاء وانيط بالسيدة سيرلنك خدمتهُ فاعارتهُ عناية خصوصية لم يطل معها مرضهُ فشعر بعد مدة برجوع قوتهِ اليهِ وتجدد صحتهِ وعلم جوناتان بذلك فعاود اساءتهُ وجرده من فراشهِ وثيابهِ ومنع السيدة سيرلنك من عيادته واعاد اليهِ قيودهُ الثقيلة ولكن جاك كان قد امتلك صحتهُ وامتلك معها الهمة والنشاط والاقدام وبقي الامر الصادر بمنع الناس من مواجهتهِ مرعيًا الى ان قربت ايام محاكمتهِ فسمح لكثيرين بالدخول عليهِ على شريطة ان تكون المواجهة من مسافة بعيدة وتحت ملاحظة السجان الدقيقة فكان جاك يكاشف زائريهِ على الدوام باخبار تيمس درايل وامهُ وعائلة المسترود بدون ان يحصل منهم على جواب وافٍ بالمطلوب لان جوناتان ويلد كان قد شدد على اوستين بعدم ايصال شيء من اخبارهم اليهِ ومضى شهر كامل على هذا الحال وكان الوقت اوائل تشرين الاول والمجالس على اهبة الالتئام

ففي احدى الليالي بينما كان اوستين يقفل باب السجن الخارجي كعادتهِ اقبل عليهِ جوناتان ويلد ومعاوناه الاثنان يسوقون امامهم رجلاً مشدود الوثاق فدخلوا بهِ الى دائرة الحراس وكان الرجل المذكور بولودلدىفك وثاقهِ للاستعاضة عنهُ بالقيود الحديدية انقض على جوناتان فرمى بهِ الى الارض وضغط على عنقهِ بما كاد يخنقهُ لو لم يبادر الحراس الى تخليصهِ من يدهِ بعد صعوبات كثيرة وكان قويًا بما لم يمكنهم من تقييدهِ الا بعد عراك شديد اجلي عن فوزه مرارًا عديدة واذا اعرنا افادات جانب الثقة يكون قد اخذ اسيرًا في نومهِ فان جوناتان استعان برجالهِ واتباعه على وضع بعض المنومات في مشروبهِ بما اتاح لهم القبض عليهِ ولولا ذلك لما قيد الى نيفكات حيًا وكان يدعي بان جوناتان اختلس منهُ مبلغًا عظيمًا من الدراهم وزاد على ذلك قولهُ انهُ لا يجيب عن شيء مما يوجه اليهِ من السوآلات ما لم يرد اليهِ المبلغ المسروق منهُ

قال جوناتان كل اتٍ قريب فليوخذ الان الى حجرة المعقل وسوف نرى ما يكون منهُ بعد شد عقالهِ وهل يداوم الاصرار على السكوت والانكار فانا لا نحرمهُ ان شاء الله من مشنقة

قبض بها على رفيقه جاك شبارد

ولدى سماع بوبلو لاسم سيده اعترته رجفة شديدة وصاح اين هو . . دعوني اراهُ وا كلمة كلمة واحدة فاتخلى لكم عن جميع الاموال التي اختلستموها مني

فلم يجب جوناتان على ذلك الا بالاشارة الى اتباعه ان يقودوا الاسير من امامهِ ثم امر اوستين واريتون بان يصحباه الى القصر وهو مكان الحجر على جاك شبارد فساروا اليهِ و بدخولهم الى الحجرة وجدوها خالية خاوية فاصابتهم الدهشة واوشك جوناتان ان لا يصدق اعينهُ فحول نظرًا ثابتًا الى الحارسين يستكشف بهِ خفايا قلوبهما وافكارهما وهما امامهُ باهتان ينظران الى بعضهما ولا يعلمان بما يجيبان واذ سمعت حركة خفيفة بجانب مدخنة الموقدة ثم خرج منها جاك شبارد يحمل قيودهُ على اكتافهِ وجلس بدون ان يبدي كلمة او يظهر عليهِ اثر الجزع والارتياب فصاح جوناتان كيف تمكن هذا الغمر من فك قيوده اني لا انسب ذلك الا الى اهمالك يا اوستين

اجاب الحارس بقلب خافق ثق يا سيدي بان جاك كان منذ ساعة مكبل الايدي والارجل ولم اهمل ملاحظتهُ دقيقة

قال لا اعرف غيرك مسئولاً عن فك هذه القيود فانت مطالب لديّ عن هذا الحادث الغريب . فنهض جاك واقفًا وقال لا ذنب على اوستين بفك قيودي فقد فتحت حلقاتها بهذا المسمار الذي وجدتهُ في فرنة سجني ولو تاخر مجيئكم الى ما بعد عشرة دقائق فقط ولم اصادف في المدخنة قضيبًا من الحديد تعذر عليّ اقتلاعهُ لكنت الآن خارج نيفكات محلول الوثاق اجد منتقمًا ورآء عدوي

قال جوناتان لا انكر عليك جسارتك وفتحك انما سر يا اوستين الى غرفة القيود واتنا باقوى السلاسل وامتنها وكبلهُ بها لنرى هل في وسعهِ ايضًا ان يحاول الفرار مرة ثانية

فبقي جاك ساكتًا ولكنهُ تبسم اخيرًا بما شف عن احتقاره و بغضهِ وكان اوستين قد عاد يصحبهُ رجلان يحملان قناطير مقنطرة من الحديد فكبلوا بها جاك شبارد وعند نهاية العمل امرهم جوناتان بان ينصرفوا فلبوه في الحال بان ذهبوا وتركوهُ مختليًا بخصمهِ فقال وقد نظر اليهِ نظرة المنتصر الفائز جاك . . جاك . . اسمع لما فعلتهُ وفزت به فان جميع نواياي تحققت وخطة اماني نجحت فلا يمر على هذا النهار شهر من الزمان الا تصبح املاك امرأتي فتتحول اليَّ جميع ثروة عائلة ترانشفار لان السير روفلاند قضى نحبهُ كما تعلم وتيمس درايل اختفى بحيث لا يرى فيها بعد الى الابد وبولو الذي فرَّ بالاوراق والذهب من بيتي قد قبضت عليهِ ايضًا وهو الآن سجيني في نيفكات وسيشنق بنفس الحلة التي تهيأت لشنقك ثم رمقهُ بعين الانتقام و بدون ان ينتظر جوابهُ خرج من الحجرة واقفل عليهِ بابها بالمفتاح ولحق بالحراس فقال لهم عليَّ مهمة اخرى اريد ان اقضيها في

هذا الليل فاني راغب في مشاهدة بو بلو فاعطوني المفاتيح وضوءا ودعوني ازورهُ وحدي ثم انحدر الى سلم صغير مستدير انتهى بهِ الى ممشى طويل يصلهُ بالحجرة المحجور فيها على بو بلو ممر ضيق فقطعها وكان السجين نائماً فايقظهُ صوت صرير الباب فنهض منتصباً لا يبالي باثقال قيوده وصاح بزائره وكان قد عرفهُ ماذا تريد مني

اجاب اريد ان تطلعني على مكان الذهب واوراق البنك والمراسلات التي اختلستها من مسكني

قال هاك ما تستطيع معرفتهُ في هذا المعنى وهو ان هذا الذهب والاوراق والمراسلات قد اودعتها جميعاً في محل موتمن بحيث لا نقف لها على اثر وهي من نصيب غيرك فينالها في زمن قريب ان شآء الله

اجاب جوناتان وهو يجالد في اظهار السكينة اسمع لي يا بو بلو وثق بوعدي فوحرمة شرفي اذا اعلمتني بمكان هذه الاموال ووجدتها لاطلقن سراحك من هذا السجن واعطينك نصيبك من هذه الغنيمة

قال لا . . وانما لي طلب واحد فاذا قبلت بهِ لا اتأخر عن اتمام رغائبك وهو ان تطلق سراح القبطان شبارد فاذا تم ذلك وتحققتهُ برأى العين دفعت اليك الذهب واوراق البنك والمراسلات وغيرها من الاوراق الكثيرة التي ما زلت للآن تجهل وجودها

قال انك لا محالة مجنون حيث ظننتني مغفلاً الى حد ان ابيع الانتقام من عدو حتمت بوجوب قتلهِ بسر لا البث ان انتزعهُ من صدرك بالرغم عن عنادك واصرارك ثم خرج غضوباً واقفل الباب بحدة من خلفهِ

و بعد مرور عشرة ايام على هذه المواجهة قيد بو بلو الى المحاكمة امام المجلس فاصر على عدم الاجابة ما لم ترد اليهِ الاموال المختلسة منهُ وقدرها خمسماية ليرا انكليزية وكان جوناتان قد التمس من الحكومة ان تخلي لهُ عن هذا المبلغ لقاء اتعابهِ وخداماتهِ فصدر الامر بمنحهِ القيمة المذكورة تشجيعاً لهُ وتنشيطاً لغيره من ماموري الضابطة

ولما يئس المجلس من اجبار بو بلو على المجاوبة امر الكاتب بان يتلو عليهِ صورة الحكم الذي يطلق انفاذهُ على كل من يمتنع مثلهُ عن الجواب فكان لتلاوتهِ تأثير عظيم في الحضور اما بو بلو فاظهر جلداً وثباتاً نادري المثال فلم يرتع لما تضمنهُ من صرامة الجزاء ونحن نورد هنا مفاد الحكم المذكور بما صورتهُ قال

ستعود ايها المتهم الى سجنك الذي خرجت منهُ حيث تلقى ثم في حجرة ظلمة تتخذ لك فيها الارض فراشاً والسقف غطاء وتبقى ممدداً على ظهرك مكشوف الوجه عاري الاقدام مصلب الايدي والارجل فيوضع على جسدك من الحجارة والحديد باكثر ما تستطيع احتمالهُ و يعطى لك في اليوم الاول

من سجنك ثلاث كسر من الخبز الناشف اما في اليوم الثاني فيحرم عليك الخبز ولا تمنع من مناولة الماء الزلال ثلاث دفعات في النهار وتدوم معاملتك على هذا النمط الى ان تموت

فتبع تلاوة الحكم سكوت تام في قاعة الحكمة واتجهت الانظار بكليتها نحو المتهم منتظرة منه ان يتحوّل عن عزمهِ ويتكلم اما هو فبقي مصرًّا على امتناعهِ بما الجأ المجلس الى انفاذ الحكم فقيد الى نيفكات والقي في المعصرة وهي حجرة مربعة بارض وجدران من الحجر وقد نصب في كل من زواياها جسر ضخم يبلغ ارتفاعهُ السقف وربط في اعلى الجسورة آلة من الخشب ثقيلة الحمل ترفع وتنزل بلولب يدار باليد وضربت في الزوايا اربع حلقات من الحديد تبعد الواحدة عن الاخرى مسافة ثماني خطوات ولدى دخول السجين اليها بوشر بتهيأة معدات العذاب وكان مارفيل المامور بانفاذ الحكم عالمًا بما لبو بلو من القوة والعزيمة فرأى من المناسب ان يستدعي كالبيان مع اربعة من الحراس لمساعدتهِ على العمل واقبل بجرده من ثيابهِ فلم يبدِ مقاومة بل حافظ على السكون والطاعة الى ان اريد تمديده على الارض فافلت من ايديهم وانقض كالنمر الهائج على جوناتان ويلد وكان مستندًا على جدار الباب ينظر اليهِ من بعيد كمتفرج ولكن الحراس حالوا بينهُ وبين خصمهِ فقبضوا عليهِ وتعاونوا بكثرتهم عليهِ فالقوا بهِ الى الارض وكالبيان يشد براسهِ الى الوراء بما جعل لفمهِ سبيلاً على اصبعهِ فعض عليهِ بما كاد يفصلهُ عن بقية يده قبل ان يبادر الحراس الى نجدة رفيقهم وكان مارفيل في اثناء ذلك قد ربط يدي ورجلي بو بلو بقطع من الحبال وشدها الى الحلقات الاربع الحديدية ثم حرك اللولب فنزلت الآلة الخشبية الثقيلة بتانٍ الى حيث استقرت على صدره ثم زاد على الآلة المذكورة ما ثقلهُ من الحديد مائتا رطل افرنجي ولما لم يفِ هذا الثقل بالغاية زيد عليهِ نحو من مائة رطل اخرى بما اصعب على بو بلو حركة التنفس ولكنهُ بالنظر الى قوة تركيبهِ صبر على احتمال مرارة هذا العذاب نحو ساعة من الزمان فامر جوناتان بان يزاد مائة رطل ايضًا وما مر على هذه الزيادة بضع دقائق الا نشا عنها تغير عظيم في حالة السجين فنفرت عروق عنقهِ وجبهتهِ متضخمة مزرقة وخرجت اعينهُ بارزة من حفرها بما يريع المشاهد ونَدِيَ جبينهُ بالعرق وسالت الدماء من فمهِ واذانهِ وبين اظافره فصاح ماء . . ماء . .

قال جوناتان هل خضعت واطعت

فلم يكن جوابهُ الا ان ضرب براسهِ الى الارض ضربات عنيفة متتابعة يريد قتل نفسهِ ولاحظ جوناتان قصده فسارع بان وضع تحت راسهِ ما يحول دون اتمام عزمهِ وقال هل لك ان تحمل مائة رطل اخرى

اجاب بصوت منخفض ضعيف قف . . قف . . . فصاح اجب في الحال هل قبلت طلبي واعتمدت على الجواب قال نعم فامر جوناتان بان ترفع عنهُ الاثقال وقال الحمد لله حيث

اشفينا ك من مرض السكوت العضا ل فارسل بو بلوا الى خصمهِ نظرًا يتضمن بغضًا ابديًا وصاح اني لاارغب في العيش الا لانتقم منك ياظالم و بينما كان الحراس يرفعون الاحمال عن صدره اغمى عليهِ

تصوير جاك شبارد

في صباح يوم الخميس الواقع في ١٥ تشرين الاول سنة ١٧٢٤ فتح باب سجن جاك شبارد ودخل عليهِ اوستين السجان يعلمهُ بان حاكم السجن سيزوره عما قريب مصحوبًا باربعةٍ من الرجال وانما ليس كغيرهم من الناس الذين يترددون عليهِ في كل يوم

قال جاك تريد ان المستر ود سيكون في جملة الوافدين

اجاب وهل تظنني احفل بالمستر ود الى حد ان ارفع اليك خبر قرب وفادتهِ قبل قدومهِ ان في كلامك ما يشبه ان يكون مزاحًا لان الرجال الذين جئت لاعلمك بقرب زيارتهم هم عظما محترمون مهمون

قال وما هي اسماؤهم

اجاب ان الواحد منهم هو السير جيمس تورنهيل مصور تاريخ الذات الملوكية من اشهر صناع العصر وقد رسم بقلمهِ قبة كنيسة القديس بولص وسقف قاعة التاج في قصر الملكة حنة بما ادهش لحسن صناعتهِ العالم وهو الان يقوم باعمال تصويرية بديعة في مستشفى كرينوش قال جاك سمعت عن هذا الرجل . . فمن هم الاخرون اجاب ان الثاني هو رفيق السير جيمس المذكور وهو شاب ماهر في صناعة الحفر والنقش واسمهُ على ما اظن هوجرث ثم الموسيو كاي الشاعر المشهور مولف رواية الاسراء الجارى تمثيلها الان في دريري وقد حصلت على استصواب واستحسان اميرة ديغال ثم الموسيو فيج معلم استعمال السلاح الشهير قال جاك ان الموسيو فيج هو من اصحابي القدماء وقد درست عليهِ مدة واتمنى مشاهدتهُ

قال السجان وهل لك علم بما حمل جيمس تورنهيل على زيارتك اجاب لا وانما بالطبع حب التفرج عليَّ كغيره قال انهُ لم يحضر الا لغرض يستدعي مجيئهُ اجاب وما يكون ذلك الغرض قال هو رسم صورتك اجاب صورتي قال باهتمام نعم وذلك بناء على ارادة الذات الملوكية فانها سمعت بما لك من الغارات ورغبت في رؤياك ثم تبسم متهللاً وقال انك سعيد الحظ ياجاك حيث لم ارَ من قبلك لصًا حصل على مثل هذا الشرف العظيم اجاب صدقت وقد طار صيت غاراتي في الافاق حتى بلغ مسامع الملك على حين ان ما عملتهُ يااوستين الى الان لا يعد بشيء بالنظر الى ما اعملهُ في الحال وساعملهُ في الاستقبال

قال اخطئت فقد فعلت كثيرًا ولا اظنك تقوى على الاتيان بمثل ما اتيت به في الماضي فتامل في ذاته وصاح يا للعجب كيف يوخذ رسمي وانا في مثل هذه الحالة الدنية وعند ذلك سمعت اصوات في الخارج فتقدم اوستين نحو الباب ثم عاد بتقدمة الموسيو بيت حاكم نيفكات وهو طويل القامة سمينها بصحبة اربعة اشخاص وكان يدعى الاول منهم بالموسيو كاي وهو رجل في السادسة والثلاثين من العمر عظيم القامة معتدلها بوجه اسمر يدل على كرامة خلقهِ وعين سوداء لامعة تشف عن حدة وذكاء تترجم عنهما تبسمات فمهِ الصغير ومع ما هو معهود فيهِ من الميل الى التنكيت المفيد كان يتخذ من الاساليب في ايضاح افكاره ما يكسبهُ محبة اعدائهِ فكان صديقًا لجميع معاصريهِ من فطاحل الكتبة بشوش الخلق شريف الطبع ولكن نصيبهُ من الدهر لم يكن كنصيبهِ من الاداب والمعارف فكانت ثروتهُ محصورة براسمال قليل خسره بالمضاربات التجارية وما كان قلة وتودد الناس له لينيلهُ الراحة التي كان يطمع في نوالها وكان لا يمنع عليه الدخول الى القصر الملكي في اية ساعة اراد فتوزع على مراى منهُ المصالح والنعم الجليلة بدون ان يكون لهُ منها ادنى نصيب ولكن النجاح العظيم الذي حصل عليهِ برواية باكارس التي تمثلت سنة ١٧٢٩ اعاد عليهِ بالارباح العظيمة

ثم تقدم من بعده السير جيمس تورنهيل وهو وقور الهيئة جميل الطلعة كريم المزايا في نحو الخمسين من العمر بصحبة شاب في السابعة والعشرين يحمل معدات الرسم فوضعها واعتنى بترتيبها وتهيئتها وكان مجردًا عن مظاهر الجمال ولكنهُ لا يخلو من دلائل الذكاء والنجابة واسمهُ ويليم هوجرت وهو بنظر حاد لامع غير مستقر ومن خلفهِ رجل عظيم الجثة قوي التركيب بوجه متاثر بالجراح تجلى فيهِ سمات الحرية والشهامة وراس مستدير بروق للانكليز مشاهدتهُ لما يعتقدون فيهِ من انهُ المثل الحقيقي للجنس الانكليزي وهو جيمس فيج الشهير معلم السلاح وبدخولهِ رفع قبعتهُ بيدهِ ومسح بمنديلهِ وجههُ المورد بفاعيل الحرارة من العرق وكان قميصهُ مفتوحًا بما يكشف عن رقبة ضخمة وصدر متسع رحب وتحت ابطهِ قضيب ثخين وهو من اشهر اهل زمانهِ في اطلاق النار فلم يخط قط مرماهُ ولم يسمع عنهُ انهُ انجذل يومًا امام خصمهِ وقد اتخذ لهُ في وثباتهِ طرقة تخولهُ نصرًا دائمًا فلا يهجم على خصمهِ الا نادرًا ولكن هجومهُ مضمون العقبى مامون النتيجة وخلاصة القول ان الموسيو فيج المذكور كان من العظماء المريدين في انكلترا

ولدى دخول الرجال المذكورين على جاك شبارد انتصب واقفًا ولف يديهِ المغلولتين على صدره ونظر الى زائريهِ بعين ثابتة فاشار حاكم نيفكات اليهِ وقال ها كم اللص المشهور بفراره من السجون وغاراتهِ فصاح كاي متعجبًا ماذا تقول . . . ان هذا الوجه المصفر والجسم المهزول لا يمثلان رجلاً من مثل جاك شبارد الشهير فقد كنت اتوقع مشاهدة انسان بستة اقدام واكتاف عريضة

لا تضيق عن اكتاف صاحبنا الموسيو فيج ولا ارى امامي الان الا ولدًا صغيرًا فلربما تكون قد اخطأت عن حجرة السجين ياحضرة الحاكم

قال جاك لا ياسيدي ان حضرة الحاكم مصيب فانا هو جاك شبارد

قال هوجرت ان هذا الشاب هو نفس الرجل الذي ظهرت لي صورتهُ في نومي وكنت متوقعًا مشاهدتهُ اليوم ثم قدم معدات التصوير الى السير تورنهيل و وقف امام جاك متاملاً وقد ارسل يده الواحدة الى ذقنهِ واسند بطرف الثانية على ساعد الاولى وقال ان صورتهُ وهيئتهُ ما طبق المامول فقد جمع قوامهُ بين المرونة والخفة فهو مجرد عن اللحم ولكنهُ قوي العصب وفي جميع المباحث التي اجريتها للاكتشاف على اجسام فوق العادة لم ارَ من امثال هذا الشاب ولو كان بين الوف من الناس لعرفتهُ من بين غيره واشرت اليهِ نظير رجل اقام بالاعمال العظيمة التي نسمع في كل يوم بصدورها عن جاك شبارد

و بينا كان النقاش يحدث رفاقهُ بذلك استنار وجه جاك بالتبسم

فقال كاي اني لا انازعك في رأيك ولكني انصب السير جيمس حكمًا فيما بيننا فيرى هل ليس من العجب العجاب ان ياتي مثل هذا الشاب وهو لا يبلغ العشرين بمثل ما اتى بهِ من الغارات والاعمال المجيدة

قال جاك بل احدى وعشرين سنة ياسيدي وليس عشرين كما تتوهم وكان السير جيمس تورنهيل قد حضر ليحكم بين المتنازعين في شان جاك فحقق نظرهُ فيهِ جيدًا وقال اني لا انكر كونهُ ضعيفًا مهزولاً ولكني من راي صديقي هوجرت لجهة اقتدارهِ على القيام بالاعمال التي اقام بها بل و باعظم منها ايضًا اذا اطال الله في حياتهِ ثم التفت الى الحاكم وقال هل تأمر لي بمقعد للجلوس . اجاب لبيك فاتنا بمقعد يااوستين وكان الموسيو فيج في كل هذه المدة بقرب الباب ملازمًا السكوت فعندما خرج اوستين في قضاء حاجة سيده دخل الحجرة واقترب من جاك ومد لهُ يدهُ العريضة يحييهِ ويشد على يده بتودد وقال كيف حالك فاني متكدر لرؤياك في هذه الحالة الناشئة عن استخفافك بمشورتي فان معشوقة واحدة كافية لان تخرب رجلاً فما قولك بمن يتخذ لهُ مثلك معشوقتين لعمري ان مستقبلهُ لايكون اقل شؤمًا من مستقبلك

فاغتاظ جاك لهذا الحديث وقال هل زرتني لتهينني ياحضرة الخواجا فيج قال لا ومعاذ الله ان اتعمد اهانتك ولكني سمعت بخبر غاراتك فرغبت في رؤيا تلميذي القديم المحنك في اطلاق الرصاص لما بلغني من قرب انفاذ الحكم عليهِ . ثم وضع في يد جاك عددًا من الدنانير وقال هل انت في حاجة الى شيء فرد اليهِ جاك المال وقال اني اشكر معروفك لاني حاصل من فضل ربي على ما يغنيني عن احسانك ويمكني من الاحسان الى الغير ثم تبسم وقال انك ياخواجا في ضلال

مبين حيث ساعبرك قبل ذهابي الى تبر بن قميصاً اي اني ساسير اليك في جملة تلاميذك لحضور الصراع العام وكانت استعد ادات السير جيمس تورنهيل قد ناهزت النهاية فاستأذن الحاكم رفاقهُ بالانصراف وذهب فقال جيمس اجلس ياجاك اما انتم (يريد الحضور) فارجوكم الانفراد الى الزاوية الثانية من الحجرة فجلس جاك على المقعد وانزوى الموسيو كاي والموسيو فيج الى جانب الحائط اما هوجرث فاتكا الى زاوية واخرج من جيبهِ جزداناً وقلماً من الرصاص وقال ان من قصدي ان ارسم هذا الرأس واحفرها على الخشب فيكون رسماً ثميناً يستحق الاعتبار اما السير جيمس تورنهيل فبعد ان فحص تكاوينهُ ودقق في هيئتهِ بدا في العمل وكان جاك قد اخذ بطلب من المصور في قص سياق اخباره العجيبة بما بث فيهِ روح التحمس فظهرت في وجههِ سمات الشجاعة والاقدام وجاء منطبعاً في صورتهِ

وكان جميع الحضور يسمعون باهتمام حديثهُ ولا سيما الموسيو فيج فانهُ استلقى على ظهره ضحكاً لدى وصولهِ الى خبر فراره من نيفكات الاخير وعندما تكلم جاك عن جوناتان ويلد اتخذ وجههُ هيئة غريبة مريعة فصاح السير تورنهيل وقد توقف عن الرسم ارجوك يا جاك ان تغير الموضوع لانهُ مضر في عملي

قال اوستين انا تجنب ذكر اسم هذا الرجل امامهُ لما ينشا عنهُ من تغير في هيئتهِ وانقلابها الى ما يخيف المشاهد . قال كاي لا وجه للاستغراب من ذلك فهو منتهٍ اليهِ وكان السير تورنهيل قد وجه الى هوجرث اشارة خصوصية تفيد ان يبذل المستطاع لاستجلاب انتباه السجين فقال هوجرث يخاطب جاك هل لم يعد لحضرة القبطان امل جديد بالفرار . اجاب ان سوالك ياخواجه هوجرث لايخلو من الغرابة لصدوره منك امام السجان (يريد اوستين) ولكني مع ذلك لا اخجل بايضاح الصحيح من افكاري ولا احرم على الموسيو اوستين نقل الخبر الحسيده جوناتان ويلد وهو انني لم اعدم الى الان آملاً من النجاة فصاح فيج احسنت . . احسنت . . قال هوجرث ولكن كيف يتاتى لك ان تنجو بنفسك من هذه الحجرة وانت على ما نرى مكبل باثقل القيود ان مثل هذا العمل لم تسبق عليهِ من احد من الناس فظهر على السجين اثار التبسم بما اضاء وجههُ فصاح السير جيمس تورنهيل فرحاً بما يرى مما يعينهُ على اتقان الرسم الحمد لله . فهذه هي الهيئة التي كنت اترقب ظهورها . فبربك ياجاك لاتحرك منك ساكناً وحافظ على شعائرك الحاضرة بما في الامكان ثم رسم بسرعة ما تجلى على وجههِ من الاثار السريعة الزوال

فصاح هوجرث وكان مشتغلاً برسمهِ لقد فزت انا ايضاً باخذ صورة الراس طبق المبتغى فبالله ما اجملها عندما تشرق فيها مظاهر السرور قال اوستين وقد نظر الصورة من فوق اكتاف السير تورنهيل انها ناطقة لا تختلف بشيءٍ عن صاحبها

قال كاي ان جميع غاراتو مرسومة فيها على وجهه . اجاب جيمس متبسماً انكما تبالغان في مديحي ولكني لا انكر كوني نجحت في اتقانها وكان هوجرت قد قدم ورقة رسمه الى جاك وقال ما رايك بهذا الرسم

اجاب يشبهني كثيراً ولكنهُ لا يخلو من نقص هنا واشار الى مكان دقيق منهُ

قال هوجرت فهمت ثم خط بقلمهِ مكان الاشارة وقال كيف رايت الان

اجاب اصلحت من جهة واسأت من اخرى حيث اعطيتني من الصفات ما ليس لي

ففطن هوجرت الى خطائهِ ومحا الرسم

قال كاي ان من الضروري الواجب يا جاك ان تجمع وقائعك فتكون مجموعاً يفضل بما لا يقدر على تواريخ كيزمان والفراش ولا زاربل وغيرهم من اللصوص ويزيد عليها بما ينشأ عنهُ من الفوائد التهذيبية اجاب جاك يا حبذا لو تجمع تلك الوقائع بقلمك يا حضرة الخواجه كاي قال ان سياق حديثك اوجد فيَّ فكراً لا البث ان احققهُ بالعمل وهو ان اولف رواية مكان وقائعها نيفكات وبطلها اللص قدبر ولا انسى فيها معشوقتيك يا جاك قال الامل ان لا تنسى ايضاً جوناتان ويلد

اجاب اني لا انساه مطلقاً بل سامثل ذلك الشقي بمزاياه واطباعه ثم التفت يميناً ويساراً ولدى رؤياه لاوستين قال لقد برح عن بالي انا نرتكب خيانة عظيمة باحتقارنا الجوناتان ويلد في محل ادارتهِ فضحك اوستين وقال اني لم اسمع شيئاً قال كاي وسادخل الى هذه الرواية جوقاً من مطرباتنا المتفننات بحيث يعلو شان ملعبنا على غيره من الملاعب

قال هوجرت لقد خطر على بالي خاطر متعلق بتاريخ حيوة جاك شبارد وهو ان ندخل في عداد المشخصين صانعين نال الواحد منهما بصدقهِ وعملهِ واجتهاده المجد والغنا والشرف والسعادة اما الثاني فسارت بهِ شقاوتهُ الى تيربين

قال جاك حزيناً . انك تخدم بذلك الاداب والحقيقة معاً يا سيدي انما يقتضي لمراعاة جانب الصدق في قص حديثي ان تمثل خبري كحرب عوان موجه ضد نوائب الدهر التي يمثلها جوناتان ويلد

واراد كاي ان يغير الحديث فقال يخاطب هوجرت الم ارك بالامس في المتنزه مع السيدة نورنهيل وابنتها فعلا وجه هوجرت احمرار الخجل وصاح متبرماً انا ثم نظر الى جهة جيمس مستكشفاً فوجده مشغلاً عنهُ بصورة جاك قال كاي لا يبعد ان اكون مخطياً يا خواجه فقاطعهُ هوجرت وقال بصوت منخفض بربك دعنا من هذا الحديث اذا رمت ان لا تصرم مني حبال الامل اجابهُ بنفس الصوت ولو كنت مكانك لا انتشلت الصبية قال لا اظنك تفعل ذلك ولكنهُ انقاد بعد زمن الى هذه

المشورة وجرى بموجبها

وكان الموسيو فيج قد تهيأ للرحيل فقال استودعك الله يا جاك فاني بانتظار قميصك فاتكل عليّ وتشجع ثم اعطى السجان دينارين وقال خذ واشرب بهما كاس نجاة جاك شبارد واشكر له فضله قال جاك اذا تمكنت من الفرار سرت الى حضور المصارعة في قاعتك والا فموعدنا في الاجتماع ساحة اكسفورد على طريق تيربن وعند ذلك نهض السير تورنهيل وقال لاحاجة للاطالة في ازعاجك فقد رسمت كلما يمكن رسمهُ هنا وسأتمم صورتك وحدي في بيتي

قال جاك وهل يسمح لي حضرة السير بروياها فدفعها اليهِ ولدى مشاهدتها تاوه وقال ماذا يكون من امي المسكينة اذا نظرت هذه الصورة . اجاب هوجرت اني قرأت في هذا النهار اعلانًا يتعلق بامك قال وما هو فاخرج من جيبهِ ورقة مطبوعة دفعها اليهِ وقال هاك الاعلان المذكور فقراه واذا يتضمن العبارة الاتية

فقدت السيدة شبارد منذ يومين من منزل المسعرود في دوليس هيل وقد عينت جائزة ثمينة تدفع لمن ياتي من اخبارها بما يكشف عن محل وجودها

فصاح جاك ما هذه النكبة يا الهي . ان امي في قبضة الشقي قال هوجرت عن اي تعني قال كاي وربي انهُ يريد بالشقي جوناتان ويلد فضرب صدره بيديهِ المغلولتين بالسلاسل وقال نعم هو فان امي الان في قبضة يده وتحت مطلق سلطانه وانا اسير في سجني مقيد الايدي والارجل لااقوى على نجدتها قال اوستين ان جاك يدعي بان جوناتان ويلد هو منشأ جميع مصائبهِ اجاب السير تورنهيل لايبعد ان يكون صادقًا في شكواه

قال هوجرت هل تامر بان اساعدك في هذا الرسم يا حضرة السير اجاب لاحاجة لي بمساعدة احد واشكر فضلك على اهتمامك وكان كاي قد اقترب من جاك فقال ان اشغالاً مهمة تقضي عليّ بمفارقتك في هذا الصباح ولكني ساعود اليك غدًا ان شاء الله لاستماع تتمة قصة حياتك فيمكنك ان تتكل عليّ بكلما اقوى بهِ على خدمتك اجاب بصوت حزين غدا يفوت الوقت وينفذ المقدور

ثم ودع الزائرون السجين وانصرفوا وكان هوجرت قد نسي او بالحري تظاهر بنسيان سكينهِ فلمحها اوستين ونبههُ اليها فاخذها ونظر الى جاك نظرة المتاسف على عدم نجاحه في خدمتهِ وذهب فاقفل الباب على جاك وبقي وحدهُ الى ان زاره اوستين في مدى النهار يحمل اليهِ طعامًا فحص قيودهُ وسالهُ عما اذا كان في حاجة الى شيء لانهُ مشغل عنهُ في المساء فلا يعود اليهِ فاجابهُ بالسلب وهو يبذل المجهود في اخفاء السرور الذي اوجدهُ فيهِ ما سيكون من غياب السجان عنهُ في ذلك اليوم وما خرج اوستين الا وانتصب جاك واقفًا وصاح هيا الى عمل عظيم تضمحل بجانبهِ جميع الاعمال

التي اشتهرت بها الى الان

قضيب الحديد

كان من اعمال جاك شبارد بعد انفراده في سجنهِ ان تخلص من السلاسل التي تغلغل ايديه فكسر حلقاتها ثم عمل بعد ذلك على فك قيود ارجله واستعان بقوتهِ ومهارتهِ على قطع السلسلة التي تربطهُ بحلقة الجدار ولف اطرافها على جنبهِ بحيث لا يسمع صوتها ولا تعرقل مسعاهُ

ونذكر القراء ان جاك كان قد صادف في مدخنة الموقدة قضيبًا من الحديد وقف في وجه نجاتهِ قبل دخول جوناتان عليهِ فانصرف همهُ في هذه المرة الى التخلص من هذا العايق فعمد الى ثقب حائط المدخنة يستعين على هذه المهمة بقطعة من الحديد استخلصها من سلسلته وكان الحائط مبنيًا بالحجر والقرميد فاقتضى لاخراج الحجر الاول منهُ مزيد العنا والمشقة لما كان عليهِ من بداية الصعوبة ومنتهاها فالقى بهِ فرحًا الى الارض وزاد النجاح في همته وعزيمته فجدد العمل بنشاط وفي اقل من ساعة فتح في الجدار نافذة كبيرة كشفت عن طرف القضيب فاقتلعهُ وكان التراب قد غطى ثيابهُ والتعب اخذ منهُ ماخذًا عظيمًا فوثب الى الارض مسرورًا وقال ان متاعبي الحاضرة لا تعادل بمنافع هذا القضيب وتوهم انهُ يسمع حركة في قفل الباب فخفق قلبهُ ولكنهُ عاد الى نجاده المعتاد فقبض على القضيب الحديد وتهيأ لان يقتل بهِ كل من يدخل عليهِ في ذلك الحين وبعد انتظار مدة اعارفيها سمعًا صاغيًا تاكد بطلان توهمهِ فعاودتهُ الشجاعة وجلس يطلب راحة لنفسهِ قبل تجديد العمل

وبالنظر الى ما لهُ من الخبرة التامة في منافذ السجن ومسالكه كان متيقنًا بان النجاة لا تتيسر لهُ الا بطريق السطح ولكنهُ كان بعيدًا عنهُ بما لا يصل بهِ اليهِ الا باعمال جبابرة تقترن بتوفيق الظروف ولكن الفوز كان ممكنًا والمصاعب لا تزيد سجيننا الا شجاعة واقدامًا

وكان تعدد العوايق وحده كافيًا لان يوقف عن العمل أيًا كان خلاف جاك شبارد لما بينهُ وبين قمة السطح من الموانع الكثيرة واخصها التغلب على فتح ستة من اقوى وامتن ابواب نيفكات فضلًا عما يحدق بهِ في نزولهِ من المخاوف والمخاطر ولكن جاك كان جلودًا مقدامًا فلم ييأس من النجاح بل اتخذلهُ من افكاره مشجعًا فكان يقول ان هذا العمل مع اهميتهِ وصعوبته لا يزيدهُ قدرًا على غيره من اللصوص العاديين والذي ضاعف اقدامهُ تعطشهُ الى مشاهدة امهِ والانتقام من جوناتان ويلد فنهض واقفًا وفي يدهِ القضيب الحديدي وتمشى مسرعًا في ارض الغرفة فمر في طريقهِ على الاتربة التي كومتها يده بجانب الموقدة فتبسم وقال ترى ما يكون من اوستين لدى دخولهِ غدًا ونظره لهذه الاكام فوحرمة الحق ان ما اهدمهُ في ساعة لا يقوى على بنايتهِ في شهر وقبل المباشرة في مهمتهِ خطر على بالهِ ان يسند الباب من الداخل بقضيبهِ الحديدي بحيث

يتعزز فتحهُ من الخارج ولكنهُ كان في حاجة مزيدة الى استصحاب هذا القضيب معهُ بما حولهُ عن رأيهِ فاعتمد على الاجراء متكلاً على الحظ الذي وفقهُ الى مرغوبهِ في اعمالهِ الماضية وتسلق المدخنة الى ان اصبح محاذياً للطبقة الثانية من السجن واعاد الثقب بهمة ونشاط مستعيناً بقضيبهِ الحديدي على سرعة الانجاز فتوفق الى فتح نافذة متسعة في الجدار وصاح فرحاً ان كل حجر تعينني الاقدار على اقتلاعه يقربني من امي ويسهل لي الانتقام من عدوي

الغرفة الحمراء

تعرف الغرفة التي اشرفت عليها النافذة التي فتحها جاك شبارد في الحائط بالغرفة الحمراء حيث كانت فيما سلف من الزمان مدهونة الجدران باللون الاحمر ومعدة للحجر على رجال الحكومة ولكنها اهملت منذ ثورة براستون اي منذ سنة ١٧١٦ وبقيت خالية خاوية فرمى جاك شبارد بقضيبهِ الحديدي الى ارضها ثم انسل اليهـــا وبينما كان يمشي فيها اصابت رجلهُ مسماراً طويلاً فالتقطهُ وما لبث ان استحال الى آلة لمنفعتهِ فهرع الى الباب يعالجهُ وكان قفلهُ قويّاً فكسر بالقضيب الحديدي عارضة الخشب التي تعلوهُ ثم سحب المسامير واقتلع القفل المذكور بما اجلى عن فتح الباب فخرج منهُ وسار في ممر ضيق انتهى بهِ الى باب فاخذ يبحث بايديهِ عن مكان قفلهِ فوجده من الداخل وتوصل بعد التعب بمسماره وقضيبهِ الى اقتلاعه فانفتح الباب في الحال وظهرت من خلفهِ كنيسة نيفكات

الكنيسة

وكانت الكنيسة المذكورة في الطبقة العلياء من السجن تقسم الجهة الواحدة منها الى ثلاث دوائر عظيمة معدة الى المسجونين من مديونين وجانين وخلافهم اما الجهة الثانية المقابلة فتولف دائرة صغيرة للمسجونات من النساء وفي الوسط صفوف من المقاعد للاغراب وللسجناء الممتازين وتحت المنبر مقعد مستدير لجلوس المحكوم عليهم بالاعدام فوثب جاك في الحال منتصباً على مقعد من مقاعد الجهة الاولى وكان يفرقها عن غيرها درابزون يبلغ ارتفاعه نحو اثنى عشر قدماً ويعلوه حراب مشعبة من الحديد فحلقهُ غير معتد باخطاره ثم تنقل من مقعد الى اخر الى ان بلغ المقعد المعد للمحكوم عليهم بالاعدام وكان من خلف المنبر باب ينفذ منهُ الى ممر يودي الى سطح السجن وهو محصن من اعلاه بحراب تشبه حراب الدرابزون فلكيما لا يعرض بنفسهِ الى خطر جديد مثل الخطر الذي نجا منهُ في المرة الاولى عمد قبل تسلق الباب الى كسر احدى هذه الحراب ثم استصحبها معهُ ونزل في سلم صغير انتهى بهِ الى الممر المذكور فاذا باب متين في نهايتهِ لا يمثل بغيره من الابواب التي تقدمتهُ فثبت امامهُ امداً ولكنهُ اعمل فيهِ اخيراً حربتهُ الجديدة وبعد معالجة

مدينة تيسر فتحة ولم تكن تلك نهاية المصاعب التي تحول دون النجاة بل ظهر له من بعدها صعوبة اخرى لا يسهل التغلب عليها وهي باب سادس مصفح بالحديد بثلاثة اقفال فتمكن بعد مجاهدة عظيمة يقصر عن القيام بها افحل الرجال من اقتلاع قفلين وبينا كان مشتغلاً في خلع الثالث كسر المسمار في يده والتوى القضيب وكان التعب قد انهكه فكلل العرق البارد جبهته وسقط متكئاً على الحائط غائباً عن الوعي عرضة للياس الشديد وتراكمت عليه الهواجس فاسمعته الاوهام وقع خطوات على مقربة منه وصورت له انه سامع لنفس صوت عدوه جوباتان ويلد فارتعشت اعصابه وقبض بيديه الاثنين على القضيب الحديدي واندفع كالمجنون في الممر وعقد العزم على ان لا يبيع حياته من اعدائه رخيصة ولكنه لم يلبث ان تمالك تدريجاً صوابه بما بدد عن افكاره غيوم تلك الاوهام فانبث فيه النشاط واخذ يتامل فيما يجب عمله من الوسائط بحيث يخرج من هذه الخطة فائزاً فارتأى ان يخاطر برجاه الوحيد الباقي وهو قضيب الحديد فارسل طرفه الي ما تحت الباب وانكا يشد عليه بقوة ومهارة غريبة تمكن بهما من اقتلاع الباب من مركزه فاسكرته خمرة الفرح لما شاهد من انفتاح باب نجاته يكشف له عن سلم صغير من الحجر

السطح

فتسلق جاك السلم بما اوصله الى ما فوق سطح بناية نيفكات فانتعش ثم بما صادف من خطرات النسيم النقي ولكنه كان عالماً بما ينشأ له عن ضياع الوقت من المصار فاهتم اولاً في معرفة مكانه من السجن وكان وقتئذ في جهة من السطح ملاصقة لقبة الباب وقد احدقت بها الجدران المرتفعة وعلى شماله برج بنوافذ ضيقة عليه سلم صغير من الخشب فتسلقه ولم يبلغ الدرجة الاخيرة منه الا دقت الساعة الثامنة بما افاد ان جاك بذل في عمله الشاق الخطر مدة ست ساعات متواليات ومع ان الليل كان قد ارخى وقتئذ سواده لم تكن الظلمة كثيفة الى حد ان لا يميزه بين الاشياء القريبة منه فتراأت لجاك قبة كنيسة القديس بولص معلقة في الفضاء بما يشبه غمامة عظيمة سوداء ثم حانت منه التفاتة الى اسفل فداخله الخوف الشديد لما راه من ان زلة واحدة كافية لان تلقي به الى الحضيض فسار يتحرس على طرف الحائط الى ان بلغ جنوبي البرج ثم اتخذ له من نوافذه الصغيرة سلماً اعانه على بلوغ اعلاه فوصل سالماً اليه وهو يشرف على سطح بيت مجاور وكانت مسافة ارتفاعه عن ذلك السطح لا تنقص عن اربعين قدماً ولا يخفى ما في الاقدام على قطع هذه المسافة وثباً من الخطر الذي لا يؤمن بجانبه الموت السريع فرأى جاك ان يختار له من المسالك ما هو اخف خطراً من هذا الطريق ولما لم يجد تطرف بافكاره الى حد ان يثني راجعاً من حيث اتى ويعود بغطاء فراشه فتسلح بقضيبه الحديدي وسار راجعاً على نفس الطريق التي قطعها بمعاناة الشدائد وانسل الى غرفة سجنه من نافذة المدخنة حيث تابط بغطاء فراشه وانقلب

عائداً الى مكانهِ فقطع الممر المظلم وعاود التسلق على الجدار الى ان وصل الى اعالي السطح وكان قد ترك الحربة الحديدية التي اقلعها من باب الكنيسة فغرزها بين حجرين ثم ربط بها الغطاء فكان حبلاً متيناً تمسك بهِ وانحدر الى جهة سطح البيت المجاور فبلغهُ صحيحاً سالماً وكان باب السطح مفتوحاً فانسل منهُ الى داخل المنزل واقفلهُ من خلفهِ وبعد ان سار في ظلمة كثيفة صادف باباً اخر يودي الى سلم فانحدر اليهِ واذا صوت من الاسفل يقول من هنا . وما هذه الحركة اجاب صوت اخر لاتجزع فهي حركة الكلب ثم ابتعد الصوت فداوم جاك المسير ونزل سلمين وبينما كان يتهيأ لنزول الثالث واذ فتح باب وظهر اثنان يحمل احدهما ضوءا فتاخر جاك الى حيث وجد غرفة ففتح بابها وانزوى في زاويتها مختفياً وراء رداء طويل

فيما حصل لجاك شبارد في منزل الخراط

وما استقر جاك شبارد في الغرفة الا دخل الاثنان الذي صادفهما في الخارج الى مكان وجوده وقد دار بينهما الحديث فلم يتمالك نفسهُ من التعجب والاستغراب لدى علمهِ من صوتهما انهما الموسيو كنيبون والسيدة ويتغريد

وكان مفاد اقوال كنيبون اظهار مزيد سروره لحضوره في هذا المساء الى زيارة الموسيو ييرد صاحب المنزل وتشرفهِ برؤياها مع ابيها عنده

فاجابت السيدة ويتغريد تطلب اليهِ ان يوجز حديثهُ بما في الامكان وقالت ان كان لديك ما يهمني معرفتهُ فعجل في ايضاحهِ لانك قلت لي الان بانك ترغب في ان تلقي اليَّ سراً يتعلق بتيمس درايل ولهذه الغاية تركت ابي مع الموسيو ييرد في الاسفل وحضرت معك الى هذا المكان فما هو هذا الخبر السري الذي تريد ان تقصهُ عليَّ

فهز كنيبون براسهِ وقال هو خبر محزن ولكن لا بد من اطلاعك عليهِ فوا اسفي

اجابت كفى تحرك مني الساكنات فاخبرني بواقعة الحال وثق باني احتمل البلية بالصبر انما الحذار ان تكدر شعائري بخبر مختلق . فماذا تعلم عن تيمس درايل واين هو الان

قال عودي الى روعك واستنجدي بكل قوتك ان شئت ان اتكلم صدقاً ولا اخفي عنك شيئاً . اجابت تكلم بحقك فاني على ما وعدتك متهيئة لان اتناول الخبر بالصبر والجلد

قال ما دمت ترغبين فيهِ فاستعدي للوقوف على مصيبة عظيمة حلت بكم وانتم لا تعلمون

فصاحت استحلفك بالله ان تتكلم

قال هاك الخبر الصحيح وانما هل انت على استعداد له

قالت نعم . . نعم . . فان مماطلتك يا كنيبون تفعل في احشاي فعل السيف الحاد فكفى بالله وتكلم

اجاب ان تيمس درايل - تيمس درايل الذي تحبينه كاخيك قتل

فصاحت ويتغريد . . قتل . .

قال نعم . . قتلة جاك شبارد وبوبلو

اجابت ويتغريد لا . . لا . . لا اصدقك مطلقًا . . . وجاك شبارد لا يرتكب مثل هذه الخيانة

فتهلل جاك من وراء الخباء محاماة ويتغريد عنهُ

فقال كنيبون لديّ البراهين الكافية على صحة كلامي وقد ارتكب الجانيان فعل القتل عقيب ان اختلساني

اجابت ان قلبي ينبهني الى انك غير مصيب في تهمتك

قال لا بل مصيب وعلى ثقة من اصابتي . وكانت ويتغريد قد حولت وجهها عنهُ تريد الذهاب فاقترب منها وقال لها اسمعي لي قبل الافتراق بكلمة واحدة ايتها الحبيبة الكريمة فاني كنت اقهر النفس في مدى حياة تيمس درايل على عدم ايضاح شعائرها نحوك اما الان وقد قضى الغريم أفلا تسمحين لي بالتكلم عن اعتباري وحبي

اجابت ان توجيهك الي مثل هذا الكلام الان لا اعده الا احتقارًا لي وحطةً لشاني

قال ان تولعي بك وجنوني بطرفك يصفحان بي لديك عن كل ذنب اقترفهُ فاني عاشق لجلالك عابد لجمالك ولوكانت امك في قيد الحيوة

فقاطعت كلامهُ وقالت . . يا خواجا . . فصاح ان سعادتي وشقاوتي بين يديك وطوع شفتيك ثم القى بنفسهِ على اقدامها وقبض على يدها يقبلها بتلهف فصاحت الفتاة اتركني فقد علمت الان الغاية من كذبك وارجافك بموت تيمس درايل دعني وشاني اخرج من هذا المقام فلم يكن جواب كنيبون على ذلك الا ان نهض من مكانهِ مسرعًا واقفل الباب بالمفتاح منعًا لفرار الفتاة فصاحت مرتاعة ويلك ماذا الذي فعلتهُ

قال اني لا اريد باقفال الباب الا منعك من الخروج قبل ان احصل منك على كلمة القبول

اجابت . ابدًا . . دعني اخرج . . والا ناديت ابي

قال وماذا تفيدك المناداة وانت في قبضة يدي

فصاحت ويلك من جانٍ . . النجدة . . النجدة

قال ان صوت صراخك لا يسمع من الاسفل فلا تطمعي بما لا ينال وللحال وثب جاك الى وسط الغرفة وصاح ارجع الى الوراء ايها الخائن وكان ظهوره غير منتظر من الاثنين فارسلت الفتاة صوتًا موثرًا وتأخر كنيبون مذعورًا الى الحائط فقال جاك لقد اتهمتني ايها الشقي بقتل تيمس

درايل كذباً فارجع بكلامك وفز بنفسك

وشاهد كنيبون اصفرار جاك شبارد الناشئ عما قاساه من المتاعب فطمع بهِ وقال لا بل بالعكس فاني اوكد كونك القاتل فصاح جاك كذبت وضربهُ بقضيبهِ الحديدي على راسهِ فسقط منطرحاً عند قدميهِ فنادت الفتاة مرتجفة قتلته اجاب لا و بفرض انهُ قتل فقد نال لما يستحقهُ ثم تقدم نحوها وقال الامل ان لاتكوني قد وثقت بما قيل لك من خبر قتلي لتيمس درايل اجابت لا . . فكن مطمئن البال انما اخبرني الان كيف كان مجيئك الى هذا المكان قال اني قادم من نيفكات فقد هربت منهُ ووفق لي الله سبيل النجاة فنزلت على هذا المنزل واني اشكر الصدف التي جمعتني بك هنا ومكنتني من خدمتك فتنازلي الى مجاوبتي على كلمة واحدة قبل ذهابك وهي هل بلغك شيء عن تيمس درايل بعد ايقافي اجابت لا فان ابي لم يهمل واسطة الا اجراها للاكتشاف على خبره وقد ذهب باحثاً عليهِ الى (استون هال) ايضاً مقر السير روفلاند ولكن اتعابهُ وابحاثهُ ذهبت سدى فتنهد جاك بحزن وقال ان السير روفلاند قتل . . وقبل صباح غد لابد من الاكتشاف على اخبار تيمس درايل وليقدرني الله على اظهار الخفي من امره ولو بخسارة حياتي . . والان افيدي ما الخبر عن امي

قالت من يوم قبض عليك واختفى تيمس درايل وهي مريضة وقد زاد مرضها الى حد ان قطعنا الامل من حياتها ثم فقدت شعورها ولكنها عادت فاوجدت فينا الامل بشفائها وفي يوم الثلاثاء الماضي تركتها في القاعة نائمة بعد قلق طويل ولدى رجوعي اليها لم اجدها

فصاح جاك غائباً عن الوجود بفاعيل الالم . اه يا الهي

قالت وقد اجرينا البحث المدقق للوقوف على الصحيح من خبرها بدون جدوى وما زلنا نجهل الى الان مكان وجودها وما تاتى عليها فصاح جاك انها في قبضة جوناثان و يلد ولا بد من خلاصها ولو بالتعرض الى الهلاك

قالت ويتغريد وقد سهي عن بالي ان اخبرك بان بعد ايقافك بايام قلائل جاء رجل الى ابي ووعده بان يعطيهِ لتيمس درايل مبلغاً عظيماً من المال مع اوراق مهمة بشرط ان يتعهد لهُ باطلاق سراحك من السجن

اجاب جاك ان هذا الرجل هو لاشك انهُ بوبلو

فقالت ويتغريد ولدى معرفة ابي الرجل المذكور اطلق عليهِ الرصاص ومع انهُ أصيب بهِ كما يستدل من اثار الدم التي ظهرت من خلفهِ قوي على الفرار والنجاة

اجاب جاك لو استطاع ابوك ان يقبض على زمام غضبهِ العادل ولم يقابل الرجل بالعدوان لنال منهُ نفعاً عظيماً لتيمس درايل وقدم لابنهِ خدمة جليلة فصاحت الفتاة وهل في وسع ابي ان يصفح عن

قاتل والدني و يصبر على مقابلتهِ قال ان اباك معذور في عملهِ فلا يؤخذ عليهِ

ثم قص عليها ما حصل لهُ مع تيمس درابل في منزل جوناتان ويلد ولدى وصولهِ الى ما كان من جرح رفيقهِ ووقوعهِ في قبضة الشقي صاحت متألمة واغمي عليها فتداركها جاك يسندها بذراعيهِ واذا صوت المسترود وكان قد عالج الباب ولم يقوَ على فتحهِ فصاح غضوبًا ما بال الباب مقفل من الداخل . . ماذا تفعلان . . افتحا . . افتحا في الحال . . اجاب جاك بصوت الموسيو كنيبون وهل انت وحدك

اجاب ولما هذا السوءال فقد قلت لكما افتحا وكفى

فمدد جاك و بتغريد بخرس على الصعيـــد ثم طفأ الضوء وفتح الباب واختبا خلفهُ فدخل المسترود بجهل ضوءا وللحال بادرهُ جاك بان اطفاهُ لهُ بفمهِ وخرج مسرعًا يتدرج السلم ولدى بلوغهِ اسفل الدار شعر بخطوات الموسيو بيرد صاحب المنزل وكان قد سمع صياح المسترود وخرج في اكتشاف خبره فحاد جاك من طريقهِ وانسل الى المخزن حيث وثب من نافذتهِ الى الشارع ونجا من سجنهِ بعد ان اقام باعمال عجيبة لم يسمع بصدورها عن احد قبلهُ

مصائب

في مساء اليوم الذي فر فيهِ جاك شبارد من نينكات عقد جوناتان ويلد مع معاونيهِ مجلسًا في قاعة الاجتماع في منزلهِ و بعد مذاكرة طويلة ذهب الرجلان و بقي جوناتان وحدهُ فحمل قنديلاً بيده ونزل في السلم السري الموصل الى باب الدهليز و بعد ان قطع ممرًّا ضيقًا انتهى الى باب ففتحهُ ودخل الى قبو مظلم في زاويةٍ منهُ امرأَة صفراء متألمة متمددة على حصيرة بالية فاقترب منها واخرج من جيبهِ قنينة وكاسًا من الفضة ملاه بمشروب الى ان تدفق ثم قدمهُ الى الامرأَة وقال اشربي هذا الكاس فارسلت اليهِ نظرا ثابتا يترجم عن بغضها وحقدها ثم تناولتهُ بلهفة و بعد ان ابتلعت ما فيهِ قالت هل سقيتني سماً قال لا لم اسقك الا مشروبًا يقويك على احتمال تجارب هذا الليل حيث لم تحن بعد الساعة التي يجب ان اتخلص بها منك بالموت وكانت الامرأَة المذكورة هي السيدة شبارد فصاحت هل عدت الى تجديد مطالبك الظالمة

اجاب نعم عدت لانفاذ توعداتي وفي هذا المساء تصيرين امرأتي

اجابت الموت قبل ذلك . قال لا بل بعده ان حسن لديك فاني لا امنع عنك المنية بل اساعدك عليها وانما بعد اتمام رغائبي فيجب ان تعيشي الى ان اقترن منك وقد ارسلت في طلب الكاهن فاياك ومخالفة ارادتي

فصاحت الارملة ارحمني . . ارحمني . . بربك اشفق علي وارحمني

قال وما الموجب لشكواك فالاجدر بك ان تفرحي وتشكري لي عملي حيث اخترتك من

بين جميع النساء امراة لي فتنهدت وقالت لا . لا . . الموت . . الموت . . فلم يعد لي في هذه الدنيا الا بضعة ايام او بالحري بضع ساعات . فاقتلني ولا تجبرني على ارتكاب مثل هذه الجريمة قال ان قتلك لا ينيلني اربًا ولم انتشلك من منزل المسترود لاقتلك بل لاقترن منك اجابت ما الذي يحملك على الاساءة اليَّ بمثل هذا العمل المعيب قال ان الاسباب التي تحملني على ذلك غير مجهولة منك وقد ذكرت اكثر من مرة امامك ولا مانع من اعادتها الان على مسامعك فاني في بادئ الامر اي في ايام صبوتك كنت ارغب في التاهل منك لجمالك اما الان فلثروتك

فصاحت ومن اين لي الثروة وانا لا املك بارة

قال انك الوارثة الشرعية لعائلة ترانشفار الغنية اجابت ولكني لا ارث شيئًا الا بعد وفاة السير روفلاند ونيمس درابل

فقال بصوت مرهب ان السير روفلاند قضى نحبهُ منذ حين اما نيمس درابل فسابعثهُ في هذا الليل قبل زواجنا الى مقابلة خاله في دار الاخرة

فرفعت السيدة شبارد اعينها نحو السماء وصاحت الهي . . الهي .

قال مالك وللتذمر والنواح فاصغي لي الان واعلمي بانك كنت موضوعًا لحبي منذ سنين عديدة اي عند ما كنت في ريعان الجمال

اجابت انت احببتني . . انت . . جوناثان وايلد

قال نعم احببتك وقد نبهتني هيئتك الى وجوب الفحص عن قصة حياتك ولدي علمي بانك متسللة من لانكشير هرعت الى مانشستر وهناك توصلت بالاختبار الى معرفة كونك ابنة السير مونتاكيت ترانشفار وشقيقة السير روفلاند فاسرعت بالعود الى لوندرا لاقدم لك يدي واقترن منك ولكن الاقدار لم تساعدني على غايتي حيث وجدتك برجوعي مقترنة من صانع نجار يدعى توما شبارد فكتمت هذا السر في صدري واعتمدت على الانتقام فاقسمت على ان اقود زوجك ذليلاً الى المشنقة وازج بك الى هاوية المصاب والحق ابنك اذا رزقت منهُ ولدًا بابيهِ

اجابت والآن اني ان يمينك قد تحقق بالعمل

قال نعم اقمت بكلامي انما طالما يهمك امرهُ الان فهل تقبلين بالاقتران مني بدون ان تلجئيني الى [illegible] بالعنف والعسف فاذاك [illegible] عن ولدك

[illegible]

[illegible] على ذلك

اجاب اقسم

فظهرت على الارملة لوائح الارتياب وقالت من كان مثلك شقياً لا تهمهُ اليمين ولا يمنعهُ عن ارتكاب الشر فانك لا تلبث ان تنكث بها اذا تراءى لك وجه انتفاع من مخالفتها فقد تحملت الى الان كثيراً من خياناتك ولم تعد لي ثقة بكلامك

اجاب جوناتان ببرود افعلي ما يحسن لديك انما لا تنسي كونك في قبضة يدي وكون حيوة جاك موقوفة على ما يكون من ارادتك

فصاحت الارملة مايوسة اه ياالهي . . ماذا افعل

قال خلصي ابنك لانك قادرة على خلاصهِ

اجابت جئني بهِ . . دعني اراه واعانقهُ واثبت لي باعمالك صدق اعتمادك على خلاصهِ فاكون لك واقسم يميناً باني لا ارجع عن كلامي . قال ولكن . . فقاطعتهُ في كلامه وقالت ولكن ماذا . . أن ترددك يكشف عما تضمره لي من الغش

اجاب لا والله اني لا اضمر لك غشاً وفي الغد تشاهدين ولدك قالت فلنوخر اذا عقد الزواج الى الغد اجاب انك ترومين مستحيلاً فقد تهيأت المعدات ولا يمكني تاجيل الزواج على الاطلاق وفي هذا الليل تكونين لي اجابت بثبات ان جميع عذابات الوجود لا تنيلك مني اربًا قبل اطلاق سراح ولدي فاتجه نحو الباب وقال اني ساعود اليك بعد ساعة مصحوبًا بالكاهن ثم وجه الى الارملة المسكينة نظرة الوعيد وخرج من القبو واقفل عليها الباب من الخارج فسقطت السيدة شبارد محلولة العزائم على حصيرتها وقالت سانجو بعد ساعة من ظلمك الى الابد

مواجهة جاك شبارد الاخيرة لامهِ

بعد ان نجا جاك شبارد من منزل الخراط انطلق مسرعًا نحو مسكن جوناتان ويلد وقصد الباب السري المودي الى الدائرة السفلى وعمد الى معالجتهِ فوجده مفتوحًا فدخل في الحال ونزل السلم الموصل الى القبو وما بلغ اسفلهُ الا سمع حركة تبعها صوت مسير انسان فبادر الى الاختباء في زاوية المكان واذا كيلت ارنولد يحمل قنديلاً فهيأ قضيبهُ الحديدي ليوقع بهِ ولكنهُ شاهد في هيئتهِ مادعاهُ الى تقليب الظنون في مهمتهِ فعدل عن قصدهِ وعزم على ملاحقتهِ والاكتشاف على خبره فصبر الى ان مر وسار في اثرهِ

وكانت جميع ظواهر وحركات الرجل تشف عما تحتها من نوايا الشر فانهُ وقف عن مسيره اكثر من مرة مذعورًا يرسل الى ماحولهُ نظرًا قلقًا مضطربًا وحاول العود على الاعقاب ولكنهُ تشجع اخيرًا وداوم التقدم

فقال جاك في نفسهِ ان هذا الشقي عامد الى ارتكاب جناية فليقدرني الله على منعهِ من انفاذها وكان سائرًا على مقربة منهُ بحيث يلاحظ جميع حركاتهِ ولا يرى منهُ ففتح كيلت عدة

ابواب وقطع ممرًّا مظلمًا طويلاً انتهى بهِ عند باب وقف امامهُ مرتعشاً ثم وضع القنديل بجانبهِ واخرج من زناره مفتاحًا فتح بهِ الباب وجرد سيفهُ وانسل الى الداخل ثم تبع دخولهُ صوت يشبه لصوت تيمس درايل فانحدر في الحال جاك الى القبو واذا تيمس المذكور مربوط الايدي والارجل وقد جثا عليهِ كيلت ارنولد ورفع سيفهُ ليرسلهُ الى احشائهِ فانقض جاك بسرعة التصور على الجاني والقاهُ على الارض بضربة من قضيبهِ ثم حل وثاق رفيقهِ في طفوليتهِ واجلسهُ وكان كالسكران فحقق نظرهُ فيهِ وقال من انت . . جاك

قال نعم انا هو وانما اخبرني هل انت تيمس درايل لانك تغيرت كثيرًا ولولا صوتك لما عرفتك

اجاب اني لم افارق هذا المكان المخيف منذ يوم اجتماعنا الاخير ولا اعلم كم مضى عليَّ فيهِ من الزمان!

قال جاك مضي على تلك الليلة المشومة ستة اسابيع قضيتها سجينًا في نيفكات الى ان وفق الله لي منة النجاة فرارًا في هذه الساعة

فصاح وآسفي كيف مد البلاء في اجل هذه الاسابيع حتى حسبتها دهورًا فهيا ياجاك الى الفرار . . هيا الى النجاة

قال جاك اتبعني انما قبل ذهابي اريد ان اتفحص هذه الاماكن مستكشفًا عن امي فلربما تكون مثلك اسيرة عند جوناتان الظالم

اجاب نعم فقد زار جوناتان بالامس مكان سجني ولكيما يزيد في حسراني قال لي ان امك عندهُ محجوز عليها في القبو المجاور

قال جاك نسلح بسلاح هذا الشقي المطروح على اقدامك وسر بنا لنخلص والدتي ففعل تيمس ارادة رفيقهِ ولكنهُ كان ضعيفًا بما لا يمكنهُ من الدفاع في مقام العراك فقال لهُ جاك اتكئ عليَّ ثم حمل القنديل بيده وخرج بهِ الى الممر وما ان تقدما بعض خطوات صادفا امامهما بابًا فقرعهُ جاك ومال باذنهِ عليهِ فسمع من داخلهِ صوت انين عميق فصاح ان امي هنا ولكن الباب كان مقفلاً فجرب عليهِ جميع المفاتيح التي وجدها في زنار كيلت ارنولد بدون ان يحصل على الغاية مما الجاهُ الى الاستنجاد بتصيبه الحديدي لخلعهِ وسمعت السيدة شبارد من الداخل صوت حركة في الباب فارسلت صوتًا ناجحًا مرتبًا وصاحت ارجع الى الوراء ايها الشقي واياك والدخول علي والا خرقت احشائي بهذا السكين الذي في يدي

فصاح جاك بصوت متقطع بما بهِ من الاضطراب هذا انا يا امي . . هذا ولدك جاك

فاجابت الارملة لا . . لا . . . كذب . كذب . . وصوتك لا يشبه صوتهُ فارجع عني

الى الوراء . . الى الوراء

فصاح ما العمل يا الهي . امي . . عودي الى روعك واعر في صوت ابنك

قالت لا تطمع مني بالوقوع في هذا الفخ الذي تحاول نصبهُ لي فقد قطعت بعزمي ومن المستحيل ان تحصل علي وانا في قيد الحيوة

فصاح تيمس اني اسمع صوت مسير اقدام فعجل ياجاك واقتلع الباب قبل ان تدركنا الاعداء

قال جاك اني قادم اليك ياامي فلا تجزعي ثم دفع الباب بعزم واعار صغيًا فسمع صوتًا مختنقًا تبعهُ سقوط جسم ثقيل على الارض فارسل بقضيبهِ الحديدي على الباب ضربة شديدة اقتلعتهُ من الجدار وصاح ويلي قتلتها واندفع الى الداخل فوجد الامراة الحزينة ممددة على الارض وفي يدها سكين يقطر دمًا فارتمى عليها غارقًا بدموعهِ وصاح اه ياامي فنظرت اليهِ النظرة الاخيرة وقالت بصوت النزع جاك . . . هل هذا انت

اجاب نعم انا . . انا الذي قتلتك بشقاوتي فسامحيني بربك . . سامحيني . قالت فليباركك الرب ثم مسكتها رعشة عصبية استولت على جميع اعضائها وبعد ثوان قليلة سارت روحها نحو خالقها فركع جاك عند اقدامها وصاح اسمح لي ياالهي بان اصادف حظ امي في الحال من البلاء فلا احتمل مرارة فراقها

وانتظر تيمس الى ان عاد جاك من غيبوبة الحزن الشديد فاقترب منهُ وقال انك لاتستطيع ان تبقى طويلاً هنا وامك لم تعد في حاجة اليك فصاح جاك بصوت مضطرب مخيف سوف انتقم لها من اعدائها قال تيمس فلنبتعد الان من هذا المكان الخطر ونصحب معنا جثة والدتك فنواريها التراب ونقوم بالواجبات الاخيرة نحوها اجاب اصبت فاحمل القنديل وسر امامي ثم رفع جسد امهِ بين ذراعيهِ وسار من خلف رفيقهِ الى ان وصلا الى نهاية الممر فسمعا صوت جوناتان ويلد فصاح جاك اطفيء القنديل وعرج الى الجهة الشمال . . عجل . . عجل

وبعد دقائق قليلة اصبحا خارج المسكن قال تيمس الى اين نذهب اجاب جاك لا اعلم وصدف مرور عربة فاستدعى تيمس السائق وقال لجاك اعطني هذه الجثة فانقلها الى دوليس هيل عند المستر ود اجاب افعل فالامر اليك ثم ادخلا الجثة الى العربة تحجبها الظلمة عن اعين السائق وبعد ان استوى تيمس بجانبها قال وعلى م عولت انت ياجاك اجاب لا تكرثي وانما اسهر على هذه الامانة المقدسة التي عهدت بها اليك قال ثق ... في هذا المعنى واذهب على احيا ... جاك لي ... ان ... ثم ... واغلق الباب فانطلقت العربة ... خيال انسان محتجب بالظلام خرج من وراء الشائك ... وجد ... اثره

حضور جاك شارد لجنازة امهِ

في صباح بعد غد ذلك اليوم سار جاك بثياب الحداد وكان قد نجا بما يشبه ان يكون الاعجوبة من ايدي مطارديهِ الى قرية ويليسدين لحضور جنازة امهِ وبقي مدة من النهار مختفياً في المقبرة الى ان قرعت الاجراس تنذر بالابتداء في الصلوة على جسد القتيلة وشاهد عن بعد محتفل المشيعين يتقدمهم المستر ود وتيمس درايل فانسل الى الكنيسة وجثا على مقربة من النعش وبعد ان انتهت الصلوة سار وراء الجثة الى المقبرة وهناك تراكمت عليهِ الاحزان بما اضاعته عن الوجود والقته في الياس فركع على حفرة المدفن بيما كان الكاهن يتلو الصلوة الاخيرة وبدا يعدد امهُ ويندبها بصوت متقطع بالتنهدات ثم ودعها بما تنفطر له القلوب فتاثر الحاضرون لكلامهِ وعلت من بينهم اصوات التنهيق والبكاء وتحولت نحوهُ الابصار متشفقة عليهِ متاسفة لحالهِ واذا بيد كأحد يد وضعت على كتفهِ وصوت جوناتان ويلد يردد قولهُ انت اسيري فنهض جاك مدهوشاً وقبل ان يتمكن من الاستعداد للدفاع قبض كيلت ارنولد وكان مختبئاً وراء جوناتان على يدهِ اليمنى فصاح هل تجسرون ايها الاشقياء ان تجسوا بوجودكم قبر الضحية التي دستوا جثتها باقدامكم فلم يجبهُ جوناتان بشيء ولكنهُ امر اتباعه بان يسوقوهُ امامهم وكان تيمس قد استل سيفهُ واراد الانقضاض على جوناتان لحولهُ المستر ود عن عزمهِ وساء قسماً كبيراً من الحضور ما كان من جوناتان نحو جاك فلاحت عليهم امارات الغيظ الشديد وكانت ظواهر الحال تدل على وشك وقوع الخصام وانتشار العدوان نصاح جوناتان غلغلوا ايديه بالسلاسل لنرى من يستطيع ان يقاوم في انفاذ مذكرتي . . فانا جوناتان ويلد وقد جئت لاوقف هذا الرجل باسم الملك

فسمعت من بين الجمع اصوات التذمر والاحتقار وقال جاك بصوت حزين دعني ارى التراب يواري جثتها وافعل بي بعد ذلك ما تشتهي نصاح جوناتان لا اريد قال ود تحنن عليهِ وامنحهُ هذه المرحمة فردد قولهُ لا . . لا . . ثم مر باسيره بين الجمع وهو يحدق بهِ من جميع الجهات متضجراً متوعداً فصاح جاك امي . . امي الحريبة ودافع تخلصاً من اعدائهِ وتمنعاً عن مفارقة مدفن امهِ ولكننا حر بعنف من جوناتان ورفاقهِ على المسير فخر صاغراً الى عربة كانت على باب المقبرة بانتظاره والتي فيها بحشوة بالرغم عن مقاومة كثيرين دفعوا الى المعارضة بما شاهدوهُ من قساوة مفتش البوليس السري وتحجر فوادهِ

ثم صعد جوناتان بدورهِ الى العربة وصاح بالسائق الى نيفكات وعند ذلك ترددت اصوات التهديد من جميع الجهات ورجمت العربة وهي تجد مسرعة بين فيها بحجارة كثيرة تساقطت عليها كالامطار وبيما كان جاك سائراً على هذه الحال الى نيفكات ارسلت جثة امهِ المسكينة الى قبرها وتوارت في بطن الارض عن العيان

انتقام بوبلو من جوناتان و يلد

ولدى وصول جاك الى نيفكات ادخل الى حجرة الجانين وانيطت حراستهٔ بجميع السجانين على اختلاف درجاتهم ولم يكن في تلك الحجرة وقتئذ خلاف سجين واحد وهو بوبلو ولدى رؤياه لجاك شبارد اصابتهٔ رعشة قوية وصاح مأ بوسًا واسفي هل ما زالت الكلاب تجد في طلبك ياحضرة القبطان فوالله لولم يقبض عليك لنجوت من سجني واجتمعت بك في هذا المساء فلم يجب جاك بشيءٍ ولم يحول الى بوبلو نظرًا اما جوناتان فكان يحدق بهِ شذرًا وعند نهاية حديثهِ قال فلتفحص قيود هذا الشقي فهرع اثنان من الحراس لاتمام الامر و بعد التفقد والتدقيق ظهر ان احدى حلقات قيوده منشورة فصاح جوناتان فليفتش و يكبل بقيود متينة وانما يجب ان نهتم بجاك شبارد اولاً ثم ندعهما سوية بحراسة اناس امناء لا يبارحونهم دقيقة وبما ان جاك و بوبلو من الاصدقاء المخلصين فسنرفعهما على شجرة واحدة في يوم واحد ان شاء الله

فنظر اليهِ بوبلو متوعدا وقال ان ذلك اليوم الذي تشتهيهِ لا تراهُ بعينك على الاطلاق فعاد جوناتان الى كلامهِ وقال يخاطب السجانين و يجب لمنع امكانية فرارهما وقطع كل امل منهما بذلك ان نضاعف سلاسلهما وتثقل قيودهما

قال جاك اسمع لي وافهم كلامي فان الله قد اعانني على الفرار مرتين من هذا السجن ولم يعيقني عن النجاة شيء فثقل قيودك لا يوخرني عن انفاذ عزمي ولا يمنعني من الفرار مرة ثالثة

فصاح بوبلو احسنت ياحضرة القبطان فسوف نريهم العجائب بما يجلو عن شنق هذا الخائن جوناتان الذي ملا المشانق بالابريا

قال جوناتان صه ايها الكلب الدني ثم قبض يده ولطم بها بوبلو بعزم على وجهه فتدفقت الدما من انفهِ واذ ذاك انتصب مبهمًا كالضواري وهجم على عدوهِ فاعانتهُ حركتهُ على كسر حلقة قيده المنشور وقبل ان يقوى احد من الحضور على دفعهِ اخذ جوناتان من عنقهِ وكانت قوتهُ الغريبة قد تضاعفت بما داخلهُ من الغضب وحب التشفي والانتقام فتمكن بالرغم عن مقاومة خصمهِ من ان يقبض باليد الواحدة على راسهِ مدحورة الى الوراء ويخرج بالثانية سكينًا من جيبهِ فتحهُ باسنانهِ وارسلهُ مرتين الى عنقهِ بما كان يفصل راسهُ عن جثتهِ لولم تتوصل الحراس اخيرًا الى تخليص الجريح من ايديهِ فصاح بوبلو لقد جاء دوركم ايها الانذال وتحول بعزيمة نحوهم يطاردهم و يطاعنهم غير معتد بكثرتهم فاثخن بعضهم بالجراح الخطرة ثم نادى بجاك الفرار ياحضرة القبطان الفرار

وكان جاك باهتًا ماخوذًا بما شاهد من اعمال بوبلو ولكنهُ انتبه اخيرًا الى ان الفرصة مناسبة للنجاة واراد الانتفاع بها فدفع ببسالة حراسهِ عنهُ واندفع هاربًا نحو الباب وكان بوبلو قد وافاه

اليهِ بعد ان اقام بعراك مجيد ثبت فيهِ امدا طويلاً امام اعدائهِ الكثيرين واوشك جاك ان ينجو بنفسهِ لو لم يبادر رئيس السجانين وكان في دائرة الحراس الى اقفال باب المدخل عليهِ فقاتل بوبلو عن سيده قتال الابطال وتمكن اخيرًا من فتح باب اسره ولكن الاقدام كانت قد ازدحمت عليهما باكثر عديده وقد احدقت كلها بجاك بما سد عليهِ طرايقهُ فادرك صعوبة مركزه وصاح ببوبلو الهرب . . الهرب ان استطعت . . فاني امرك بالنجاة فالقى بوبلو على سيده المنكود الحظ نظرًا يشف عما في القلب من الاوجاع والاحزان وراى استحالة خلاصهِ فطلب الباب الخارج ونجا بذاتهِ على حين كانت الحراس مشتغلة بتكبيل جاك شبار بالقيود ولما انتهت من عملها تقدمت نحو جوناتان ويلد وكان في حالة قريبة من النزع فرفع نظرًا تعلوه غشاوة الموت وقال بصوت منخفض ضعيف هل نجا

قال اريستون السجان عمن تعني . . عن بوبلو اجاب لا بل عن جاك . قال لا لم تمكنهُ من النجاة وهو الان في السجن مشدود الوثاق فابدا تبسماً مخيفاً ولفظ حديثًا يستفاد منهُ انهُ يشعر من نفسهِ بانهُ لا يموت قبل ان يكحل اعينهُ بمشهد شنقهِ ثم غمضت حدقتاه وغاب عن الوجود فصاح اوستين مات جوناتان . . مات جوناتان . . وسمع جاك كلام السجان فترنم حبورًا وصاح الان شفي فوادي حيث انتقم لامي من الجاني فلله درك يا بوبلو من صديق ودود

حوادث جديدة في دوليس هيل

في مساذلك اليوم بينما كان تيمس درايل والمسترود وابنتهُ ويتغريد مجتمعين في قاعة الاستقبال من دوليس هيل وقد انفرد الشيخ الكبير في تاملاتهِ فغرق في بحر من هواجسهِ واخذ الاثنان الاخران يتبادلان اخبار الصباح المكدرة لجهة دفن الارملة المسكينة وسوق جاك الى السجن واذ دخل خادم المنزل يخبر تيمس بوجود رجل على الباب يستدعي مواجهتهُ ليدفع اليهِ امانة فخرج تيمس اليهِ بالرغم عن ارادة المسترود والحاحات السيدة ويتغريد اللذين مانعا كثيرًا في خروجهِ ولدى بلوغهِ اسفل الدار راى رجلاً مغطى الوجه بمنديل سميك فحسب منهُ ووضع يده على حسامهِ متهيئًا للدفاع عند الاقتضاء فقال الرجل لا تخف شيئًا ياسيدي فانا بوبلو وقد جئت لاقدم لك خدمة عظيمة فهاك اوراقًا تؤيد حقوقك في ارث عائلة ترانشفار وحضرة القبطان قد عرض بحياتهِ الى الاخطار للاستيلاء عليها . . وهاك ايضًا تحارير وجدت في منزل جوناتان ويلد عقيب مقتل السير رولاند ثم قدم لهُ كيسًا مملوءًا بالذهب مع رزمة من اوراق البنك وقال هاك ايضًا مبلغ خمسة عشر الف ليرا استرلينية فصاح تيمس متعجبًا ومن اين اتصلت اليك جميع هذه الاشياء قال انتشلتها في اثنا الليلة المشومة التي وقعت فيها اسيرًا في قبضة جوناتان من قاعة الاستقبال وودعتها محلا موتمنًا امامن خصوص ذلك الشقي فقد اصبحت في مامن من شره

قال وماذا تعني بذلك

اجاب اعني اني وقيت منفذ القضاءات الثقيلة شر التلوث بدمائه النجس فحززت رقبته بسكيني و في مدة حياتي لم اشعر بفرح يعادل فرحي بهلاك هذا الظالم من يدي

قال وهل من الممكن ان اصدقك

اجاب ان الخبر اكيد صادق ولكني اسف لعدم تمكني من تخليص سيدي القبطان قال وهل تراني قادراً على عمل شيء في سبيل خلاصه لاسعى به اجاب لا اعلم ولكني مداوم السهر ليلا ونهارا قرب نيفكات عسى تسهل الظروف مساعدتة على النجاة فصاح تيمس اني مستعد لان اضحي ثروتي وجميع امالي لخلاصه

قال بو بلو ان كنت بالحقيقة مخلصاً في وده فاعطني فقط هذا الكيس المملو بالذهب وهو لا يحوى على اكثر من الف ليرا استرلينية استعين بها على تخليصه في اثناء مسيره الى تيربين اذا اخفق ما سابذل من المساعي قبل ذلك الحين

اجاب خذهُ . . خذهُ . . وخذ روحي معهُ فقط خلص جاك

قال ان شئت ان تخدم حضرة القبطان وتنفعهُ فعدني بشيء واحد اطلبهُ منك باسمهِ

اجاب تكلم واطلب ما تريد فاليك

فتنهد وقال فلنفرض ان اعمالي حبطت وقيد القبطان الى تيربين وانفذ القضاء فهل من الممكن ان تنتظرني بعربة على مقربة من ساحة الاعدام اي في نهاية الطريق المعروف بادجوار دو يد

اجاب اعدك بذلك

قال وهل تقسم لي على صدق وعدك

اجاب اقسم

قال كفى وذهب فاسرع تيمس نحو المسترود و وينغريد يخبرها بما حصل عليهِ من النعم العظيمة و بادر الى ما اعطاه بو بلو من الاوراق يطالعها فوجد فيما بينها تحريراً كان قد باشر تلاوته في الليلة المخيفة التي اسر فيها في منزل جوناتان و يلد ومنع من تكملة بما جد هنالك من الحوادث التي مر سياقها فعاود قراءته ولما وصل الى منتهاه سقط التحرير من يده الى الارض فالتقطتة و ينغريد ولدي تلاوته صاحت . . ماذا ارى . . انت الماركيز دي شاتيلون

قال المسترود من تريدين بكلامك وعن اي مركيز دي شاتيلون تتكلمين

اجابت اتكلم عن هذا الشاب الذي تبنيتهُ منذ طفوليته قال تيمس نعم فاني ابن شرعي للمركيز دي شاتيلون وابنتك ستصبح عما قريب ماركيزة وهذا التحرير المرسل بخط يد والدي الى والدتي يتضمن اظهار حبه الشديد وصداقتهِ للسير روفلاند خالي ولكنهُ يحرم عليها اعلامهُ

باقترانهما من بعضها لاسباب لم ياتِ على ذكرها في كتابهِ
فصاح المسترود بالظلم فقد قتل السير روفلاند صديقهُ وصهرهُ ولكنهُ اوخذبما جنت يداه اما جوناتان ويلدِ شريكهُ فلا يلبث ان يجازى على ذنوبهِ عاجلاً كان او اجلاً
قال الشاب ان جوناتان ويلد قتل ايضاً من يد بوبلو فلم يعد لي ما اخشاه من هذا العدو الالد واملي منك ان لا توجل بعد الان سعادتي فقاطعتهُ ويتغريد وقالت اني اعفيك من وعدك فيل وعدتهُ لان ابنة نجار مثلي لا تصلح لان تكون امراة لمن كان يلقب ابوهُ بسير دي فرانس فضم الفتى خطيبتهُ الى صدرهِ وقال ان كان الشرف والمجد يحولان دون تقربي منك فلا اسف عليهما ومن الان امتنع عن التصريح بمركزي ومقامي والمطالبة بحقوقي لاجلك فصاحت الفتاة تشكرهُ على كرامة اخلاقهِ مختنقة بالدموع
وبعد ذلك بايام قرعت اجراس كنيسة ويلسدين وكان النهار خريفاً مسترًّا فتقاطرت اهالي القرية بثياب العيد الى ساحة الكنيسة حيث اقبلت عربتان تحمل الاولى تيمس درايل او بالحري المركيز دي شاتيلون والثانية الحارمع امتهِ وكانت الفتاة مزينة بثياب العرس يتدفق وجهها بالنور والبهاء وبعد ان احتفل بصلوة الزيجة سار العروسان في الحال الى ماتستر اما اهالي القرية فتوافدوا افواجاً على دوليس هيل حيث اعدلهم المسترود وليمة فاخرة

ويستمنستر هال

وبقي جاك شبارد مدة بعد سجنهِ الاخير ساكن البال هادئ الروع لا يظهر ضجرًا الى ان جدَّ عليهِ ما اثار خاطره وكدر شعائرهُ وهو خبر صحة عدوهِ جوناتان وتقدمهُ الى الشفاء فان امال ذلك الشقي بقرب مشهد الانتقام من جاك اجرت في جسمهِ بالرغم عن عظمة جراحهِ ينابيع الحيوة والعافية ولما تمالك من القوة ما يستعين بهِ على المسير قصد بيقكات ليشفي غليل فوادهِ برويا مصاب عدوهِ وسعة اهانة واساة تحملها بالصبر الجميل
وفي ٢١ تشرين الثاني اي بعد ان مرعلى جاك في نيوكات شهر ذاق بهِ العذاب اشكالاً والمرارة الواناً جرالى ويستمنستر هال لتجري محاكمتهُ فيهِ وكان جاك قد بلغ شهرة عظيمة عند عموم الشعب على اختلاف طبقاتهِ فتوافدت الناس افواجاً متفرجة في ذلك النهار بما سد الشوارع المتسعة دون مسيره غير راضية عن اعمال الحكومة ودسائس جوناتان ويلد
وبعد محاكمة قصيرة صدر الحكم باعدامهِ وتعين يوم الاثنين المقبل لانفاذ القضاء والحق بالحكم عبارة استدعت انتباه الجمهور الحاضر وهي ان المجلس الاعلى يضع اوراق المحكوم عليهِ تحت مدار العفو اذا ارتضى بان يصرح باسماء رفقائهِ الذين كانوا يساعدونهُ على الفرار من السجون
فاجاب جاك بسكون وثبات ان يد الله القديرة هي وحدها التي ساعدتني على النجاة من

ايدي الظالمين على ان هذا الجواب لم صادف من حكامهِ تائبًا صارمًا وبعد تلاوة الحكم شاهد جاك في جملة الوقوف خارج المجلس عدوهُ جوناتان ويلد وكانت الاقدام قد ازدحمت بما يمثل يوم النشور وقد تحمست الجموع بما انذر بالخطر فحطمت العربة المعدة لنقل السجين كسرًا ورفعت الاصوات من جميع الجهات تنادي بوجوب اسقاط وكلاء الضابطة وهلاك جوناتان ويلد وهجم على رجال البوليس جماعة من الناس مدججين بالسلاح وفي مقدمتهم رجل اسمر الوجه قوي التركيب واوشكوا ان يخلصوا جاك من بين ايديهم لولم تات فرقة من الحراس لنجدة رجال الحكومة وتبدد المهاجمين بعد قتال دموي وقد امتاز جوناتان مع ضعفهِ الناشيء عن جراحهِ ببسالة الدفاع في ذلك النهار وعرف من بين المهاجمين بو بلو فبذل المستطاع للقبض عليهِ بدون نجاح و بعد قتال متتابع ودفاع متواصل تمكنت الضابطة من الدخول بجاك الى سجنهِ بين ضجات المتذمرين ورنين سيوف المهاجمين

وفي مساء ذلك النهار اضرمت النار في منزل جوناتان ويلد فاحرق بما فيهِ وكاد يذهب مفتش البوليس الشقي مطعما للنار لو لم يتوصل الى النجاة بطريق الدهليز الموصل الى نيفكات

من نيفكات الى تيربن

وكان الزمان المعد لانفاذ القضاء يقترب من يوم الى اخر والسجين ملازم السكون بما يدل على اضرابهِ عن خطة الفرار الى غيرها وما كان جوناتان ويلد ليرتاح لهُ بال بما يشاهدهُ من الصبر والسكينة في عدوهِ . وكانت تجمعات الناس المتواصلة تحت جدران السجن موجبة لقلقهِ وتحسسهِ وفي ليل اليوم الذي تعين بهِ انفاذ القضاء اتخذت التجمعات المذكورة هيئة جدية جديدة تترجم عما يستكن في الضمائر من شعائر العدوان بما دعا الى مضاعفة قوة الحراس في نيفكات وقضى جوناتان ويلد جميع تلك الليلة في المخابرة مع حاكم السجن عما يقتضي اتخاذهُ في الغد من الاحتياطات لضمانة انفاذ الفاجعة المعزوم عليها في تربن وكان من رايهِ ان تزاد قوة البوليس زيادة كافية وتوزع في جميع النقط المهمة الخطيرة قوات معتبرة من الجيش كما لو كان المراد اعدام احد رجال المملكة المهمين وكان الزمن وقتئذٍ تشرين الثاني وقد تلبدت الغيوم في الفضاء وانخفض الهواء وقرس البرد ولكن رغبة الناس في مشاهدة تلك الحفلة المحزنة هونت عليهم هذه المصاعب فتقاطروا جماهير قبل انفلاق الفجر تزدحم بهم الطرقات التي سيمر عليها الجاني لا يبالون بالبرد ولا يعتدون بالامطار وفي نحو الساعة التاسعة فتحت ابواب السجن وظهر المحكوم عليهِ بالموت يتقدمهُ جيش عديد من الضابطة والبوليس ومع تكبلهِ بالسلاسل الثقيلة كان وقوفهُ مستقيمًا ووجهه المصفر لا ينذر بالخوف بل تلوح عليهِ بالعكس لوائح الثبات والشجاعة فصعد ومن عن

يبنو كاهن السجن الى العجلة المعينة له وكان موضوعًا على مقدمتها النعش المعد لجثتهِ بعد اعدامهِ

وبعد ثوانٍ قليلة بدأت الحفلة بالمسير بين عجيج الجماهير التي كانت تتوعد جوناتان وبلد بالموت وتكثر من سبهِ واهانتهِ وهو راكب على جواد عالٍ في طليعة الجميع لا يعير تلك التظاهرات العدوانية الا جانب الاستخفاف والاحتقار مدجج بالسلاح الى اسنانهِ ومتهيء لكل حادث يطرؤ من وراء الخفاء

ولدى وصول الحفلة على هذه الصورة الى جانب هيكل الرب وقفت عن المسير وتقدم خادم الهيكل الى منصف الفسحة المحاذية للكنيسة ولفظ جريًا على العادة المالوفة من قدم الزمان الكلمات الآتية بصوت عظيم فقال

يا ايتها الانفس الصالحة صلي الى الرب من اجل هذا الخاطي المسكين السائر الى الموت ثم التفت نحو الجاني وقال اي انت يا من حكم عليك بالاعدام اندم على ما فرط من خطاياك بدموع حارة واطلب المغفرة من الرب لكيما تنال نفسك الراحة بالام وموت سيدنا يسوع المسيح الجالس عن يمين الله ثم انهى الكلام بقوله . . فليتحنن عليك الرب

وعند ذلك عادت الحفلة الى التقدم وهي تسير الهوينا بين جماهير الجموع المائجة في الشوارع بما يشبه بحورًا ولدى وصولها الى مقربة من هيكل القديس اندراوس وكان جرسهُ يدق دقات الحزن شاهد جاك معشوقتيهِ على درجات الكنيسة فارسلت ادجورت يس صوتًا موثرًا واغمي عليها اما بول ماجوت فكانت اثبت من رفيقتها على احتمال الشدة فاشارت اليهِ مودعة بما يترجم على اسفها وحزنها الشديدين وفي اثناء ذلك جد من الطوارىء الخطيرة ما اوقف مسير الحفلة فان شرذمة من شاكي السلاح كانت قد تجمعت في شارع فيالدّلان واقامت من بلاط ارضهِ حواجز وحصونًا بما سد الطريق الموصل الى تيربن في وجه الحفلة فالتزم الحراس الى استعمال القوة وتبادل بين الفئتين اطلاق الرصاص وكادت تجلي الموقعة عن انتصار المدافعين عن الحواجز لو لم تنجد الحراس بفرقة من نوع الكريناوية بما قواها على تبديد شمل الاعداء ورفع الموانع من طريق مرور الحفلة فعاودت المسير وهي عرضة للانشماط الخف وبعد معاناة المصاعب وصلت الى سان جيلاس حيث جرت العادة بان يخير كل من يساق الى تيربن بالوقوف امام حانة هناك تسمى بالاكاليل ليتناول منها كاسهُ الاخير فوقفت العجلة والحراس امامها وعند ذلك انقلب المشهد من حالة الحزن الى الفرح بما يمثل عوائد ومبادي ذلك الجيل فاخذ الجميع من ضباط وبوليس وانفار بمعاطاة الاقداح بين اصوات الضحك وضجات السرور

وكان مارفيل منفذ القضاء جالسًا على مقعد العجلة الامامي وفي يده قدح من البيرة يشربهُ بتمهل فخرج صاحب الحانة وتقدم من جاك يحمل اليهِ وعاء متسعًا من الخشب طافحًا بالمسكر وقدمهُ

له فتناوله منه ورفع عينيه نحو السطح وكان مزدحماً بالسيدات المتفرجات فاستاذنهن بشرب كاسهن ثم قرب الوعاء من شفتيه واذا جوناتان ويلد امامه فتوقف في الحال عن الشرب وصاح جوناتان . . جوناتان اني اتخلى لك عن هذا الكاس واودعه لك امانة عند صاحب هذه الحانة فتشربه بدورك في اثناء مسيرك الى تيربن ثم رد الوعاء بما فيه الى صاحبه

فتبسم جوناتان وقال ان اباك لفظ مثل هذا القول قبلك وانت تعلم ماذا كانت النتيجة

اجاب جاك لا يمر على هذا اليوم ستة شهور الا وتجبر على تجرع هذا الكاس المرة

ثم جددت الحفلة المسير وبعد ان قطعت سان جيلاس بطوله تقدمت نحو ساحة اكسفورد وكانت تعرف حينئذ بساحة تيربن فانتشرت الجموع بعدد الرمال في الخلاء مسرعة تطلب محل انفاذ القضاء وانفصلت عن الجمع شرذمة من الناس مدججة بالسلاح وتقدمت نحو ساحة الاعدام وكان مسراها وما هو ظاهر في اعينها من علامات الوعيد يدعو الى الخوف المزيد فصدرت الاوامر الى جوناتان ويلد بان يقف لها بالمرصاد مع فرقة من الخيالة بحيث يترقب حركاتها ويبادرها بالقوة عند اللزوم

الخاتمة

وكانت الحفلة على اهبة الوصول الى تيربن حيث يرتفع على بحر من رؤوس الناس شيء اسود مشوم وهو المشنقة ولم يرها جاك شبارد لانه كان محولاً بوجهه نحو موخرة العجلة ولكنه تحقق كونها امامه بما سمع من اصوات تشفق الجمهور فلم يتغير لذلك شيء من شعائره بل بقي ثابتاً مستكاً واظهر انتباهاً مزيداً لما كان يتلى بجانبه من الصلوة . ولكنه ارتعش بغتة وانتصب واقفاً مضطرباً لدى نظره المستورود على رابة عالية يشير اليه باشارات الوداع وقد صاح والدموع طافحة في عينيه فليغفر لك الرب ويباركك ايها الشاب المنكود الطالع ثم ردد قوله فليباركك الرب . فليباركك الرب . . . فمد له الشاب يديه الاثنتين مودعاً وفي وجهه من سمات الحب والامتنان شيء كثير ثم ارسل نظره يبحث فيما حوله عن تيمس درايل ولما لم يجد له اثراً شعر بانقباض مخيف في قلبه واجهد نفسه على ترك جميع الافكار الدنيوية فانكب على تلاوة صلوة حارة اشغلت جميع افكاره وحواسه عن العالم وحصل عند ذلك سكون تام يشبه لسكون الجو بعد حدوث الزوبعة وكانت العجلة قد وصلت بالمحكوم عليه الى ما تحت المشنقة وقد احدق بها الخيالة والمشاة من الجيش مع انفار الضابطة والبوليس بما يولف حوله حلقة متسعة لا يسمح لاحد من المتفرجين بتخطيها وبقي جاك الى هذه الساعة الاخيرة متدرعاً بالصبر والثبات المجيدين وعندما ارسل الغطاء على وجهه صاح من فواد متاجج بجمر الشوق . اني ذاهب اليكِ يا امي . وعند ذلك وضعت الحبلة في عنقه وسارت العجلة فسار جاك شبارد بدوره الى الابدية وما خطت العجلة خطوة واحدة الى الامام الا شق حلقة

الجند رجل حبشي اللون واندفع كما البرق الخاطف على المشنقة وقبل ان يتمكن احد من دفعه او ايقافه قطع الحبلة المشؤومة بسكين في يده وكان الرجل المذكور بوبلو ولكن مساعدته جاءت بعد اوانها لان جوناتان ويلد كان قد امر باطلاق النار على جاك شبارد فاخترق الرصاص جثته قبل بلوغها الارض

واندفع خلف بوبلو فرقة من جبابرة الرجال مؤلفة من خمسة فتناقلوا جثة جاك بين قتال وعراك على رؤوس الوف من الناس الى مسافة بعيدة عن محل القضاء واذ ذاك سمعت اصوات الاستحسان والاستصواب بما يحكي دمدمة الرعود القاصفة بين الصفوف ثم كر المهاجمون على جوناتان ويلد وهم يقاتلون قتال اليأس فدافع عن نفسه دفاع الابطال ولكنه جرح اخيرًا وكاد يقضي عليه بين اقدام المهاجمين لو لم يتأيد للجيش الفور ويبادر الى نجدته ويخلصه من غضب اعدائه المحتدم ولكن الله لم يسهل له النجاة من الهلاك في تلك الموقعة الا ليميتة بعد ستة شهور ميتة العار على نفس المشنقة التي شنق بها عدوه

وبينما كان القتال محتدمًا بين الشعب والقوات العسكرية حمل بوبلو جثة جاك شبارد وسار الى المكان الذي عينة لتيمس درايل في اثناء مواجهته الاخيرة فوجد هنالك عربة بانتظاره ورجالاً بلباس ثمين يحمس الناس على الانخراط في سلك القتال ولدى وضع الجثة في العربة صعد اليها الرجل المذكور واشار الى السايق بالمسير فانطلقت الخيل طماحًا بما يسبق لمعان البرق

وبعد نحو نصف ساعة اوقفت العربة وجرى فحص جثة جاك شبارد من اطباء ماهرين فثبت ان الحبلة قطعت قبل حصول الموت وان القتيل توفي متاثرًا برصاصة اخترقت قلبه وهكذا كانت نهاية حيوة جاك شبارد وهو في شرخ شبابه

وفي ليل ذلك النهار حفرت في مقبرة ويلسدين بجانب مدفن السيدة شبارد حفرة توارت فيها جثة الشاب القتيل ولم يكن حاضرًا اثناء ذلك غير الكاهن والمصلي مع رجلين اثنين احدهما شيخ جليل والثاني شاب جميل وعند نهاية العمل انصرفا بتمهل والحزن لا يعينهما على المسير

ثم وضع على ذلك القبر صليب من الخشب بدون اسم يدل على ما فيه الى ان خطت عليه يد شفوقة بعد سنوات عديدة هذا الاسم البسيط وهو «جاك شبارد»

مقتل جوناتان ويلد

لم يأت المؤلف على ايضاح نتيجة هذا الرجل ولكني بادر الى ذلك [illegible] العار [illegible] بعد ستة شهور [illegible] الاراء [illegible]

في اثناء [illegible]

احدقت فرقة من الجند بمنزل جوناتان ويلد تسهر على عدم خروج احد [illegible] وكان قد اتخذ [illegible]

مسكنًا محاذيًا لمسكنهِ القديم الذي بادئهِ النار وداست فرقة ثانية المنزل مأمورة بالقبض عليهِ والحجز على جميع اوراقهِ وموجوداتهِ وكان جوناثان نائمًا فلم يشعر الا وسيوف الجند تظللهُ في فراشهِ وصوت يناديهِ قم . . قم وسلم نفسك لاني مامور بايقافك من الملك . . فادرك وهو في دهشة النوم سر الخطر المحدق بهِ ووثب كالمجنون يطلب سلاحهُ ولكن المهاجمون كانوا قد استولوا عليهِ قبل ايقاظهِ فلم يجدهُ ووقف باهتًا مضطربًا لا يجد سبيلاً للدفاع والخلاص فانقض عليهِ الجند وبعد ان اجرت وثاقهُ ساقتهُ امامها بثياب النوم حافيًا مكشوف الراس الى نيفكات حيث اودع بامر ويلبول ناظر الضابطة جورة الحجر وكبل بالقيود الثقيلة لانهُ كان متهمًا بارتكاب جنايات عديـدة

وفي اليوم الثاني شاع خبر ايقافهِ في المدينة وطار بحكم البشرى على السنة الناس لان الافكار كانت قد انتبهت اخيرًا الى شرورهِ وشعرت بثقل وطأتهِ على البلاد فتوافدت الاهالي الى السجن فرحة بما تراهُ من مصابهِ وكان الجميع يتهددونهُ ويتوعدونهُ وكثيرون بصقوا على وجههِ والبعض ممن طالتهُ يدهم لطموهُ على خدهِ واكثروا من سبهِ واحتقارهِ وكان الباعث على انتباه اولياء الحل والعقد الى ارتكاب ذلك الجاني هو تيمس درايل او بالحري المركيز دي شاتيلون فانهُ كان قد اثبت في تلك المدة حقوقهُ في ارث ابيهِ وامهِ واستولى على ثروة العائلتين وتقرب من الملك لما كان لابيهِ من عظمة الشان والاعتبار المزيد في بريطانيا فتشكا لهُ اعمال جوناثان وبلد وايد شكواه بما لديهِ من الاوراق والادلة ثم قص عليهِ خبرهِ وما كان منهُ نحو السيدة شارد ووالدها جاك وخالهُ روفلاند وكيف قتلهم جميعًا بدون شفقة وساعد على قتل ابي المركيز مما اثار في الملك عاصفة الغيظ فاستدعى وزرائهِ اليهِ وفي جملتهم ويلبول ناظر الضابطة وحال اليهم اوراق الدعوى وطلب اليهم تحقيقها ومجازاة الجاني بما يستحق وبعد الفحص والتروي السريين ترجحت لديهم التهمة وظهر من ورائها غيرها من الفظائع التي لا تحد فصدرت الارادة بالقبض عليهِ وسوقهِ الى نيفكات كما مر معا مع متابعة التحقيق الى ان تنجلي الحقيقة برمتها

وفي السابع عشر من الشهر نشر على اهالي لوندرة الاعلان الآتية صورتهُ

لقد قبض على جوناثان وبلد مفتش البوليس السري لما ترجح وثبت لدى حكومة الملك من انهُ الجاني لخراب عائلة السير مونتوكيت ترانسة او بالاحرى لانهُ اداتها والمساعد على قتل المركيز دي شاتيلون الشهير وقد ظهر لدى الفحص انهُ مرتكب جنايات اخرى عديدة فاقتضى اذاعة هذا الاعلان لتعلم الناس انها في مامن من غدرهِ وتقدم على ايصال تشكياتها وما لديها من المعلومات في شانهِ الى الحكومة وهي تعد من الان بالعفو عن جميع شركائهِ في الجناية الذين يرفعون اليها اخبارهم قبل افتضاح امرها وانهتاك سترها

وفي صباح اليوم التالي ضاقت سراي الحكومة بمن وفد عليها من الشاكين والشهود وجر جوناتان الى دار المحاكمة مكبلاً بالسلاسل في عربة مقفلة وذلك لما شوهد على وجوه الناس المزدحمة في الشوارع من ظواهر التحمس والغيظ ضده بما لا يومن معهما الاعتداء على حياته وفي طريقه اطلق عليه عبارات كثيرة نارية اصابت العربة ولم تضر الجاني وكان الخوف ظاهرًا في وجهه والجنايات المريعة التي ارتكبها في حياته مسطرة على جبهته فتليت امامه اوراق الدعاوي المصدرة ضده فمن بنات افتض بكارتهن وقتلهن ومن امهات اثكلهن اولادهن ومن اطفال يتمهم من ابائهم وامهاتهم ومن عائلات بادها عن اخرها ومن اغنياء افقرهم ومن فقراء اذلهم ومن لصوص شاركهم في سرقاتهم وقتلهم وكان عند تلاوة كل ورقة يرتعش كما لو كان العمل حاصلاً في الحال على مشهد منه ثم تقدمت الشهود تسرد امامه تفاصيل الجنايات وتويدها بالحجج الراهنة وفي جملتهم السيدة سبرانك وابرهيم ماندبز وكيلات ارنولد وباتيست كيتلبي والمستر ود والموسيو كنيسون وغيرهم ولدى وصول ابرهيم ماندبز الى خبر مقتل السير روفلاند وسقوطه في الجب صاح نعم انا القاتل . . نعم انا الجاني فافتحي ابنها الجحيم فاك وابتلعيني بشروري

وبعد استيفاء التقارير اصدر المجلس عليه الحكم بالاعدام شنقًا وعين يوم الخميس القادم لانفاذ القضاء بين ضجيج استصواب الجموع المتفرجة ولدى استماع جوناتان لنص الحكم فارقته شجاعته ولم تسنده ارجله فسقط بعنف الى الارض وارتبط لسانه فلم يستطع كلامًا فحمل الى عربة الجانين وكانت بانتظاره في الاسفل وفي اثناء مسيره اطلق عليه رجل من بين الجموع فردًا فاصابت الرصاصة يده وكان الضارب بو بلو ولكنه اختفى في الحال فسيق جوناتان جريحًا الى نيعكات حيث طرح في سجنه مجردًا عن قوته بما استولى عليه من الجبن والخوف ملقى على ظهره ينتظر من ساعة الى اخرى حلول الاجل

وفي صباح اليوم المعين لانفاذ القضاء خرجت لوندرا باسرها لتفرح اعينها بمشاهدة دماء من اجرى دماء ابناها بحورًا فازدحمت الشوارع من الاقدام من نيفكات الى تيربرن والجميع متهللون بما سيكون من هلاك الظالم وكانت جميع المنازل مزدانة بالغار علامة الانتصار ونظمت الاغاني تلحنها البنات والغلمان في الشوارع بما يفيد ان ذلك اليوم هو يوم تحرير انكلترا من نير الاستبداد ونجاتها من ايدي القتلة واللصوص وكتب على كثير من الجدران بالزهور عبارات عديدة من مثل ان هلاك الجاني رحمة من الرب وغير ذلك مما لا يخرج عن هذا المعنى

وفي الساعة الثامنة صباحًا خرج جوناتان على عجلة مثقلاً بالقيود والجند تحيط به من كل ناحية خشية على حياته ان تذهب فريسة لنيران الكثيرين من اعدائه قبل بلوغ محل الانتقام واساة الحكم بما يميته ميتة الشار وكان ضعيفًا مهزولاً مصفرًا بما يشبه الموتى وقد استلقى على ظهره

في العربة فاقداً للعزيمة لا يستطيع جلوساً والجند تدفعهُ الى وجوب الانتصاب وكذا باسنة الحراب وهو لا يجيب على ذلك الا باصوات التألم المتتابعة بما لا يختلف عن صوت الخنزير المفترس وكانت الناس من بعيد تنظر اليهِ شذراً وتصر على اسنانها انتقاماً ومع مزيد تحرس الجند على عدم ايصال الاذية اليهِ في الطريق كانت العبارات النارية تطلق عليهِ من وقت الى اخر من ايدي اخصامهِ الذين هجموا عليهِ من كل صوب هجوم اليأس غير مبالين بما امامهم من القوات والحواجز واصابت الجاني رصاصات عديدة فاثخنتهُ بالجراح بما زاد في شدتهِ وبلائهِ وكان بوبلو في جملة من اطلق عليهِ النار لرغبته في الانتقام لسيده بيده ولمح جوباتان وهو في سكرة المصاب عدوهُ الحبشي يحاول خطف روحه من بين حراسهِ فارسل صوتاً مخيفاً وغاب عن الوجود

وبعد هنيهة بلغ الجاني حانة الاكليل فقدم لهُ صاحبها خمراً في نفس الوعاء الذي قدمهُ الى جاك شارد من قبل نحو ستة شهور ففطن جوناتان الى ما دار وقتئذ بينهُ وبين ذلك الشاب المسكين من الحديث فانحرف بوجههِ عن الوعاء مرتجفاً وصاح ويلي كيف صدقت نبوتهُ فيَّ فعرض عليَّ كاسهُ وسرت على عجلته الى حيث احتمل مرارة العذاب والاسف اني لا اذكر لي حسنة تعزيني على مصابي او تشجعني على مقابلة وجه ربي . ثم سارت الحملة الى ان بلغت بهِ ساحة تيربن فعلت اصوات الشعب بالتهليل والتكبير وسمع جوباتان ذلك فتاكد قربهُ من المشنقة ونظر الى يمينهِ فاذا بتيمس درايل او المركيز دي شانيلون في جملة المتفرجين مع وزراء الدولة وامراء المملكة فمسكتهُ رعشةٌ عصابية شديدة اشرفت بهِ على الموت واريد ايقافهُ لوضع الحبالة في عنقهِ فلم تقوَ ارجلهُ على حملهِ بما الجأ الى رفعه على رؤوس البنادق ثم ارخي فسقط جسده يتمرجح في مشنقته وهوت روحهُ الى الجحيم الاسفل وكان بوبلو على رابية عالية مشرفة على ذلك المشهد فصاح من فؤاد امانتهِ الذكرى واحياء السرور . جاك . . جاك فلتنتعش عظامك يا جاك شبارد في قبرك لان عينيَّ قد ابصرتا هلاك عدوك ثم تبدد ذلك الصوت بين ضجات الفرح التي صدرت بعدئذٍ من جماهير الحضور بما يحاكي هدير الامواج وبقية جثة الشقي معلقة في الفضاء الى ان مزقتها الايدي كل ممزق وكان مكتوباً على صدره باحرف نخرة هذه العبارة وهي

(صرف العدل الى الظالم فقتله)